

التصوف

الأنوار الرحمانية

في

الطريقة القادرية الكسترانية

السيد الشيخ محمد السيد الشيخ عبد الكريم الكستراني

رئيس الطريقة القادرية الكسترانية

شركة عشتار للطباعة والنشر والتوزيع المحدودة

هاتف : ٨٨٨٤٠١٠ - ٨٨٨٣٥٥٦ - ص.ب. (٥٤٩٠) - تلکس (٢١٣١٨٧)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التصوف



في

الطريقة القادرية الكسترانية

السيد الشيخ محمد السيد الشيخ عبد الكريم الكستراني

رئيس الطريقة القادرية الكسترانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم صل على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم
تسليماً

نبذة عن حياة السيد الشيخ محمد الكسنزان

مولده :

ولد السيد الشيخ محمد الكسنزان بن السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزان سنة (١٣٥٨ هـ) الموافق (١٩٣٨ م) في قرية كربجنة ، ونشأ نشأة صوفية خالصة حيث كان والده السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزان شيخ الطريقة والإرشاد ، وقد تميز منذ بداية نشأته بالعقيدة الخالصة وحبه للفقراء والوقوف على خدمتهم والدفاع عنهم والوقوف إلى جانبهم . درس علوم الفقه والقرآن الكريم والعقائد وعلم التصوف في حياة والده وكان يعتكف في غرفة مخصصة له . وقد صحب والده للإرشاد داخل العراق وخارجه واقفاً في خدمته . وكان يحترم والده احتراماً عظيماً بحيث لا يقوى على الجلوس عنده ولا الاقتراب منه تكريماً وتعظيماً لشأنه ويتردد في سؤاله تأدباً معه . ومن شدة أدبه مع أستاذه ووالده كان يفضل التكلم من وراء حجاب ولا يُعرف أجلّ من ذلك الأدب أدباً ، وقد سافر مع والده إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج عام (١٩٧٣ م) .

جلوسه على سجادة المشيخة :

وفي آخر زيارة قام بها حضرة السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزان لأضرحة المشايخ الكرام في قرية كربجنة كان السيد الشيخ محمد نزيل شهره بصحبته وكان في تلك الزيارة عدد كبير من الدراويش والخلفاء . فدخل السيد الشيخ عبد الكريم نزيل شهره إلى الأضرحة زائراً ومودعاً . إذ حدث ما لم يكن متوقعاً فخرج من الزيارة وجلس قرب الباب على كرسي وكانت علامات الفرح تملو وجهه الكريم ثم قال : (يا أولادي الدراويش منذ اليوم السيد الشيخ محمد شيخكم وهذا أمر أستاذنا ومن أطاعه فقد أطاعنا ومن أحبه أحبنا ومن خرج عن أمره فقد خرج عن أمرنا ثم نظر ملتفتاً إلى الأضرحة قائلاً : أنا أودعكم الآن وستكون هذه آخر زيارة من زيارتي لكم

وهذا وكيلكم الذي أوكلتموه) . فجهش الشيخ مُجَدَّ بالبكاء مقبلاً يد أستاذه ووالده متوسلاً إليه قائلاً : (إنك على أتم الصحة والعافية يا والدي فقد كسرت قلوبنا) . فضج المريدون بالبكاء إذ كان موقفاً عظيماً .

وبعد أن رجع إلى كركوك توفي رحمته الله ثم نُقِلَ جثمانه الطاهر إلى حيث الأضرحة التي زارها بالأمس ، أضرحة الآباء والأجداد في موكب مهيب حضره عدد كبير من الدراويش والمحبين وسائر المسلمين وخرج أهل القرى على طول الطريق البالغ ١١٠ كم ليكون لفراق شيخ الفقراء ومربي المريدين مؤوي الأيتام رحمته الله . فتولى السيد الشيخ مُجَدَّ مقام والده في تولي أمور الطريقة والإرشاد وبإيعه الدراويش والخلفاء أستاذاً وأباً روحياً .

صفاته :

إنه رحمته الله شجاع كريم سخي غاية السخاء لا يبالي بما يعطي ، قوي الإرادة مهاب الجانب كثير التوكل صبور سموح لم يلتفت إلى الدنيا وزخارفها ، ومن شجاعته انه عندما تعرض له يوماً عدد من قطاع الطرق وقف أمامهم اعزلاً إلا انه قوي بإيمانه ولم يخش عدتهم وعددهم ونظر إليهم نظرة لم يجرؤ أحد منهم على التقرب منه ولما رهبوه تركوه مندهشين يملأهم الرعب وانصرفوا بعد أن تيقنوا من قدرته وصلابته وقوة عزمه وإرادته . وانه مولع بجمع آثار الصالحين ودراساتها فجمع أصنافاً من مخلفاتهم ومخطوطاتهم . فهو متأثر بهم ، لذا نراه يذكرهم بكثرة في أحاديثه ومواعظه مستدلاً بآرائهم وعقائدهم . ما زاره أحد وغدى حتى شعر بالحنين إليه والعودة إلى مجلسه . فهو حاذق في شد الباب إليه عارف لا يرتوي جليسه من علمه ، كما انه سخي في عطائه ومنحه . فترى المريد هائماً به دائم الحضور معه لا يغرب عنه لحظة لأنه يجد فيه طبيباً للقلوب مشخصاً للداء مخصصاً للدواء . فأتباعه السالكون لنهجه يتحلون بأحوالهم ويترقون بمقاماتهم . قوي المهمة سريع الإدراك للطالب المحب ، يعالج المحبين وهم في أوطانهم وتصل إليهم بركاته أينما حلوا وارتحلوا وحيثما نزلوا واستوطنوا .

خلواته :

لقد دخل الشيخ مُحَمَّد بن السيد الشيخ عبد الكريم قُدمت أسرارهم خلوات كثيرة في عهد والده ، ولكن أولى خلواته في عهد مشيخته كانت بعد ستة اشهر من توليه أمور الطريقة وكان ذلك في العشرين من شعبان سنة ١٣٩٨ هـ الموافق ١٩٧٨ م ، وقد صحبه عدد من الدراويش والخلفاء ، أعدوا خلواتهم بأنفسهم وجلس كل منهم في خلوته بعد أن تعلموا نظام الخلوة وأورادها وآدابها من أستاذهم اثر محاضرة ألقاها الشيخ قبل الصعود إلى الخلوة في نية خالصة . فمنهم من دخل في كهوف ومنهم من دخل في جراديق صغيرة على غرار أسلوب الخلوة للمشايخ الكسنزانية قُدمت أسرارهم ، ثم دخل حضرته الخلوة الثانية سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ١٩٧٩ م وبصحبه ضعف العدد من الدراويش الذين دخلوا معه الخلوة الأولى وطبق عليهم نظام الخلوة كاملاً دون نقص وخرج كل منهم بنصيبه منها واستزاد بعضهم فواصلوا خلواتهم بعد يوم العيد أي أنها جددت لهم .

إرشاده ومواعظه :

انه كسلفه محب للإرشاد ووعظ الأمة التي أصبح يخشى عليها فلا بد لها من ينقذها ويوقظها من منامها ، وخرج في عدة حملات للإرشاد داخل العراق في عدد من المحافظات وفتح عدداً من التكايا وخلف عدداً كبيراً من الخلفاء والمرشدين وأمرهم بالإرشاد في كل وقت وزمان . وكان كثير التأكيد على الإرشاد في مواعظه وعلى ترك الدنيا والاكتفاء بالكفاف وكثيراً ما يردد قول الإمام علي كرم الله وجهه مخاطباً الدنيا : (غري غيري) . فإنه يدعو إلى الزهد ويحاسب المسرفين ويتشدد معهم ويحب النظام وتطبيق تعاليم الطريقة وآدابها إقتداءً بالسلف الصالح . والتف حوله عدد كبير من الناس وبايعوه تائبين على يده ملتزمين بتعليماته .

فان ظرف الزمان وخوف الأفكار الغريبة إلى الناس مما افسد عقائدهم وأصبحوا خدماً يخدمون الدنيا بعد أن كانت خادمة لهم . لكن هداية الله تمت على يده الشريفة . فنفحاته الروحية حسست هؤلاء بسوء المصير الذي ينتظرهم وايقضت فيهم الهمم وشدت العزائم في طلب الحق والقيام بواجبات المعبود ﷺ . ومن الملفت للنظر إن اغلب أتباعه من المريدين الشباب . فأن حضرته يُرشد على أن يكون المريد متعلماً واعياً لأمر الشريعة والطريقة كي يسلك وهو

على بينة من أمره ويجب أن يفهم ما يفعل كما يؤكد حضرته يجب أن لا تعمل بشيء لا تعرفه إلا أن تؤمر بذلك .

وقد أخذت عنه محتويات هذا الكتاب عبر سلسلة من دروس الإرشاد والمواظ .

تكايه :

قام السيد الشيخ محمد بن السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزان بتجديد بناء الجامع الكبير الذي بناه السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزان في كربجنة بمساحة أوسع وبقبة في وسطه تقوم على أربعة أعمدة من الخرسانة وادخل الزخرفة الإسلامية على تجميده من الداخل والخارج وأثنه بأثاث جديد . كذلك قام بإعادة بناء الأضرحة وتوسيع روضتها حتى أصبحت في روضة واحدة وهي مرقد السيد الشيخ عبد الكريم شاه الكسنزان قُدت أسرارهم جميعاً . كما وضع على كل ضريح تاج بارتفاع مترين من الذهب الخالص وعلى قدر حجم الضريح ذي شناشل جميلة وقناديل مضيئة وعُملت أرضيات الروضة بالمرمر الثمين وزُخرف السقف بالزخارف الجميلة ووضع فيها ثريات جميلة وفريدة جُلبت من خارج العراق خصيصاً للمراقد ويحيط بمجران المرقد قطع من الفرفوري ذات نقشات جميلة ويعلوه شريط أزرق كُتب عليه النسب الشريف . ولهذه الروضة قبة وسطها مطلي بالمرآيا العاكسة تعطي الروضة رونقاً جميلاً ولها بابان ، باب يؤدي إلى المسجد ، وباب إلى الطارمة الأمامية في واجهة الروضة .

وقام السيد الشيخ محمد الكسنزان رحمته بتجديد بناء بعض الآثار كخلوة السيد الشيخ السلطان حسين رحمته الممتدة إلى باطن الأرض ، كما قام حضرته بتبديل تاج مرقد سيدنا الكيلاني بأخر مصنوع من الذهب وجميل الصنع على نفقته ونفقة مريديه وجلب لذلك المرمر الثمين الذي يحيط بمرقد سيدنا الكيلاني رحمته .

وكذلك قام الشيخ محمد رحمته ببناء ثلاث قاعات كبيرة (تكايا) للرجال وتكية للنساء في كربجنة كما قام ببناء عدة غرف للعوائل الزائرة من الدراويش المحبين . وقام بتوسيع التكية في كركوك فأضاف لها بيتاً مجاور وبنى تكية خاصة للنساء وأخلى بيته الذي كان ساكناً فيه وجعله تكية للدراويش أيضاً ووفر كل وسائل الراحة للزائرين .

وقام أيضاً ببناء تكية رئيسية كبيرة مع جامع في العاصمة بغداد في منطقة حي القضاة بالداوودي قرب نفق الشرطة وقد نالت إعجاب جميع الزائرين لها من أهل الفن والذوق لما اعد لها من طراز إسلامي جميل .

كما بنيت تكايا في مدن ومحافظات أخرى مثل قضاء الفلوجة بمحافظة الأنبار وقضاء تلعفر بمحافظة نينوى ، وتم توسيع التكية الرئيسية في الرمادي والتكية الرئيسية في أربيل ، وكذلك بنيت تكايا أخرى في القرى والأرياف لممارسة شعائر الطريقة ومأوى للدراويش والفقراء .

المقدمة

الحمد لله الذي هداانا إلى الإسلام فأسلمنا ، وبفضله أرسى لنا قواعد الإيمان فآمن من آمن ، ومن جوده دلنا عليه فسعى من سعى إلى أبواب معرفته ، والصلاة والسلام على خير الأنام مُحَمَّد المختار من بين خلقه ، اغترف الأنبياء عليهم السلام من بحور علمه غرفة استوت بها رسالاتهم ، واتبع الأولياء ﷺ آثاره فكمملت بها ولاياتهم ، فكانوا أهلاً لإرشاد الخلق إلى سبيل الرشاد فجند الله ﷻ أرواحهم لإخراج الخلق من الظلمات إلى النور بقوة الإيمان والحب والإخلاص والصدق ونبد الدنيا وحب الآخرة .

انبثق النور الهادي في فجر الإسلام الأول ، فاتسع النور وتوهجت مصابيحها وامتد شعاعه إلى مخابئ الظلم فصرع الظلام وانتشرت الفضيلة وامتد نوره تحمله أيدٍ فتية مخلصه أمينة إلى أرجاء العالم وأشرقت الأرض بنور ربها فخضعت الرقاب لـ (لا اله إلا الله مُحَمَّد رسول الله) . بسلاح التوحيد هذا انفكت القيود عن رقاب الخلق من العبودية لغير الله ، ودوت أصواته في أرجاء المعمورة ، وعاش الناس بسلام وأمان ، وسرت روحه الخالصة لإيقاظ النيام من سباتهم ، وإحياء القلوب الميتة ، وتنوير الأبصار بعد أن طال الظلام . فراح سنا هذه الرسالة الخالدة يمر عبر الأجيال ، جيل يقتبس من جيل ، ولا يزال نوره الوهاج تحفّق له القلوب وتعلو به الحناجر على الرغم من حقد الحاقدين ومكائد الظالمين وجهل الجاهلين .

ولا يخفى على أحد قد مرّ الإسلام بمراحل صعبة في القرون السابقة وعانى من فساد الولاة وكثرة الأدعياء فانحرفوا عن جادة الصواب والحق المبين واستغلوا الدين للدنيا ، فأخذوا منه ما يبيع لهم من دنياهم ، وتركوا دين الله تعالى ورضوانه ، فتنازعوا وتماروا بينهم ، فدبت الفتن في بلاد الإسلام ، وخيم الجهل ، وانتشرت البدع فانتفعت فئات ضالة باسم الدين وكان لهم مفكروهم وعلمائهم الجهلة الذين صمتوا عن الحق أرضاءً للخلق وأباحوا الدنيا التي كانت قرّة أعينهم ونسوا الآخرة ، نسوا القبر والسؤال والحساب والميزان فأنساهم الله أنفسهم فأصبحوا يتنعمون بعصيانه فخسروا الدنيا والآخرة وما أحسن ما قيل فيهم :-

نرّقع دينانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرّقع

فالويل لهؤلاء الضالين من علماء السوء وطلبوا الإمارات والولايات ووسعوا الضيعات وكثروا

الواردات وعاشوا حياة ترف وبذخ وفساد باسم الدين وعلى سمعته وشرفه ، اشتروا الدنيا بالدين فبئس الثمن وتبت يد البائع والمشتري .

لكن لدين الله رجال على قدم النبي مُحَمَّد ﷺ صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، تصدوا لهؤلاء البغاة ، وراح صدى أصواتهم يقض مضاجع الخائنين والمنحرفين عن السبيل القويم مبشرين ومنذرين فحذروا من الدنيا ومفاتها وإغوائها وضلالاتها ، فعندهم الدنيا كما عند ربهم (لا تساوي جناح بعوضة) . وجلس المرشدون على السبيل المؤدية إلى الدنيا لردهم إلى السبيل السوي يحذرونهم من غرورها ، يرشدون الناس بآيات الله تعالى وأحاديث النبي ﷺ وقد ذكرهم في قوله : ﴿ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك ﴾ .

واستمر المشايخ الكاملون برسالاتهم الإنسانية السليمة المتمثلة بروح الدين الإسلامي رغم حملات الأعادي من الغربيين والشرقيين لتشويه الإسلام ونفخت الأبواق المغرضة في أرض العرب فأصبح بعضهم ببغاوات لنيكلسون الإنكليزي وجولد يهر اليهودي وما سينون الفرنسي وغيرهم ليحطوا من قيمة الدين الحنيف . ورغم كل هذا فالله مُتم نوره ولو كره الكافرون ، فعاد النور ينتشر ويشرق ، ودعوة الزهد في الدنيا والورع والصلاح راحت ترسم في قلوب الخلق مبادئ الإيمان والإحسان . فتكاثفت الجهود لإصلاح المجتمع وطرده الرذيلة والتمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وبدأ الظلام ينحسر وتنقشع البراقع التي ضللو بها الناس باسم الدين ، فقتلوا الناس وانتهكوا الحرمات وأباحوا المحذورات وغزوا الأوطان بدعوة أنهم مصدرين الدين لمراكز انبعاثه وفرقوا الناس شيعاً يريدون أن يستعبدوا الخلق من جديد تدعمهم يد الأجنبي ولكن هيهات هيهات ... تبا لهم ولأتباعهم ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾^(١) .

التصوف

أهل الصفة هم الرعيل الأول من رجال التصوف . فقد كانت حياتهم التعبدية الخالصة هي المثل الأعلى استهدفه رجال التصوف في العصور الإسلامية المتتابعة . فمتبوع الصوفية وقدوتهم في طريق التجريد وترك الأسباب والانقطاع إلى رب الأرباب هم أهل الصفة (موضع بناءه ﷺ في الركن الشمالي من المسجد لفقراء أصحابه كانوا يجتمعون فيه كثيراً يبلغون إذا كثروا أربعمئة وإذا قلوا كانوا ثمانين أو سبعين وبه سمو الصوفية) .

آثروا التجرد للعبادة ومجالسة سيد المرسلين ﷺ ، وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (٢) .

نزلت هذه الآية الكريمة حيث كان أكابر قريش قد اجتمعوا وقالوا لرسول الله ﷺ : إن أردت أن نؤمن بك فاطرد هؤلاء الفقراء من عندك فإذا حضرنا لم يحضروا وتعين لهم وقتاً يجتمعون فيه عندك فكانت رداً على طلب المتكبرين على فقراء الإسلام الصوفية .

فأمر الرسول ﷺ الفقراء بالتجرد وترك الأسباب حيث علم منهم عدم التشوف للأسباب والرضا بما قسم الله ﷻ لهم وبما يواجهه من سعة أو ضيق ، ومن تشوف منهم أمره بالأسباب مثل حكيم بن حزام ؓ فإنه سأله فأعطاه ثم سأله ثم قال له : ﴿ يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإسراف النفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع ﴾ ، ثم قال : ﴿ يا حكيم : لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب خير له من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه ﴾ .

قال الخواص ؓ : (ما دامت الأسباب في النفس قائمة فالكسب أولى والأكل بالكسب أحل له) لأن القعود عن المكاسب لا يصلح لمن لم يستغن عن التكلف ، فالتجرد عنده هو ترك كل ما يشغل الجوارح عن طاعة الله وتجريد الباطن هو ترك كل ما يشغل القلب عن الحضور مع الله وتجريدهما هو إفراغ القلب والقلب لله .

كان أهل الصفة على تجريد الظاهر عاملين ورفعوا همتهم إلى رب العالمين ففنعوا بما تيسر من القوت وما يستر العورة من الثياب منها ما تبلغ الركبة ومنها دون ذلك كانوا يقولون للنساء في الصلاة لا ترفعن رؤوسكن حتى يستوي الرجال قعوداً خشية أن يرين عورة أهل الصفة من قصور الثياب ، ومنهم من لبس أهاب كبش (أي جلده) وهو مصعب بن عمير فلما رآه ﷺ بكى وقال : ﴿ انظروا إلى هذا الذي نور الله قلبه فقد رأيت به بمكة بين أبويه يختال في حلة قد اشترت له أو اشتراها بمائتي درهم فما زال به حب الله ورسوله حتى صيره إلى ما ترون ﴾ (٣) .

فهذه كانت أحوال أهل الصفة خيار هذه الأمة وهذه كانت سمة نبينا محمد ﷺ ، فقد دخل سيدنا عمر رضي الله عنه دار الرسول ﷺ كما في البخاري فوجد انه مات ودرعه مرهونة عند يهودي .. واليوم هذا صار بدعة عند الناس وصار التأنيق في اللباس وتكبير العمامم وجمع المال سنة فإننا لله وإننا إليه راجعون .

ويرحم الله القائل :-

يا حسبي الله ما للناس أكثرهم
قد انكروا الزهد والتجريدا والورعا
سما طريق أولي التوفيق صعلكة
وسنة لقبوا الأهواء والبدعا
وأهل الصفة ﷺ تخلقوا بخلق النبي ﷺ ، يعني قاربوا من خلقه ﷺ والا فلا يمكن التخلق بخلق ﷺ على الوفاء والتمام ولكنهم أهل الصفة أشبه الناس تخلقا بأخلاقه .
أنهم تركوا الدنيا لأهلها وانقطعوا إلى الله تعالى بالكلية وامتلأوا أمر ربهم حيث قال تعالى :
﴿ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ (٤) .

وهذه الآية تدل على انه تعالى أمر بشيئين أحدهما الذكر ، والثاني التبتل ، أما الذكر فاعلم انه قال : ﴿ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ ﴾ ، وهذا أمر بالذكر . والتبتل هنا الانقطاع إلى الله ﷻ ، قال الفراء : يقال للعابد : إذا ترك كل شيء وأقبل على العبادة قد تبتل أي انقطع عن كل شيء إلا أمر الله وطاعته .

قال ابن مسلم : التبتل رفض الدنيا مع كل ما فيها والتماس ما عند الله كما في تفسير

٣ - رواه البيهقي والمنذري ورواه في كتاب الزهد عن الترمذي .

٤ - المزمل : ٨ .

الرازي . فهؤلاء الصفة المختارة قد اختاروا طريقهم أو اختير لهم كما أراد الله ﷻ . وسمعوا كلام ربهم وأحاديث نبيهم ﷺ في ذم الدنيا والاشتغال بها ومدح التفرغ للعبادة والاجتهاد فيها وما أعد الله فيها للزاهدين والقانتين .

اشتقاقه :-

ومرجع اشتقاقه إلى خمسة أصول هي :-

أولاً : - انه منقول من صفة المسجد النبوي الشريف الذي كان منزلاً لأهل الصفة وهو الأصل الذي يرجع قوله فيه ، فالصحابه والتابعون رضوان الله عليهم وان لم يتسموا بهذه التسمية كانوا صوفيين فعلاً أكثر من أن يعيش المرء لربه لا لنفسه ويتحلى بالزهد وملازمة العبودية والإقبال على الله بالروح والقلب في جميع الأوقات وسائر الكمالات التي وصل بها الصحابة والتابعون من حيث الرقي الروحي إلى أسمى الدرجات ، فهم لم يكتفوا بالإقرار في عقائد الإيمان والقيام بفروض الإسلام بل زادوا في ذلك كل ما استحبه الرسول الأعظم محمد ﷺ من نوافل وعبادات ومجاهدات لا تخرج عن حدود الشرع واتبعوها سبلاً لتصفية النفوس من كدرها وترقوا بذلك إلى الملذات الروحية حتى تفجرت عيون الحكمة في قلوبهم وأصبحوا هادين مهدين ، حفظوا أنفسهم مع خالقهم وحاسبوا أنفسهم على غفلاتهم واتهموها بعدم القيام بحقوق العبودية لله فذلك كان دأبهم حتى أمسوا نجومًا لامعة يهتدي بهديهم كل ضال .

ثانياً : انه مشتق من الصفاء أو الصفو ، والمراد صفو قلوب أهل التصوف وانشرح صدورهم ورضاهم بما يجزي الله عليه ، ثم إنهم مع الله في صفاء لا يشوبه شاغل وهم بما أطلعهم الله عليه قد صفوا من كدر الجهل قالوا : وكان في الأصل صفوي فاستثقل ذلك فقليل صوفي .

ثالثاً : انه من الصوفة لأنه من الله كالصوفة المطروحة لا تدبير له تحركه الأقدار ولا اختيار له .

رابعاً : انه من صوفة القفا ليلينها فالصوفي هين لين وصوفة القفا ما يتدلى من نقرة القفا من شعر يرسلونه متلبداً مشعثاً كالصوف .

خامساً : من لبس الصوف ، روي عن ابن ماجه والحاكم عن انس رضي الله عنه : إن رسول الله ﷺ أكل خشناً ولبس الصوف واحتذى المخصوف .

قال صاحب اللمع : فلما أضفتهم إلى ظاهر اللبسة كان ذلك اسماً مجملاً عاماً مخبراً عن جميع العلوم والأعمال والأخلاق والأحوال الشريفة المحمودة ألا ترى أن الله تعالى ذكر طائفة من خواص أصحاب عيسى عليه السلام فنسبهم إلى ظاهر اللبس فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾^(٥) . وكانوا قوماً يلبسون البياض فنسبهم الله تعالى إلى ذلك ولم ينسبهم إلى نوع من العلوم والأعمال والأحوال التي كانوا بها مرتسمين فكذلك الصوفية عندي والله اعلم ، نسبوا إلى ظاهر اللباس ولم ينسبوا إلى نوع من أنواع الأعمال والعلوم التي هم مرتسمون بها لان لبس الصوف كان دأب الأنبياء عليهم السلام والصديقين وشعار المساكين المتنسكين وقيل في تسمية أصحاب عيسى عليه السلام بالحواريين إنهم كانوا قصارين يغسلون الثياب أي يجرونها وهو التبييض . وكذلك ارتدى الصوف بعض من صحابته صلى الله عليه وآله وسلم مثل أبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي رضي الله عنهما ، وكان أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه يظهر على الناس وعليه الصوف الجاني فلاموه على ذلك وقالوا له انك بالشام وحولنا الأعداء فغير من زيك وأصلح من شأنك فقال : ما كنت بالذي اترك ما كنت عليه في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويقول أبو موسى الأشعري : (يا بني لو رأيتنا ونحن مع نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ، إذا أصابتنا السماء وجدت منا ريح الصفا من لباسنا الصوف) . وقال الشيخ الحسن البصري رضي الله عنه : (لقد أدركت سبعين بدرياً - نسبة إلى بدر - لباسهم من الصوف) .

وقال أيضاً : (رأيت صوفياً في الطواف فأعطيته شيء فلم يأخذه وقال معي أربع دوانق فيكفيني ما معي) .

وإذا انتقلنا إلى عصر التابعين وجدنا نماذج من المتشددین الذين ينفرون من اللبس الفاخر ويؤثرون لباس الصوف ومن هؤلاء أبي زياد الذي لبس الصوف ولم يأكل اللحم وتعبد واعتزل ، ومنهم سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان يأكل الخبز والزيت ويلبس الصوف ويعمل بيديه ويخرج إلى السوق ويشترى حوائجه بنفسه ، وارتدى الصوف أيضاً فرقد السبخي وعبد الكريم بن أبي أمية وكان لكثير من الناس بهذا اللباس مشاهد مألوفة مع تمييزهم بالقناعة والزهد .

فلما تقادم العهد وذهب الناس بطرق شتى منهم قاصد للسبيل ومنهم متفرق ، واغلبهم تفرق عن سبيل الرشاد واتسعت دائرة العلوم وذهب الناس مذاهب شتى انقسمت وتوزعت بين أرباب الاختصاص وقام كل فريق بتدوين شكل من أشكال الغنى والعلم ودعا كل إلى سبيله فنشأت علوم الفقه والتوحيد والحديث وأصول الدين والتفسير والمنطق وعلم الأصول والفرائض وغيرها ، ولما أخذ التأثير الروحي يتضاءل شيئاً فشيئاً والناس يتناسون ضرورة الإقبال على الله بالعبودية وبالهمة وعن أرباب الرياضة والزهد إلى تدوين علم التصوف واثبات شرفه وجلاله وفضله على سائر العلوم ، فتركوا الأسباب التي هي شريعة الضعفاء وتمسكوا بالتجرد الذي هو شريعة الأقوياء ، وحقيقة الأصفياء فصيروا الفرق الذي هو الاشتغال بالأسباب لعين الجمع الذي هو الاشتغال بمسبب الأسباب - فالنظر للأسباب فرق والنظر لمسبب الأسباب جمع - .

قال أبو العباس المرسي رحمته الله : (للناس أسباب وسببنا الإيمان والتقوى) .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٦) .

وقالوا : قد اخرجوا الله عما اكسبوا فكل صوفي إليهم يُنسبُ

لا شك إن أهل الصفة عليهم السلام كانت لهم أموال وعبيد وإماء وديار وعقار وأهل وعيال فلما هاجروا إلى الله ورسوله وخرجوا عن ذلك كله وتركوه لله فانتقلوا إلى المدينة ليس معهم شيء فبني لهم صلى الله عليه وسلم في طرف المسجد كما ذكرنا آنفاً ، فنزلوا فيها يصلون في الليل ويصومون في النهار ويجاهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول الجيش فاستشهد أكثرهم في الجهاد ومن بقي منهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته الدنيا فمنهم من لم يقبلها ولم يأخذ منها شيئاً كأبي ذر الغفاري وأبي الدرداء وأبي عبيدة ومعاذ وغيرهم عدد لا يحصى . ومنهم من أخذها بالله ودفعها لله فكان فيها كالأمين ينظر العزل من مولاه يقوم فيها بواجب الحقوق دون تقصير ولا تعريض على مخلوق وكذلك كان الصوفية المحققون لا يملكون مع سيدهم شيئاً ولا يملكونهم شيء . وهكذا كانت حياتهم يعبدون الله في جميع أحوالهم وأطوارهم بالغداة والآصال ويذكرون الله تعالى لا غفلة عن

الذكر ولا نسيان يشوب الصلة : ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾^(٧) . فإنهم دائماً مع الله في الحركات والسكنات وبعد ذلك جعل الصوفية التقوى أساس العلم : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾^(٨) . وجعلوا ذلك العلم مصدراً للإشراف والإلهام والفيض الرباني العظيم وأما العارف بهذا العلم فهو النبي مُحَمَّد ﷺ ، علّمه الله بالوحي والإلهام إذ نزل جبريل عليه السلام أولاً بالشرعة فلما تقررت نزل ثانية بالحقيقة فخص لها بعض دون بعض وأول من تكلم في هذا العلم الإمام علي كرم الله وجهه ثم أخذه عنه الشيخ الحسن البصري ، وأمه اسمها (خيرة) مولاة لأم سلمة زوج النبي ﷺ وأبوه مولى زيد بن ثابت ، توفي الحسن سنة (١١٠ هـ) ، ويعتبر أول من فتق الألسن بهذا العلم وأخذ عنه في سلسلة لا تنقطع إلى يوم الدين الحبيب العجمي ، وأخذ عن الحبيب العجمي أبو سليمان داود الطائي المتوفي سنة (١٦٠ هـ) ، وأخذ عن داود أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي رحمه الله ، وأخذ عن معروف السري بن مغلس السقطي المتوفي سنة (٢٥١ هـ) ، وأخذ عن السري إمام الطائفتين السيد أبو القاسم الجنيد البغدادي أصله من نهاوند ومنشأه العراق وهو شريف من الأشراف تثقف على يد أبي ثور وصحب الشافعي فكان يفتي على مذهب أبي ثور ثم صحب خاله السري وأبا الحارث المحاسبي وغيرهم وتوفي سنة (٢٩٧ هـ) ، ثم اتسع التصوف في أصحابه ولا ينقطع حتى ينقطع الدين .

تعريف التصوف :-

قال القاضي شيخ الإسلام زكريا الأنصاري : (التصوف علم تعرف به أحوال تزكية النفوس وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية) .

قال سيد الطائفتين الجنيد رحمه الله : (التصوف استعمال كل خلق سني وترك كل خلق دني) .

وقال الكناني : (التصوف خلق فمن زاد عليك بالخلق زاد عليك بالتصوف) .

قال أبو الحسن الشاذلي : (التصوف تدريب النفس على العبودية وردّها لأحكام الربوبية) .

٧ - الكهف : ٢٤ .

٨ - البقرة : ٢٨٢ .

قال ابن خفيف المتوفي سنة (٣٧١ هـ) : سألت رويم بن مُجَدَّ عن التصوف فقال :
(يا بني التصوف إفناء الناسوتية وظهور اللاهوتية) ، فقلت زدني رحمك الله فقال : (لا رحمني
الله إن كان في ذلك مزيد) .

فالتصوف نشأ معبراً عن المثل الديني الأعلى وظل في أدواره كلها يُعبر عن ذلك المثل مخالفاً
ما عليه العامة ، مخالفاً القراء والفقهاء وأهل السنة والمتكلمين والمتفلسفين متعرضاً لعداوتهم
واضطهادهم من غير أن تخرجه العداوات والاضطهادات عن حدود الحب والتسامح ، فالتصوف
كان وحده من بين معترك المذاهب شامخاً صرفاً وسلاماً في كل ما مرَّ به من الأدوار .

والمُتأمل في هذه الأدوار التي تداولت التصوف يلاحظ إن اللفظ استحدث أول الأمر
للعبرة عن معنى الكمال بالتمسك بالشرع والزهد في الدنيا حينما أخذ الناس في مخالطة
الزخارف الدنيوية وكاد يطغى حب المال على ما غرسه الدين في النفوس من الورع ، فكان
الصوفي مخالفاً للجماهير بفقره وورعه على حين يلتمس غيره المال ويطمع في الغنى .

استمداده :-

علم التصوف مستمد من الكتاب والسنة النبوية الشريفة وإلهامات الصالحين وفتوحات
العارفين وقد ادخلوا فيه أشياء من علم الفقه لمس الحاجة إليه وقد حررها الغزالي في إحياء علوم
الدين في كتاب المنجيات والمهلكات .

وأما حكم الشارع فيه : فقد قال الغزالي رحمه الله : انه فرض عين إذ لا يخلو أحد من عيب
إلا الأنبياء عليهم السلام .

وقال أبو الحسن الشاذلي رحمه الله : من لم يتغلغل في علمنا ، مات مُصِراً على الكبائر وهو
لا يشعر .

وقالوا فيه : تُطَبِّب جسمك الفاني ليبقى وتترك قلبك الباقي مريضاً
وحيث كان فرض عين : يجب السفر إلى من يؤخذ عنه إذا ما عرف بالتربية واشتهر بالدواء
على يديه وان خاف والديه ، حسب ما نص عليه غير واحد كالبلالي والسنوسي وغيرهم .

قال السنوسي : النفس إذا غليت كالعدو إذا لجأ ، تجب مجاهدتها والاستعانة عليها وان
خالف الوالدين كما في العدو إذا برز .

وما أحسن قول القائل :

وأخطر في محبتكم بروحي	واركب بحركم إيماء وأماً
واسلك كل فج في هواكم	وأشرب كأسكم لو كان سماً
ولا أصغي إلا من قد نھاني	ولي أذن عن العذار صماً
أخطر بالخواطر في هواكم	وأترك في رضاكم أباً وأماً

نسبته :

قال الشيخ زروق : (نسبة التصوف في الدين ، نسبة الروح من الجسد ، وان هذا العلم لا يؤخذ من الأوراق وإنما يؤخذ من أهل الأذواق . ولا ينال بالقليل والقال . وإنما يؤخذ من خدمة الرجال وصحبة أهل الكمال . وكما قالوا : والله ما افلح من افلح إلا بصحبة من افلح .
فضله

اعلم إن شرف الشيء وفضيلته أما إن تثبت بالعقل أو بالنقل أو بظهور ثمرته بالخارج وقد اجتمعت هذه الأمور في علم التصوف .

وأما ثبوت شرفه بالعقل فلا شك أن الشيء يشرف بشرف موضوعه ووضعه وقد تقدم أن موضوع هذا العلم الذات العلية ، وهي اشرف وأفضل على الإطلاق ووضعه الرسول ﷺ وهو أفضل الخلق بالإجماع . وأيضاً العقل السليم يستحسن الكمالات ولا شك فالتصوف ما وضع لتحقيق الكمالات علماً وعملاً وحالاً فهو موضوع لتكميل العقائد وتطهير النفوس وتحسين الأخلاق . وإما ثبوت شرفه بالنقل فلا شك أن الكتاب والسنة وإجماع الأمة وردت بمدح جزئياته ومسائله كالتوبة . والتقوى . والاستقامة . والصدق . والإخلاص . والطمأنينة . والزهد . والورع . والرضا . والتسليم . والمحبة . والمراقبة . والمشاهدة وغير ذلك من مسائله .

فالعلم الذي يتعلق به أفضل على الإطلاق إذ هو دال في أوله إلى خشية الله تعالى وبوسطه إلى معاملته وبآخره إلى معرفته والانقطاع إليه .

قال الشيخ الجنيد رحمته الله : (لو نعلم أن تحت أديم السماء اشرف من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت إليه ولو حبواً) .

الصوفية اتبع الناس وأكثرهم إقتداءً بسيدنا محمد ﷺ ، فدل ذلك على أنهم أحب الخلق

إلى الله . قال تعالى : ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾^(٩) .

وقال ﷺ : ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين ﴾ . وعلامة المحبة الإتيان .

قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله : (أي علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة . وإن سيرتهم أحسن السير ، وطريقتهم أصوب الطرق ، وأخلاقهم أزكى الأخلاق ، بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء لغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم وبيدلوا بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلاً . فان جمع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به) .

وقال الشيخ الصقلي رحمه الله : (من صدق بهذا العلم فهو من الخاصة وكل من فهمه من خاصة الخاصة وكل من عبر عنه وتكلم فيه النجم الذي لا يدرك والبحر الذي لا ينزف)
وقال أحدهم : (إذا رأيت منتقداً عليه ففر منه فرارك من الأسد واهجره . وما من علم إلا يقع الاستغناء عنه في وقت ما إلا علم التصوف فلا يستغني عنه أحد في أي وقت) .

وقالوا : (الناس ثلاثة ، عالم وعابد وعارف صوفي وكلهم أخذوا حظاً من الوراثة النبوية فالعالم ورث أقواله ﷺ تعلماً وتعليماً بشرط إخلاصه والا خرج من الوراثة بالكلية إذ الأعمال بلا إخلاص أشباح بلا أرواح ، فمن ورث عن أبيه جارية ميتة فليس بوارث . والعابد ورث أفعاله ﷺ من قيام وصيام ومجاهدة ظاهرة ، فقد قام ﷺ حتى تورمت قدماه وكان يصوم كثيراً ويفطر) .

والصوفي العارف ورث الجميع ، فأخذ في بدايته ما يحتاج إليه من العلم وقد يتبحر فيه ، ثم ينتقل إلى العمل على أكمل حال ثم زاد عليهما بوراثة الأخلاق التي كان عليها باطنه ﷺ من زهد وورع وخوف ورجاء وصبر وحلم وكرم وشجاعة وقناعة وتواضع وتوكل ومحبة ومعرفة وغير ذلك مما يطول ذكره .

قال الإمام مالك رحمه الله : (من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن جمع بينهما فقد تحقق) . وإنما تزندق الأول لرفضه الحكمة والإحكام وتفسق الثاني لخلوه من صدق التوجه فيما هو فيه وتحقق الثالث لقيامه بكل في محله .

الصوفي

قال سهل رحمه الله : (الصوفي من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر وانقطع إلى الله دون البشر واستوى عنده المال والمدر) .

قال أبو الفتح ألبستي رحمه الله :

تخالف الناس في الصوفي واختلفوا
جهلاً وظنوه مشتقاً من الصوف
ولست امنح هذا الاسم غير فتى
صفا فصوفي حتى سمي الصوفي

قال أبو تراب النخشي : (الصوفي لا يكدره شيء ويصفو به كل شيء) .

قال ذو النون المصري رحمه الله : (الصوفي لا يتبعه طلب ولا يزعجه) .

كما قال رحمه الله : (الصوفية قوم آثروا الله على كل شيء فآثرهم الله وَعَجَّلَ على كل شيء)

قال أبو الحسن النوري رحمه الله : (الصوفية قوم صفت قلوبهم من كدرات البشرية وآفات النفس وتحرروا من شهواتهم حتى صاروا في الصف الأول والدرجة العليا مع الحق فلما تركوا كل ما سوى الله صاروا لا مالكين ولا مملوكين) .

قال سهل بن عبد الله رحمه الله : (الصوفي هو الذي يرى دمه هدرًا وملكه مباحاً) .

قال أبو حمزة البغدادي رحمه الله : (الصوفي الصادق يفتقر بعد الغنى ويذل بعد العز ويخفى بعد الشهر ، وعلامة الصوفي الكاذب أن يستغني بعد الفقر ويعز بعد الذل ويشتهر بعد الخفاء) .

قال الشيخ الجنيد رحمه الله : (الصوفي كالأرض يطرح عليه كل قبيح ويخرج منه كل مليح) .

قال الشيخ الشبلي رحمه الله : (الصوفي منقطع عن الخلق متصل بالحق لقوله تعالى : ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾^(١٠)) .

التوبة

ذكرت التوبة في مواطن عدة في كتاب الله العزيز ، عاجل فيها العزيز الحكيم ما أصاب قلوب عباده من ظلمة الذنوب المؤدية إلى قسوة القلوب كي تعود إلى صحتها ونقاها ، نذكر من هذه الآيات الدالة وأحاديث الرسول ﷺ ما يكفي القارئ المنتفع لبيان سعة رحمته وقبوله الاعتذار من عباده .

قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (١١).

هذا لمن أسرف على نفسه بسط يديه إليه من فضائل رحمته مخاطباً له : ﴿ هَلُمَّ إِلَيَّ يَا عَبْدِي تَعَالٍ مِنْكَ سِرّاً سَتَجِدُنِي أَمْحُو مَا ارْتَكَبْتَ وَأَسْتِرَ مَا أَذْنَبْتَ إِنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾ (١٢).

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ (١٣).

وقال تعالى : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾ (١٤).

ويشترط بالتوبة النصوح كما قال الشيخ الحسن البصري رحمه الله : (هي الندم في القلب والاستغفار في اللسان وترك الجوارح والعزم على أن لا يعود) .

كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً ﴾ (١٥).

وقال تعالى : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ (١٦).

وقال ﷺ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَسْطُرُ يَدَهُ بِالتَّوْبَةِ لِمَسِيءِ اللَّيْلِ إِلَى النَّهَارِ وَلِمَسِيءِ النَّهَارِ إِلَى النَّهَارِ ﴾

١١ - الزمر : ٥٣ .

١٢ - الشورى : ٢٥ .

١٣ - النساء : ١١ .

١٤ - غافر : ٣ .

١٥ - التحريم : ٨ .

١٦ - الحجر : ٤٩ ، ٥٠ .

الليل حتى تطلع الشمس من مغربها ﴿١﴾ .

وقال ﷺ : ﴿ لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم ﴾ .

وقال ﷺ : ﴿ كفارة الذنب الندامة ﴾ .

وقال ﷺ : ﴿ الموت أهون على التائب من شربة ماء بارد للعطشان ﴾ .

ومن فضله تعالى ستر ذنوبنا وعيوبنا ويمحوها من عيون خلقه رحمةً بنا وعطفاً علينا وكما ورد في قوله ﷺ : ﴿ إذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله حفظته ذنوبه وأنسى جوارحه ومعامله من الأرض حتى يلقي الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب ﴾ .

وكونه تعالى سابقاً للخير وهذا دلالة محبته للتائبين كما ورد قوله ﷺ : ﴿ ما علم الله من عبد ندامة على ذنب إلا غفر له قبل أن يستغفر ﴾ .

وعن النبي محمد ﷺ قال : ﴿ ما من صوت أحب إلى الله تعالى من صوت عبد مذنب يقول يارب فيقول لبيك يا عبدي أشهدكم يا ملائكتي إني قد غفرت له ﴾ .

وقال الرسول ﷺ : ﴿ مكتوب حول العرش قبل خلق آدم بأربعة آلاف عام وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ .

وقال ﷺ : ﴿ إن الله وملائكته يُصلون على المقرنين على أنفسهم بالذنب ﴾ .

وبعد هذا نعود لبيان معنى التوبة وحدودها ووجوبها .

معنى التوبة

• الرجوع عن الطريق المبعد عن الله المقرب إلى الشيطان ولا يتصور ذلك إلا من عاقل ولا تكمل غريزة العقل إلا بعد كمال غريزة الشهوة والغضب وسائر الصفات المذمومة التي هي رسائل الشيطان لإغواء الإنسان .

• التوبة : الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود والتوبة نور من الله ﷻ يقذفه في القلوب يريد به عدول العبد عن الذنب فأما أن يصير العبد على ما اقترف أو أن يعدل . قال رجل لرابطة العدوية ﷺ : (قد أكثرْتُ من الذنوب والمعاصي فإذا بُتُّ فهل يتوب عليّ) ، قالت : (لو تاب عليك لتبت) .

والتوبة عامة شاملة لكل مسلم أو مؤمن حيث قال تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا

الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٧﴾.

والتوبة فرض عين في حق كل شخص لا يصور أن يستغني عنها أحداً من البشر كما لم يستغن آدم عليه السلام .

وجوبها

قال الإمام الغزالي رحمه الله : إن كل بشر لا يخلو من معصية في جوارحه فإذا خلا في بعض الأحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب في القلب فإذا خلا في بعض الأحوال عن الهم فلا يخلو عن وساوس الشيطان بإيراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله ، فإذا خلا منها فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وصفاته وأفعاله وكل ذلك نقص وله أسباب وترك أسبابه بالتشاغل بأضدادها رجوع عن طريق إلى ضده والمراد بالتوبة الرجوع ولا يتصور الخلو في حق الآدمي عن هذا النقص وإنما يتفاوتون في المقادير ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : ﴿ أنه ليران على قلبي حتى استغفر الله في اليوم واللييلة سبعين مرة ﴾ . وقد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر فإذا كان هذا حاله فكيف حال غيره .

وقال الإمام الغزالي :

وحيث إن معناها معرفة كون الذنوب مهلكة والانبعاث لتركها هو جزء من الإيمان فالإنسان مبني من صفات بهيمية وسبعية وشيطانية حتى يصدر من البهيمية : الشهوة والشره والفجور ومن السبعية : الغضب والحسد والعداوة والبغضاء ، ومن الشيطانية : المكر والحيلة والخداع ، ومن الربوبية : الكبر والعز وحب المدح والاستيلاء وقد عجنت في طينة الإنسان عجناً محكماً لا يكاد يتخلص منها وإنما ينجو من ظلماتها بنور الإيمان المستفاد من العقل والشرع ، فإذا كان الخائف من الهلاك في هذه الدنيا المنقضية يجب عليه ترك السموم وما يضره من المأكولات في كل حال وعلى الفور فالخائف من هلاك الأبد أولى بأنه يجب عليه ذلك وإذا كان متناول السم إذا ندم وجب عليه أن يتقيأ ويرجع من تناوله بإبطاله وإخراجه من معدته على سبيل الفور والمبادرة تلافياً لبدنه .

المشرف على الهلاك لا يفوت عليه إلا هذه الدنيا الفانية ، فمتناول سموم الدين وهي الذنوب أولى بأن يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن ما دام يبقى للتدارك مهلة وهو العمر ، فأن المفوت لهذا السم فوات الآخرة الباقية التي فيها النعيم المقيم والملك العظيم ، وفي فواتها النار الجحيم والعذاب المقيم الذي تنصرم أعمار الدنيا دون عشر عشر عدته ، فالبدار البدار إلى التوبة قبل أن تعمل سموم الذنوب بروح الإيمان عملاً يجاوز الأمر فيه الأطباء واختيارهم ولا ينفع بعده الاحتماء ، فلا ينجح بعد ذلك نصح الناصحين ووعظ الواعظين وتحق الكلمة عليه بأنه من الهالكين ويدخل تحت عموم قوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٨).

التوبة واجبة في كل حال :

فاعلم انه قد سبق أن الإنسان لا يخلو في بداءة خلقته من إتباع الشهوات أصلاً وليس معنى التوبة تركها فقط بل تمام التوبة بتدارك ما مضى وكل شهوة اتبعها إنسان ارتفع منها ظلمة إلى قلبه كما يرتفع عن نَفَس الإنسان ظلمة إلى وجه المرأة عند تراكمها خبثاً كما قال تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١٩). فإذا تراكم الرين صار طبعاً فيطبع على قلبه كالخبث على وجه المرأة إذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد وأفسده وصار لا يقبل الصقل بعده وصار كالمطبوع من الخبث ولا يكفي في تدارك إتباع الشهوات تركها في المستقبل بل لابد من محو تلك الأريان التي انطبعت في القلب بل يجب محوها وكما يرتفع إلى القلب ظلمة المعاصي يرتفع إليه نور من الطاعات وترك الشهوات فتتمحي ظلمة المعصية بنور الطاعة وإليه الإشارة بقوله ﷺ : ﴿ اتبع السيئة الحسنة تمحها ﴾ ، قال تعالى : ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ ﴾ (٢٠). وهذا حال العاصين

١٨ - يس : ٨ ، ٩ ، ١٠ .

١٩ - المطففين : ١٤ .

٢٠ - النساء : ١٨ .

المسرفين أما حال التائبين كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾ (٢١).

ومعناها يندم على خطيئة حين حصولها ويمحو أثرها بندمه وحزنه ويردفها بحسنة تمحها.

• وأما من قال في التوبة من الصحابة والتابعين :

ويروى عن الحسن البصري رحمته الله : لما تاب الله سبحانه على آدم عليه السلام هنأته الملائكة وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام فقالا يا آدم قرت عينك بتوبة الله عليك ، فقال آدم عليه السلام يا جبريل فان كان بعد هذه التوبة سؤال فأين مقامي ؟ فأوحى الله إليه : ﴿ يا آدم ورثت ذورك التعب والنصب وورثتهم التوبة فمن دعائي منهم لبيته كما لبيتك ومن سألي المغفرة لم ابخل عليه لأني قريب أجيب يا آدم واحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعائهم مستجاب ﴾ .

قال الفضيل بن عياض : قال تعالى : ﴿ بشر المؤمنين بأنهم إن تابوا قبلت منهم ، وحذر الصديقين أني أن وضعت عليهم عدلي عذبتهم ﴾ .

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه : من ذكر خطيئة ألم بها فوجل فيها قلبه محيت عنه في أم الكتاب .

ويروى إن نبياً من أنبياء بني إسرائيل أذنب فأوحى الله تعالى إليه : وعزتي لأن عدت لاعذبتك فقال : يارب أنت أنت .. وأنا أنا .. وعزتك إن لم تعصمني لأعودن ، فعصمه الله تعالى .

وقال حبيب بن ثابت : (تعرض على الرجل ذنوبه يوم القيامة فيمر الذنب فيقول أما أني كنت مشفقاً منه فيغفر له) .

قال عمر رضي الله عنه : (اجلسوا إلى التوابين فأفهم أرق أفئدة) .

قال سهل رضي الله عنه : (إذا عمل العبد حسنة وقال يا رب أنت الذي وفقتني وأعنتني قال الله تعالى : ﴿ أنت أطعت وأنت تقربت ﴾ ، وإن قال ، أنا عملت قال تعالى : ﴿ أنا الذي

قَدَرْتُ ﴿﴾ ثم يعرض عنه وان عمل سيئة وقال يا رب أنت الذي قَدَرْتَ عليّ ، غضب عليه ربه ، وقال : ﴿﴾ أنت عصيت وأنت أسأت ﴿﴾ وان قال يا رب أنا ظلمت نفسي وأسأت وقصرتُ ، يقول الله تعالى : ﴿﴾ أنا قَدَرْتُ وقضيت وأنا غفرت وسترتُ ﴿﴾ .

وقال موسى ﷺ : (يا رب إذا سألك الطائع ماذا تقول له قال أقول : ﴿﴾ لبيك ﴿﴾ قال فالزاهد قال أقول : ﴿﴾ لبيك ﴿﴾ قال فالصائم قال أقول : ﴿﴾ لبيك ﴿﴾ قال فالعاصي قال أقول : ﴿﴾ لبيك .. لبيك .. لبيك .. يا موسى كل واحد من هؤلاء يتكل على عمله والعاصي يتكل على رحمتي وأنا لا أخيب عبداً اتكل عليّ لأني قلت ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴿﴾ . قيل لأحد الحكماء ، هل للتائب علامة يعرف أنها قبلت توبته قال : نعم علامته أربعة أشياء :

أولها : أن ينقطع عن أصحاب السوء ويريههم هيبة من نفسه ويخالط الصالحين .
الثاني : أن يكون منقطعاً من كل ذنب ومقبلاً على جميع الطاعات .
الثالث : أن يذهب فرح الدنيا كلها من قلبه ويرى حزن الآخرة كلها دائماً في قلبه .

الرابع : أن يرى نفسه فارغاً عما ضمن الله تعالى له من الرزق مشغولاً بما أمره به .
فإذا وجد فيه هذه العلامات فهو من الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿﴾ (٢٢) .

ووجب له على الناس أربعة أشياء :
أولها : أن يحبوه فإن الله تعالى قد أحبه .
والثاني : أن يحفظوه بالدعاء على أن يشبته الله على التوبة .
والثالث : على أن لا يعيروهم بما سلف من ذنوبه .
والرابع : أن يجالسوه ويعينوه ويذاكروه .
ويكرمه الله تعالى بأربع كرامات :

أولها : أن يخرج الله تعالى من ذنوبه كأنه لم يذنب قط .

ثانيها : أن يحبه الله .

ثالثها : أن لا يسلط عليه الشيطان ويحفظه منه .

الرابعة : أن يؤمنه من الخوف قبل أن يخرج من الدنيا لقوله تعالى : ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (٢٣).

ويجب على التائب أرضاء الخصوم ما أمكنه وإصلاح ما افسد . قال سيدي الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمته الله : (يا قوم ابنوا ما انقضتكم ، اغسلوا ما نجستكم ، أصلحوا ما أفسدتكم ، صفوا ما كدرتكم ، ردوا ما أخذتكم ، ارجعوا إلى مولاكم وَعَبَّكُ من ايباقتكم وهربكم) .

فلا بد من معرفة الذنوب في حق علام الغيوب ، فالذنوب هي :

١ . ترك الواجبات تجاه الله وَعَبَّكُ من صلاة وصيام وزكاة ، وكفارته أن تقضي ما أمكن ذلك .

٢ . ذنوب بين العبد وربه كشرب الخمر وأكل الربا ونحو ذلك فيندم التائب على ذلك ويوطن قلبه على عدم العودة إلى مثلها أبداً .

٣ . ذنوب بينه وبين العباد وهذه أصعب الذنوب وأول التوبة فيها ردّ الحقوق إلى أهلها وأورد الغزالي رحمته الله هذه الأقسام :

أ . في المال : فيجب عليك أن تردّه عليه إن أمكنك فإن عجزت عن ذلك لعدم أو فقر فتستحله منه فإن عجزت عن ذلك لغيبة الرجل أو موته وأمکن التصديق عنه فافعل وإن لم يمكن فعليك تكثير الحسنات والابتهاال إلى الله تعالى أن يرضيه عنك يوم القيامة .

ب . في العرض : فإن غبته أو بهته أو شتمته فعليك أن تكذب نفسك بين يدي من فعلت ذلك عنده وإن تستحل من صاحبه ما أمكنك ذلك إذا لم تخش زيادة في الغيظ أو هياج فتنة في إظهار ذلك أو تجديده فإن خشيت ذلك فالرجوع إلى الله وَعَبَّكُ ليرضيه عنك والاستغفار

الكثير لصاحبه .

ج . في الحرمة : بأن خنته في أهله أو ولده فلا وجه للاستحلال والإظهار لأنه يؤلّد فتنة وغيظاً بل فتضرع إلى الله تعالى ليرضيه عنك .

د . في الدين : بأن كفرته أو بدعته أو ضلّته فهو أصعب الأمور فتحتاج إلى تكذيب نفسك بين يدي من قلت له ذلك وأن تستحل من صاحبك إن أمكنك والا فلا ابتغال إلى الله تعالى ليرضيه عنك .

وجملة الأمر فما أمكنك من أرضاء الخصوم عملت وما لم يمكنك رجعت إلى الله تعالى بالتضرع والابتغال فإنه إذا علم الصدق من قلب العبد يرضي خصومه فإذا أنت عملت ذلك وبرأت القلب من الوقوع في ذلك في المستقبل فقد خرجت من الذنوب كلها وإذا حصل لك براء القلب ولم يحصل منك قضاء الفوائت وإرضاء الخصوم فالتبعات لازمة وسائر الذنوب مغفورة .

قال الصوفية في التوبة

التوبة عندهم أن يتوب الصوفي عن كل شيء يشغل قلبه عن الله تعالى .
قال ذو النون المصري رحمه الله تعالى : (توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة) .

وقال عبد الله التستري : (شتان بين تائب وتائب ... فتائب يتوب عن الذنوب والسيئات وتائب يتوب عن الزلل والغفلات وتائب يتوب عن رؤية عمل الحسنات والطاعات) .

التسويق في التوبة :

يسوف بعض الناس بعد أن كثف حجابهم وساء حاله فيتصور بعد الأجل ، لذا يستمر في سوء عمله والغفلة قد استولت على قلبه .

قال لقمان لابنه : (يا بني لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة) .

والمسوف للتوبة على خطرين عظيمين :

أحدهما : أن تتراكم الظلمة على قلبه حتى تصير ريناً وطبعاً فلا يقبل المحو .

والثاني : أن يعالجه المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك ورد

في الخبر : (إن أكثر صياح أهل النار من التسويف) ، فما هلك من هلك إلا بالتسويف فيدركه الموت فجأة فيأتي الله تعالى بقلب غير سليم ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم .

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله : (وكذلك يتكرر عصيانه بتكرر الأزمنة المتسعة فيحتاج إلى توبة عن تأخيرها) .

قال الشيخ زين الدين الملياري رحمه الله : (التوبة واجبة فوراً من كل ذنب فمن أخرها زمناً صار عاصياً بتأخيرها) .

فيسوّف من سوّف لأنه عاجز عن قمع الشهوات المؤدية به إلى النار فمثله كمثل من يريد أن يقلع شجرة فيؤخرها إلى السنة القادمة وهو يعلم أن الشجرة تزداد كل يوم رسوخاً وقوةً وهو يزداد كل يوم قصوراً أو فتوراً وذلك غاية الجهل فسوّفوا حتى سافهم مرض إلى الموت .

التحذير من نقض التوبة :

وليحذر التائب من العودة إلى الذنب فإن فيها خطراً كبيراً قد يدركه الموت ويموت على العصيان وذلك أقبح الأعمال .

قال يحيى بن معاذ رحمه الله : (زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها) .

ويحكى عن أبي حفص الحداد قال : (تركت العمل كذا وكذا مرة فعدت إليه ثم تركني العمل فلم أعد بعد إليه) .

قال الشيخ أبي علي الدقاق رحمه الله : (تاب بعض المريدين ثم وقعت له فترة فكان يفكر وقتاً لو عاد إلى توبته كيف يحكمه فهتف به هاتف ، أطعنا فشكرنا ثم تركتنا فأمهلناك وإن عدت إلينا قبلناك ، فعاد الفتى إلى الإرادة) . فليحذر التائب من نقض التوبة فإن الله تعالى يغفر الذنوب جميعاً ويبدل السيئات حسنات هذا من رحمته وواسع كرمه على العباد فيجب أن لا يقابل ذلك بالقسوة بالجحود والعصيان فقد حكى عن أبي عمر الانماطي : (ركب علي بن موسى الوزير في موكب فجعل الغرباء يقولون من هذا ؟ من هذا ؟ فقالت امرأة قائمة على الطريق : إلى متى تقولون من هذا ؟ هذا عبد سقط من عين الله فابتلاه بما ترون فسمع علي بن موسى ذلك فرجع إلى منزله واستغفى عن الوزارة وذهب إلى مكة وجاورها حتى مات) .

انظروا إلى ذلك اللطف الإلهي الخبير وهكذا كان الله معنا : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ (٢٤).

ما أوسع جوده ، والتوبة والرجوع يجب أن يصحبها العمل والجد والإخلاص فبدونها لا تكتمل ، كما قال البوصيري رحمه الله :
استغفر الله من قولٍ بلا عمل
لقد نسبت به نسلًا لذي عقم

الصحبة

أهميتها :

إن للصحبة أثراً عميقاً في شخصية المرء وأخلاقه وسلوكه ، والصاحب يكتسب صفات صاحبه بالتأثير الروحي ، والإقتداء العملي . فإن اختاره من أهل الفساد والشر والفسوق والمجون انحدرت أخلاقه وانحطت صفاته تدريجياً دون أن يشعر حتى يصل إلى حضيضهم ويهوى إلى دركهم . أما إذا اختار صحبة أهل الإيمان والتقوى والاستقامة والمعرفة بالله تعالى فلا يلبث أن يرتفع إلى أوج غلاهم ، ويكتسب منهم الخلق القويم والإيمان الراسخ ، والصفات العالية ، والمعارف الإلهية ، ويتحرر من عيوب نفسه ورعونات خلقه ، لهذا تُعرف أخلاق الرجل بمعرفة أصحابه وجلسائه :

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى

عن المرء لا تسأل وسلّ عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

وما زال الصحابة رضي الله عنهم هذا المقام السامي والدرجة الرفيعة بعد أن كانوا في ظلمات الجاهلية إلا بمصاحبتهم لرسول الله ﷺ ومجالستهم له ، وما أحرز التابعون هذا الشرف العظيم إلا باجتماعهم بأصحاب رسول الله ﷺ .

وبما إن رسالة سيدنا محمد ﷺ عامة خالدة إلى يوم الساعة فإن لرسول الله ﷺ وراثاً من العلماء العارفين بالله تعالى ، يقتبسون من نوره ليضيئوا للإنسانية طرق الحق والرشاد ، فمن جالسهم سرى إليه من حالهم الذي اقتبسوه من رسول الله ﷺ ، ومن استقى من هدايتهم وإرشادهم فقد استقى من نبع رسول الله ﷺ وهؤلاء الوراثة هم الذين ينقلون للناس الدين ، مثلاً في سلوكهم ، حياً في أحوالهم ، واضحاً في حركاتهم وسكناتهم هم من الذين عناهم رسول الله ﷺ بقوله : ﴿ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك ﴾ .

لا ينقطع أثرهم على مر الزمان ولا يخلوا منهم قطر ، وهؤلاء الوراثة المرشدون صحبتهم ترياق محبوب ، والبعد عنهم سُمٌّ قاتل ، هم قوم لا يشقى بهم جليسهم ، فمرافقتهم هي العلاج العملي الفعال لإصلاح النفوس وتهذيب الأخلاق وغرس العقيدة ورسوخ الإيمان . لأن هذه

أمر لا تنال بقراءة الكتب ومطالعة الكراريس ، إنما هي خصال عملية وجدانية ، تقتبس بالإقتداء وتنال بالاستسقاء القلبي والتأثير الروحي . ومن ناحية أخرى فكل إنسان لا يخلو من أمراض قلبية وعلل خفية لا يدركها بنفسه كالرياء والنفاق والغرور والحسد والأنانية وحب الشهوة والظهور والعجب والكبر والبخل ، بل يعتقد أنه أكمل الناس خلقاً وأقومهم ديناً وهذا هو الجهل المركب والضلال المبين .

قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾ (٢٥).

فكما إن المرء لا يرى عيوب وجهه إلا بمرآة صافية مستوية تكشف له عن حقيقة حاله فكذلك لا بد للمؤمن من أخٍّ مؤمن مخلص ناصح صادق ، أحسن منه حالاً ، وأقوم خلقاً ، وأقوى إيماناً يصاحبه ويلازمه ، فيريه عيوبه النفسية ويكشف له من خفايا أمراضه القلبية ، إما بقاله أو بحاله ، ولهذا قال ﷺ : ﴿ المؤمن مرآة المؤمن ﴾ .

وعلينا أن نلاحظ إن المرايا أنواع وأشكال ، فمنها الصافية المستوية ومنها الجرباء التي تشوه جمال الوجه ومنها التي تكبر أو تصغر .

وهكذا الأصحاب فمنهم الذي لا يريك نفسك على حقيقتها فيمدحك حتى تظن في نفسك الكمال ويدخل عليك الغرور والعجب ، أو يذمك حتى تيأس وتقنط من إصلاح نفسك ، أما المؤمن الكامل فهو المرشد الصادق الذي صقلت مرآته بصحبة مرشد كامل ، ورث عن مرشد قبله وهكذا حتى يتصل برسول الله ﷺ ، وهو المرآة التي جعلها الله تعالى المثل الأعلى للإنسانية الفاضلة ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢٦).

فالطريق العملي الموصل لتزكية النفوس والتحلي بالكمالات الخلقية هو صحبة الوارث الحمدي والمرشد الصادق الذي تزداد بصحبته إيماناً وتقوى وأخلاقاً ، وتشفى بملازمته وحضور مجالسه من أمراضك القلبية وعيوبك النفسية ، وتتأثر شخصيتك بشخصيته التي هي صورة عن

٢٥ - الكهف : ١٠٤ ، ١٠٥ .

٢٦ - الأحزاب : ٢١ .

الشخصية المثالية ، شخصية رسول الله ﷺ .

من هنا يتبين خطأ من يظن أنه يستطيع بنفسه أن يعالج أمراضه القلبية وأن يتخلص من علله النفسية بمجرد قراءة القرآن الكريم والإطلاع على أحاديث الرسول ﷺ ، وذلك لان الكتاب والسنة قد جمعا أنواع الأدوية لمختلف العلل النفسية والقلبية ، فلا بد معهما من طبيب يصف لكل داء دواءه ولكل علة علاجها .

فقد كان رسول الله ﷺ يطبب قلوب الصحابة ويزكي نفوسهم بحاله وقاله فمن ذلك ما حدث مع الصحابي الجليل أبي كعب رضي الله عنه قال : (كنت في المسجد فدخل رجل فصلى فقرا قراءة انكرتها عليه ، ثم دخل آخر فقرا سوى قراءة صاحبه ، فلما قضا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول ﷺ فقلت : أف هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ، فدخل آخر فقرا سوى قراءة صاحبه ، فلما قضا الصلاة دخلنا جميعاً إلى رسول الله ﷺ فقلت : أف هذا قرأ قراءة انكرتها عليه ، فدخل آخر فقرا سوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول ﷺ فقرا ، فحسن النبي ﷺ شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقاً وكأني انظر إلى الله ﷻ فرقاً) .

ولهذا لم يستطع أصحاب رسول الله ﷺ أن يطببوا نفوسهم بمجرد قراءة القرآن الكريم ولكنهم لازموا مستشفى رسول الله ﷺ فكان هو المزكي لهم والمشف على تربيتهم كما وصفه الله تعالى بقوله : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ (٢٧) .

فالتزكية شيء وتعليم القرآن شيء آخر . إذ المراد من قوله تعالى (يزكيهم) ، يعطيهم حالة التزكية ، ففرق كبير بين علم التزكية وحالة التزكية كما هو الفرق بين علم الصحة وحالة الصحة والجمع بينهما هو الكمال .

وكم نسمع عن أناس متحيرين يقرؤون القرآن الكريم ويطلعون على العلوم الإسلامية الكثيرة ويتحدثون عن الوسوس الشيطانية وهم مع ذلك لا يستطيعون أن يتخلصوا منها في صلاتهم ،

فإذا ثبت في الطب الحديث إن الإنسان لا يستطيع أن يطب نفسه بنفسه ولو قرأ كتب الطب ، بل لابد من طبيب يكشف خفايا علله ، ويطلع على ما عمي عليه من دقائق مرضه فان الأمراض القلبية والعلل النفسية أشد احتياجاً للطبيب المركزي لأنها أعظم خطراً وأشد خفاء وأكثر دقة ، وقد ورث عن رسول الله ﷺ العلم والتقوى وأهلية التزكية والتوجيه .

وها نحن نورد لك من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ ، ومن أقوال علماء الشريعة من المحدثين والفقهاء والهداة المرشدين العارفين بالله ما يثبت أهمية صحبة الدالين على الله الوارثين عن رسول الله ﷺ ، وما في ذلك من الآثار الحسنة والنتائج الطيبة .

الدليل على أهمية الصحبة من كتاب الله تعالى :

• قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٢٨).

والصادقون : هم الصفوة من المؤمنين الذين عناهم الله بقوله : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ (٢٩).

• قال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (٣٠).

الخطاب هنا لرسول الله ﷺ من قبيل تعليم أمته وإرشادها .

• قال تعالى : ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ (٣١). أناب : رجع .

• قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ (٣٢).

٢٨ - التوبة : ١١٩ .

٢٩ - الأحزاب : ٢٣ .

٣٠ - الكهف : ٢٨ .

٣١ - لقمان : ١٥ .

٣٢ - الفرقان : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ .

- قال تعالى : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (٣٣).
- قال تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً ﴾ (٣٤).
- قال تعالى حاكياً على لسان سيدنا موسى عليه السلام حين التقى بالخضر عليه السلام بعد عزم صادق وعناءٍ طويل وسفر شاق : ﴿ هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ (٣٥).

الدليل على أهمية الصحبة من الأحاديث الشريفة

- قال رسول الله ﷺ : ﴿ أنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك وناfox الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك (يعطيك) ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، وناfox الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً منتنة ﴾ .
- عن ابن عباس رضي الله عنه قال : (قيل يا رسول الله أي جلسائنا خير ؟) قال : ﴿ من ذكركم في الله رؤيته ، وزاد في عملكم منطقته ، وذكركم في الآخرة عمله ﴾
- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل ﴾ .
- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى ﴾ قالوا : يا رسول الله أخبرنا من هم ؟ قال : ﴿ هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وأنهم لعلى نور ، ولا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ﴾ . وقرأ هذه الآية : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٣٦).
- قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسير : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ، وهذا يدل

٣٣ - الزخرف : ٦٧ .

٣٤ - الفرقان : ٥٩ .

٣٥ - الكهف : ٦٦ ، ٦٧ .

٣٦ - يونس : ٦٢ .

على إن المرید لا سبیل له إلى الوصول إلى مقامات الهدایة والمکاشفة إلا إذا اهتدى بشیخ یهدیه إلى سواء السبیل ویمجنه عن مواقع الاغالیط والأضالیل وذلك لان النقص غالب على أكثر الخلق وعقولهم غیر وافیة بإدراك الحق وتمیز الصواب عن الغلط ، فلا بد من کامل یقتدی به الناقص حتی یتقوی عقل ذلك الناقص بنور عقل الکامل ، فحینئذ یصل إلى مدارج السعادات ومعارج الکمالات .

• قال الشیخ إبراهیم الباجوری الشافعی : وإذا كانت المجاهدة على ید شیخ من العارفين كانت انفع لقولهم : حال رجل فی ألف رجل انفع من وعظ ألف رجل فی رجل ، فینبغي للشخص أن یلزم شیخاً عارفاً على الکتاب والسنة بأن یزنه قبل الأخذ عنه فإن وجده على الکتاب والسنة لازمه ، وتأدب معه فعساه یتسب من حاله ما یكون به صفاء باطنه .

• قال الفقیه المالکی عبد الواحد بن عاشر فی منظومة العقائد وعبادات فقه مالک : ففائدة الشیخ مع المرید هی إظهار العیوب القاطعة عن الله تعالى للمرید فیشخصها له ویریه دواءها ، ولا یتیم هذا إلا مع مرید صادق ألقى مقالید نفسه لشیخه وألزم نفسه أن لا یکتّم خاطراً ما عن شیخه ، وأما إذا کتمه ولو واحداً فلا ینتفع بشیخه ألبته .

• قال الطیبي صاحب حاشیة الکشاف : لا ینبغي للعالم ولو تبهر فی العلم حتی صار واحد أهل زمانه أن یقتنع بما علمه ، وإنما الواجب علیه الاجتماع بأهل الطریق لیدلوه على الطریق المستقیم ، حتی یكون ممن یحدثهم الحق فی سررائهم من شدة صفاء باطنهم ویخلص من الادناس ، وان یجتنب ما شاب علمه من کدورات الهوى ، وحظوظ نفسه الأمارة بالسوء حتی یستعد لفیضان العلوم ألدنیة على قلبه ، والاقتناس من مشکاة أنوار النبوة ولا یتیسر ذلك عادة إلا على ید شیخ کامل عالم بعلاج أمراض النفوس وتطهيرها من النجاسات المعنویة ، وحکمة معاملاتهما علماً وذوقاً لیخرجه من رعونات نفسه الأمارة بالسوء ودسائسها الخفیة ، فقد اجمع أهل الطریق على وجوب اتخاذ الإنسان شیخاً له یرشده على زوال تلك الصفات التي تمنعه من دخول حضرة الله بقلبه ، ولا شک أن علاج أمراض الباطن واجب ، فیجب على کل من غلبت علیه الأمراض أن یطلب شیخاً یخرجه من کل ورطة ، وإن لم یجد فی بلده أو إقلیمه وجب علیه السفر إلیه) .

أقوال العارفين بالله من رجال التصوف في فائدة الصحبة وآدابها :

• الإمام أبو حامد الغزالي : قال الدخول مع الصوفية : (إذ لا يخلو أحد من عيب أو مرض إلا الأنبياء عليهم السلام) .

وقال رحمه الله : (كنت في مبدأ أمري منكراً لأحوال الصالحين ومقامات العارفين حتى صحبت شيخني يوسف النساج ، فلم يزل يصقلني بالمجاهدة حتى حظيت بالواردات فرأيت الله تعالى في المنام فقال لي : ﴿ يا أبا حامد ، دع شواغلك واصحب أقواماً جعلتهم في أرضي محل نظري وهم الذين باعوا الدارين بجي ﴾ ، قلت بعزتك ألا أذقتني برد حسن الظن بهم . قال : ﴿ قد فعلت والقاطع بينك وبينهم تشاغلك بحب الدنيا فأخرج مختاراً قبل أن تخرج منها صاغراً ، فقد أفضت عليك أنواراً من جوار قدسي ﴾ ، فاستيقظت فرحاً مسروراً وجئت إلى شيخني يوسف النساج فقصصت عليه المنام ، فتبسم وقال : يا أبا حامد هذه ألواحنا في البداية بل أن صحبتني ستحل بصيرتك بأتمد التأييد ... الخ) .

• وقال رحمه الله : (يحتاج المريد إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل ، فإن سبيل الدين غامض ، وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ، فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقة لا محالة) .

• قال الأمير العارف بالله عبد القادر الجزائري في كتابه المواقف :

قال الله تعالى حاكياً قول موسى عليه السلام للخضر عليه السلام : ﴿ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ (٣٧) .

اعلم أن المريد لا ينتفع بعلوم الشيخ وأحواله إلا إذا انقاد له الانقياد التام ووقف عند أمره ونهيه مع اعتقاده الأفضلية والاكملية ولا يغني أحدهما عن الآخر ، كحال بعض الناس يعتقد في الشيخ غاية الكمال ويظن أن ذلك يكفيه في نيل غرضه وحصول مطلبه ، وهو غير ممثّل ولا فاعل لما يأمره الشيخ به أو ينهاه عنه .

وقال : (فالشيخ لا يعطي للمريد إلا ما أعطاه له استعدادة ، واستعدادة منطوٍ فيه وفي أعماله كالطبيب الماهر إذا حضر المريض وأمره بأدوية فلم يستعملها المريض ، فما عسى أن تغني عنه مهارة الطبيب ، وعدم امتثال المريض دليل على أن الله تعالى ما أراد شفاءه من علته فإن الله إذا أراد أمراً هياً له أسبابه) .

• قال الشيخ ابن عطاء الله السكندري رحمه الله :

(وينبغي لمن عزم على الاسترشاد ، وسلوك طريق الرشاد ، أن يبحث عن شيخ من أهل التحقيق ، سالك للطريق تارك لهواه ، راسخ القدم في خدمة مولاه ، فإذا وجده فليتمثل ما أمره ، ولينته عما نهي عنه وزجره) .

وقال : (شيخك هو الذي ما زال يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيها أنوار ربك ، أنهضك إلى الله تعالى فنهضت إليه ، وسار بك حتى وصلت إليه ، وما زال محاذياً لك حتى ألقاك بين يديه فزج بك في نور الحضرة وقال : ها أنت وربك) .

• قال الشيخ عبد الكريم الجيلي رحمته الله :

وإن ساعد المقدور أو ساقك القضا إلى شيخ حق في الحقيقة بارع

فقم لرضاه وأتبع لمراده ودع كل ما من قبل كنت تسارع

ولا تعترض فيما جهلت من أمره عليه فإن الاعتراض تنازع

ففي قصة الخضر الكريم كفاية بقتل غلام والكليم يدافع

فلما أضاء الصبح عن ليل سره وسل حساماً للغياهب قاطع

أقام له العذر الكليم وأنه كذلك علم القوم فيه بدائع

• قال العالم الرباني الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه العهود المحمدية :

(فاسلك يا أخي على يد شيخ ناصح ، يشغلك بالله تعالى حتى يقطع عنك حديث

النفس في الصلاة كقولك : أروح كذا ، وافعل كذا أو نحو ذلك ، والا فمن لازمك حديث

النفس في الصلاة ولا يكاد يسلم لك منه صلاة واحدة لا فرض ولا نفل فاعلم ذلك وإياك أن

تريد الوصول إلى ذلك بغير شيخ ، كما عليه طائفة المجادين بغير علم فان ذلك لا يصح لك

أبداً) .

وقال أيضاً : (فإن فائدة الشيخ إنما هي اختصار الطريق للمريد ومن سلك من غير شيخ تاه وقطع عمره ولم يصل إلى مقصوده لان مثال الشيخ مثال دليل الحجاج إلى مكة في الليالي المظلمة) .

وقال أيضاً : (ولو إن طريق القوم يوصل إليها بالفهم من غير شيخ يسير بالطالب فيها لا احتاج مثل حجة الإسلام الإمام الغزالي والشيخ عز الدين بن عبد السلام أخذ ادبهما عن شيخ مع أنهما كانا يقولان قبل دخولهما طريق القوم : كل من قال : إن ثمة طريقاً للعلم غير ما بأيدينا فقد افترى على الله ﷻ ، فلما دخلا طريق القوم كانا يقولان : قد ضيعنا عمرنا في البطالة والحجاب ، وأثبتنا طريق القوم ومدحاهما) .

ثم قال : (كفى شرفاً لأهل الطريق قول موسى ﷺ للخضر ﷺ : ﴿ هَلْ أَتَبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ ^(٣٨) .

• واعترف الإمام أحمد بن حنبل ﷺ لأبي حمزة البغدادي بالفضل عليه واعترف الإمام أحمد بن سريج رحمه الله لأبي القاسم الجنيد رضي الله عنه .

وطلب الإمام الغزالي له شيخاً يدلّه على الطريق مع كونه كان حجة الإسلام .

وطلب الشيخ عز الدين بن عبد السلام له شيخاً مع أنه لقب بسلطان العلماء وكان رضي الله عنه يقول : ما عرفت الإسلام الكامل إلا بعد اجتماعي على الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وأرضاه .

فإذا كان هذان الشيخان قد احتاجا إلى الشيخ مع سعة علمهما بالشريعة فغيرهما من باب أولى .

• قال أبو علي الثقفى : (لو إن رجلاً جمع العلوم كلها وصحب طرائف الناس لا يبلغ مبالغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ مؤدب ناصح . ومن لم يأخذ أدبه عن أمر له وناه يريه عيوب أعماله ورعونات نفسه لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات) .

• وقال أبو مدين رضي الله عنه : (من لم يأخذ الآداب من المتأدبين أفسد من يتبعه) .

• وقال الشيخ علي الخواص رحمته الله :

لا تسلكن طريقاً لست تعرفها بلا دليل فتتهوى في مهاوئها

فالصوفية طريقهم طويل والسير فيه صعب عسير ، وهو مملوء بالصعاب والعقبات والأودية والمفايزات ولا بد لسالكه من إتباع رائد أو دليل وهو الشيخ من العارفين .

• قال أبو علي الدقاق : الشجرة إذا نبتت من غير غارس فأثماً تورق ولا تثمر وهي كما قال . قد يجوز أنها تثمر كالأشجار في الأودية والجبال ولكن لا يكون لفاكهتها طعم فاكهة البساتين .

ولذلك من واجب المريد أن يحسن اختيار الشيخ ممن استقامت طريقته وخلصت نيته وحسن توجيهه وتربيته ، لأنه سيصبح له أباً معنوياً ووصياً عاماً وكلياً .

• يقول أبو النجيب السهروردي : ولدي من سلك طريقي واهتدى بهدي .

• ويقول الشيخ عمر السهروردي : يصير المريد جزءاً من الشيخ كما أن الولد جزء من الوالد في الولادة الطبيعية وتصير هذه الولادة آنفاً ولادة معنوية كما ورد عن عيسى عليه السلام : لن يلج ملكوت السماء من لم يولد مرتين . فبالولادة الأولى يصير له ارتباط بعالم الملك وبهذه الولادة يستحق ميراث الأنبياء ، ومن لم يصله ميراث الأنبياء وإن كان على كمال من الفطنة والذكاء فإنه لم يولد بعد .

• وقد ذكر شهاب الدين السهروردي : للمريد أوان ارتضاع وأوان فطام تشبيهاً بالوليد ولادة طبيعية فقال : فأوان الارتضاع أوان لزوم الصحبة والشيخ يعلم وقت ذلك فلا ينبغي للمريد في المفارقة إلا بعد علمه بأنه آن له أوان الفطام وأنه يقدر أن يستقبل بنفسه ومتى فارق أوان الفطام يناله من الإعلام في الطريق بالرجوع إلى الدنيا ومتابعة الهوى ما ينال المفطوم لغير أوانه في الولادة الطبيعية لإتباع الشيخ والتزود منه أهمية كبرى عند الصوفية وشرط من شروط طريق الواصلين حتى إن أبا يزيد البسطامي كان يقول : من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان ومن الألفاظ الدائرة عند الصوفية من لم ير مفلحاً لا يفلح .

والشيخ بعد أن يأتيه المريد يأخذ بيده ويدله على الطريق ويعلمه التوبة والزهد ويلقنه الأوراد والأذكار والدعوات ويلبسه الخرقة ويأخذ عليه العهد أو البيعة تشبيهاً ببيعة الرسول صلوات الله عليه التي

قال فيها الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ أَجْرٍ عَظِيمٍ ﴾^(٣٩) . ويعلمه الرياضة والمجاهدة والمكابدة ويعينه على قطع العقبات والترقي في الأحوال والمقامات ويفسر له الخواطر والأحلام ويرشده إلى مطعمه ولباسه وكلامه ومسلكه ويحضر على المريد الاعتراض والانتقاد لأن الشيخ كما يعتقد الصوفية له باب مفتوح إلى قلب المريد وباب آخر إلى العالم العلوي ، والمريد يقوم بتنفيذ أوامر الشيخ وتعاليمه بدقة بالغة ويتولى خدمته ويطلععه على أسرارهِ ويلازمه ملازمة تامة فلا يفارقه وإذا جلس في حضرته جلس ساكتاً منكس الرأس وإذا تكلم معه كان خافض الرأس وإذا تكلم معه كان خافض الصوت .

إن المريد الصادق إذا دخل تحت حكم الشيخ وصحبته وتأدب بآدابه يسري من باطن الشيخ حال إلى باطن المريد كسراج يقتبس من سراج ، ولا يزال المريد مع الشيخ كذلك متأدباً بترك الاختيار حتى يرتقي من ترك الاختيار مع الشيخ إلى ترك الاختيار مع الله تعالى ، ويفهم من الله كما يفهم من الشيخ .

فالشيخ واسطة مريديه إلى الله ، وانه أمين الإلهام كما أن جبريل عليه السلام أمين الوحي ، فكما لا يخون جبريل في الوحي ينبغي أن لا يخون الشيخ في الإلهام ، وكما إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينطق عن الهوى فالشيخ مقتدٍ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ظاهراً وباطناً ينبغي عليه أن لا يتكلم بهوى النفس .

كيفية إعطاء البيعة وتلقين المريد

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ أَجْرٍ عَظِيمٍ ﴾^(٤٠) .

ونذكر في بداية الموضوع سند التلقين ، فلا بد لطالب التصوف أن يأخذ البيعة عن شيخ كامل أو مرشد مجاز من قبل شيخ عارف يأخذ بيد المريد الجديد إلى طريق الحق فيجلس الطالب

٣٩ - الفتح : ١٠ .

٤٠ - الفتح : ١٠ .

أمام الشيخ ويضع يده في يده كما ورد في أسلوب تلقين السلف الصالح منذ البداية إلى يومنا هذا ويعطيه العهد وبعد ذلك يسير المريد على أثر الشيخ فينتقل في المراحل مرحلة بعد مرحلة حتى ينقى ويصفو .

أخذ الطريقة ثابت في القرآن الكريم ، وقد ورد في الحديث الشريف وسيرة الصحابة . ولما كانت البيعة هذا الفيض الروحي من المفيض إلى المستفيض ، فقد حذر الله تعالى من نقضها ، قال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾^(٤١) . فهناك إشارة في قوله (الإيمان) ولم يقل الإسلام وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾^(٤٢) .

• نذكرها بالسنة مفصلة :

١ . تلقين الجماعة : اخرج البخاري في صحيحه عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تواصلوا إلا في المعروف فمن أوفى منكم فأجره على الله ومن أصاب في ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له . ومن أصابه من ذلك شيء ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه ﴾ . فبايعناه على ذلك .

وعن شداد بن اوس رضي الله عنه وعبادة بن الصامت رضي الله عنه حاضراً يصدقه قال : كنا عند رسول الله ﷺ فقال : ﴿ هل فيكم غريب ﴾ [يعني من أهل الكتاب] فقلنا : لا يا رسول الله ، فأمر بإغلاق الباب فقال : ﴿ ارفعوا أيديكم وقولوا لا اله إلا الله ﴾ فرفعنا أيدينا وقلنا لا اله إلا الله ، ثم قال رسول الله ﷺ : ﴿ الحمد لله اللهم انك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة وأنت لا تخلف الميعاد ﴾ ، ثم قال : ﴿ ألا فابشروا فإن الله قد غفر لكم ﴾ .

٢ . وأما تلقين الأفراد فإن علياً رضي الله عنه ، سأل النبي ﷺ بقوله يا رسول الله دُلني إلى أقرب الطرق إلى الله تعالى وأسهلها عليّ عبادة وأفضلها عنده تعالى ؟ قال النبي ﷺ : ﴿ أغمض عينيك واسمع مني لا اله إلا الله ثلاث مرات ثم قلها ثلاثاً وأنا اسمع ﴾ ثم فعل ذلك برفع

٤١ - النحل : ٩١ .

٤٢ - الإسراء : ٣٤ .

الصوت .

• وعن جرير أيضاً قال : بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم .

• وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا رسول الله ﷺ : ﴿ فيما استطعتم ﴾ .

٣ . بيعة النساء :

• عن سلمى بنت قيس رضي الله عنها وكانت إحدى نساء بني عدي من بني النجار ، قالت : جئت رسول الله ﷺ مبايعة في نسوة من الأنصار فلما شرط علينا أن لا نشرك بالله ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف قال : ﴿ ولا تغششن أزواجكن ﴾ قالت : فبايعناه ثم انصرفنا فقلت لامرأة منهن : ارجعي فأسألي رسول الله ﷺ ما حرم علينا من مال أزواجنا ، قالت فسألتها فقال : ﴿ تأخذ ماله فتحابي به غيره ﴾ .

• وعن اميمة بنت رقية قالت : أتيت إلى رسول الله ﷺ من نسوة نبايعه فقلت : نبايعك يا رسول الله ﷺ على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيك في معروف ، فقال رسول الله ﷺ : ﴿ فيما استطعتن وأطعتن ﴾ ، فقلت : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا هلم نبايعك يا رسول الله ، فقال : ﴿ إني لا أصافح النساء إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة ﴾ .

وجاءت اميمة بنت رقية إلى رسول الله ﷺ فبايعته على الإسلام ، فقال : ﴿ أبايعك على إن لا تشركي بالله شيئاً ولا تسرقين ولا تزني ولا تقتلي ولدك ولا تأتي ببهتان تفتريه بين يديك وأرجلك ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾ .

٤ . مبايعة من لم يحتلم :

واخرج الطبراني عن عبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهما بايعا رسول الله ﷺ وهما أبناء سبع سنين فلما رآهما رسول الله ﷺ ، تبسم وبسط يده فبايعهما .

إن صحابة رسول الله ﷺ كانوا يبايعونه على حالات مختلفة فبايعوا على الإسلام وبايعوا

على أعمال للإسلام ، وبايعوا على الهجرة وعلى نصرته الجهاد وبايعوا على الموت في سبيل الله وبايعوا على السمع والطاعة .

بيعة الصحابة :

عن انس رضي الله عنه قال : قدمت المدينة وقد مات أبو بكر رضي الله عنه واستخلف عمر رضي الله عنه ، فقلت لعمر أرفع يديك أبايعك على ما بايعت به صاحبك قبلك على السمع والطاعة فيما استطعت . ثم نهج المرشدون الصوفية في إعطاء البيعة ، منهج الرسول صلوات الله عليه ، وقد فتح باب البيعة والتوبة شيخ الشيوخ سيدي عبد القادر الكيلاني رحمته الله على مصراعيه يدخل فيها المسلمون من كل ناحية من نواحي العالم الإسلامي ، وخلف الخلفاء في أكثر أقطار العالم الإسلامي يقومون بإرشاد المسلمين وإعطائهم البيعة المتبعة إلى يومنا هذا ، ولا يزال هناك مرشدون قائمون بواجبات الطريقة وخدمة الإسلام .

عاقبة نقض العهد :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٤٣).

إن نقض العهد يعود وباله على نفس الناقض ، فمن شأن المريد أن يحفظ ويوفي بعهده مع الله تعالى فإن إهمال العهد ونقضه في الطريقة الإشارة كما قالوا رحمهم الله : كالردة عن الدين لأهل الظاهر فيوشك أن يرتد عن دينه كله ، وقد ورد (المعاصي بريد الكفر) ، أي مقدمته .

• وورد في الحديث إن الرسول صلوات الله عليه يرى أقواماً من أمته يوم القيامة قد اخذ بهم ذات الشمال فيقول : ﴿ يا رب أمتي ؟ ﴾ فيقول : ﴿ انك لا تدري ما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري ﴾ ، فيقول صلوات الله عليه : ﴿ سحقاً .. سحقاً ﴾ .

وقال بعض العلماء إن هؤلاء لم يرتدوا عن أصل الدين وإنما ارتدوا عن فعل شيء من فروعه بدليل أنه صلوات الله عليه يشفع فيهم إذا سكن الغضب الإلهي وموافقة له .

• وقال سيد الطائفة الجنيد البغدادي رحمته الله في نقض العهد : كل تائب محب ومريد سالك

إلا إذا نُقِضَ عنده ونكث عهده ، ونبذ توبته ورمى إرادته ، ونكص على عقبه مرتداً وولى مدبراً ، وكأن مثلهم مثل الكلب أكل جيفةً وقاءً ثم عاد فيما قاء أكل فكان عاقبتهم إنهم في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين .

هل يجوز الانتماء إلى شيخ ميت

ورد في أقوالهم عليه السلام من الأقوال نوجزها كما يلي آملين الانتفاع بها والله ولي التوفيق :

• قال تعالى : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٤٤ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ۝٤٥ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ۝٤٦ ﴾ .

• ومن الحديث : ﴿ إن أمتي كالمطر لا يُدرى أوله خيراً أم آخره ۝ ﴾ .

لو صح أن ينتمي المريد إلى شيخ ميت ، لما كانت هناك الحاجة إلى وجود المرشدين الأحياء ، حيث أن الله تعالى كتب في سابق علمه أن المدد الواصل إلى خلقه من فيض رحمته يجري في كل عصر إلى الخاصة من العارفين الأحياء فيفزع الناس إليهم مستمدين منهم ومجتمعين إليهم .

• وذكر ابن حجر العسقلاني في مثال الشيخ في جمع فيض الرحمة وجعله مؤثراً في بعض أحيانه بالعدسة اللامة التي تجمع أشعة الشمس وتجعلها مؤثرة .

وقالوا من اعرض عنهم مستغنياً بكلام من تقدمهم من الأموات طبع عليهم بطابع الحرمان وكان مثله كمن اعرض عن نبي زمانه وتشريعهم مستغنياً بشرائع النبيين الذين خلوا ، فيسجل عليه بطابع الكفر ، ولو كان الاجتماع بالشيخ الميت بذي فائدة للمريد لما قال الشيخ عبد الكريم الجيلي رحمته الله :

٤٤ - البقرة : ١٠٦ .

٤٥ - آل عمران : ١٦٤ .

٤٦ - الرحمن : ٣٣ .

وإن ساعد المقدور أو ساقك القضا إلى شيخ حق في الحقيقة بارغ

فقم لرضاه وأتبع لمراده ودع كل ما من قبل كنت تسارغ

• وقال سيدي ابن عربي رحمه الله : إن الميت لا ينتفع به المريد هذا النفع من حيث تربية المريد والانتفاع في سيره إلى الله ومحاذاته في الطريق ولا يتيسر هذا إلا بصحبة الحي . إذن قيد الحياة شرط في الصحبة .

• قال الإمام الشعراني : ومن الواجب على المريد إذا مات شيخه أن يتخذ له شيخاً يريه زيادة على ما رباه شيخه الأول فان الطريق لا قرار له .

• وقال سيدي العارف بالله علي بن وفا : لا تزال تنتقل هذه الأنوار من قطب إلى قطب حي إلى ظهور المهدي الذي يختم الله به الأمة المحمدية .

• وقال الشيخ محمد الفاسي : وهنا نكتة عجيبة ونادرة غريبة إن فقراء هذا الزمان يتسبون إلى المشايخ الأموات ، ويقولون سيدي وشيخي فلان وسيدي فلان ، وهذا الذي انتسبوا إليه له مدة تحت أطباق الثرى ، فانتسابهم غير صحيح ولا لهم في طريق القوم تصحيح وكل هذا من ضعف الهمة ورداءة الفطنة ، لان الولادة المعنوية كالولادة الحسية ، فشرط والد الروح أن يكون في قيد الحياة موجوداً في الذات والصفات ، وهذه حقيقة الأبوة الروحية فالمنتسب إلى الشيخ الميت وان تنور ووجد له أثر أي ولو ذاق لذة في عباداته فلا تجده إلا ناقص تهذيب أو يكاد لا يوجد فيه شيء .

ومن هذا المعنى لا يصح شيخ من الأموات مع وجود الأحياء ، اللهم أن يكون على سبيل التبرك بهم والتعرض للنفحات الروحية لطلب الزيادة مع شرط وجود الشيخ المرشد الحي للمريد فلا بأس عندئذٍ بذلك ، هكذا اقتضت الحكمة الربانية ولا مبدل لآيات الله ، ومع وجود اتصال روحاني بنينا وحبينا عليه السلام ، لابد من اجتماع المريد المبتدئ بشيخ حي يراه ويجالسه ليدربه ويهديه إلى سواء السبيل فمشاهدة الشيخ الحي تعتدل بها أمزجة المريدين وتخدم نورانية الذاكرين لان غلبة نورانية الذاكرين لا تخدم إلا بمقابلة الأجساد الصقيلة لما في ذلك من الاستئناس بالحس والرجوع إلى الجنس ، فان مات الولي المسلك وله تلاميذ قد سلك بهم صراط المستقيم ، ونهج بهم نهج الرسول القويم عليه السلام ، فإنهم بعد نقله للآخرة لا ينتفعون منه بشيء وعليهم الاجتماع إلى

من أشار شيخهم من وارث لعلمه .

هل يجوز اتخاذ أكثر من شيخ ؟

انظر يا أخي إلى سيد المرسلين ﷺ ، كيف كان جبريل الكليل واسطة بينه وبين الله تعالى ، يعلمه الوحي وكما إن اتخاذ الشيخ واجب لا يستغني عنه المريد ، فإن اتخاذ الشيخ الواحد ضرورة لازمة للمريد فتعدد الأشياء لا نفع فيه لأن المرء ما خلق له من قلبين في جوفه .

إننا نرى في زماننا هذا فساد الكثيرين من أهل العقائد الذين راحوا يشرعون من تلقاء أنفسهم وهواهم ما يطيب لهم من التشريع دون أن يقتدوا بما وصفوا أسلافهم من علوم عليّة ، لذا نورد أقوال السلف في ذلك :

• قال الإمام الشعراي : ومن شأن المريد أن لا يكون له إلا شيخ واحد فلا يجعل له قط شيخين .

• قال الشيخ محيي الدين بن عربي : أعلم أنه لا يجوز لمريد أن يتخذ له إلا شيخاً واحداً ، لأن ذلك أعون له في الطريق وما رأينا مريداً قط أفلح على يد شيخين .

• وقال أبو يزيد البسطامي رحمه الله : من لم يكن له أستاذ واحد فهو مشترك ، والمشارك شيخه الشيطان . وقال : أخذت طريقي عن شيخي نفساً بنفس .

كما لا يخفى إن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين إنما لم يكونوا يتقيدون بشيخ واحد بل هم كان أحدهم يأخذ عن مائة شيخ لأنهم ﷺ كانوا مطهرين من الأدناس والرعونات فكل واحد منهم كامل لا يحتاج إلى من يسلكه . فلما كثرت الأمراض واحتاجوا إلى علاجها أمرهم الشيوخ بالتقيد على شيخ واحد لئلا يتبدد حال المريد ويطول عليه الطريق .

المحبة

المحبة لا يمكن حدها بحدود لأنها لا حدود لها ، وما وضع لها من حدود وتعريف لا تزيدها إلا خفاء ، فهي حالات ذوقية تفيض من نور المحبوب تهدى إليه لا ارتواء فيها حتى يذوب المحب في محبوبه ويفقد عناصره فيصبح نسخة منه ، وبدون المحبة ترى كل شيء جافاً لا حياة فيه فهي ماء الحياة الذي بلغه المحبون فهاموا واستزادوا وكلما استزادوا زيدوا وهذا حالهم ، وكل ما قيل في المحبة في كتب القوم ما هي إلا آثار لها تركتها فيهم فعبروا عن هذه الآثار ، فكيف يمكن رسم الحدود والتعاريف لها وهي فيض من نور الله توصل إلى الله الذي ليس كمثله شيء .

• قال ابن الدباغ رحمه الله : فأن المحبة لا يعبر عنها حقيقة إلا من ذاقها ، استولى عليه من الذهول على ما هو فيه أمر لا يمكنه معه العبارة ، كمثله من هو طافح سكرراً إذا سُئل عن حقيقة السكر الذي هو فيه ، لم يمكنه العبارة في تلك الحالة لاستيلائه على عقله . والفرق بين السكرين أن سكر الخمر عرضي يمكن زواله ويعبر عنه في حين الصحو ، وسكر المحبة ذاتي ملازم لا يمكن من وصل إليه أن يصحو عنه حتى يخبر فيه عن حقيقة كما قيل :

يصح من الخمر شاربوها والعشق سكر على الدوام

• قال ابن عربي : وما من الموجودات إلا محب حتى السالب والموجب وهما أقوام الوجود حتى ذرات الطبيعة يمسكها الحب أن تنزل أو تحول فالعالم كله محب ومحبوب ولكن صور الحب خداعة اتخذت ألوانها حُجباً ومظهراً مضمرة فما تنفس الحب في قلب إنسان لغير خالقه ولكنه احتجب بحجب زينب وهند وليلي والدرهم والدينار والجاه وكل مرغوب محبوب من شهوات الدنيا .

وراح ابن عربي رحمه الله يبين سبب الحب في الأعماق البشرية وغيرها وقال :

فالحب سبب الجمال وهو الله . والله جميل يحب الجمال ، فإن أحببت إلا الله فإنه هو الجميل . وإنما أخرج الله العالم ليكون مرآته يرى نفسه فيه مما أحب إلا نفسه .

• قال المحاسبي في المحبة : ميلك إلى الشيء بكليتك ثم إثارة على نفسك وروحك ومالك وموافقته لك سرّاً وجهراً ثم علمك بتقصيرك في حبه .

ويعتقد بعض النقاد إن المحبة تورث الترخص في الدين ورفع التكاليف الشرعية وهذا مرفوض

قطعاً . فقد قال يحيى بن معاذ : (ليس بصادق من ادعى إلى المحبة ولم يحفظ حدوده) . ومن عبارة جلال الدين الرومي التي يقول فيها : (الحب دواء العجب والرياء وطبيب جميع الأدواء ولا يكون الإيثار صادقاً إلا عنده من مَزَق الحب ثوبه) . فليس من يعبد الله طمعاً بجنته أو خوفاً من ناره كمن يعبد الله حباً لذاته وطمعاً في محبته إياه فالفرق شاسع بين الجنة التي هي مخلوق وبين الخالق العظيم .

دليلها من الكتاب والسنة

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (٤٧).

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ (٤٨).

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ (٤٩).

محبة الله تعالى للعبد إرادة تقريبية وإكرامه وتولييه بعنايته في جميع أحواله ، فمن أحبه الله تعالى عامله بلطفه وجاد عليه بإحسانه وفتح عليه ما يبلغه أمله ، ولا يدركه كده وعمله ، ومحبة العبد لله تعالى تعلق القلب بذكره ودوام الشغف به والتنعيم بمناجاته والتلذذ بخدمته وصدق الشوق إليه والاكتفاء به عن كل ما سواه .

• قال رسول الله ﷺ : ﴿ اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك . اللهم أجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي والماء البارد ﴾ .

• قال ﷺ : ﴿ ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار ﴾ .

• قال ﷺ : ﴿ إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء

٤٧ - آل عمران : ٣١ .

٤٨ - البقرة : ١٦٥ .

٤٩ - المائدة : ٥٤ .

والشهداء ﴿ ٥٠ ﴾ ، قال رجل فمن هم وما أعمالهم لعلنا نخبرهم ؟ قال : ﴿ قوم يتحابون بروح الله ﷻ من غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ، والله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ﴾ .

• قال تعالى في الحديث القدسي : ﴿ لا يزال عبيدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ﴾ .

• ويقول ﷻ لصحابة الرسول رضوان الله عليهم أجمعين محذراً لهم من نقض شروط المحبة وحثاً على الإيفاء بها : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ (٥٠) .

والحب عند الله تحبه جميع المخلوقات حتى الحجر والمدر والنبات والبهائم وغيرها فتلتصق به الريح حباً وبظلمة الغمام ، ويكون مقبولاً في السماء والأرض تحبه الملائكة كما قال سيد الكائنات حبيبنا محمد ﷺ : ﴿ إذا أحب الله عبداً دعا جبريل فقال أني أحب فلاناً فأحبه ، فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب فلان فأحبه فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في الأرض ﴾ .

والقرآن والسنة مملوءان بذكر من يحبه الله وبذكر من لم يحبه من أعمالهم وأقوالهم وأخلاقهم : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (٥١) . ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥٢) . ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٥٣) . ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (٥٤) .

وقد جعل الله حب الله ورسوله من شروط الإيمان في أحاديث كثيرة ، فقال : ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين ﴾ .
والحبة تورث ألمعية حيث قال رسول الله ﷺ : ﴿ يُحْشَرُ المرء مع من أحب ﴾ .

٥٠ - المائدة : ٥٤ .

٥١ - آل عمران : ١٤٦ .

٥٢ - آل عمران : ١٣٤ .

٥٣ - البقرة : ٢٢٢ .

٥٤ - آل عمران : ٥٧ .

• وقال ﷺ : ﴿ من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ﴾ .

وأوحى الله إلى عيسى عليه السلام : ﴿ إني إذا اطلعت إلى سر عبدي فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته بحبي وتوليته بحفظي ﴾ .

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : ﴿ يا داود ذكرى للذاكرين ، وجنتي للعابدين ، وزيارتي للمشتاقين ، وأنا خاصة المحبين ﴾ .

وأوحى الله تعالى إلى آدم عليه السلام : ﴿ يا آدم من أحب حبيباً صدق قوله ، ومن أنس بحبيبه رضي فعله ، ومن اشتاق إليه جد في سيره ﴾ .

وأوحى الله تعالى إلى يحيى بن زكريا عليهما السلام : ﴿ يا يحيى أني قضيت على نفسي أنه لا يحبني أحد من خلقي ، اعلم ذلك من نيته ، إلا كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به وفؤاده الذي يعقل به فإذا كنت كذلك بغضتُ إليه أن يشتغل بغيري وأدمت فكره وأسهرت ليله وأظلمات نهاره ، أنظرُ إليه في كل يوم سبعين نظرة فأرى قلبه مشغولاً بي فأزداد من حبه ، وأملأ قلبه نوراً حتى ينظر بنوري ، فكيف يسكن يا يحيى قلبه وأنا جليسه وغاية أمنيته وعزتي وجلالي لا بعثته مبعثاً يغبطه النبيون والمرسلون ، ثم أمر منادياً ينادي : هذا حبيب الله وصفيه دعاه إلى زيارته ، فإذا جاءني رفعت الحجاب بيني وبينه ﴾ ، فلما ذكر الحجاب صاح يحيى عليه السلام صيحة فلم يبق ثلاثة أيام ، فلما أفاق قال : فمن لم يرض بك صاحباً فبمن يرضى وكيف أصاحب خلقتك وقد دعوتني إلى مصاحبتك .

أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : ﴿ يا داود من طالبني قتلته في هواي شوقاً إلى لقاءي ، من أحبني أحبته أي أشغفته حتى لأجد له دوني ﴾ .

أقوال العلماء في المحبة

الإمام الغزالي : من ادعى حب الله وشكا من البلوى فهو كذاب .

وقالت رابعة :

هذا لعمرى في القياس بديع	تعصي الإله وأنت تظهر حبه
إن المحب لمن يحب مطيع	لو كان حبك صادقاً لاطعته

وقال ابن عربي : إن الحب ليس دعوى يلفظها اللسان ويتصورها الخيال ، بل للحب آيات وشهود وشروط فينبغي على المحب :

- أن يصم سمعه إلا عن كلام محبوبه .
- ويعمي عينه عن كل منظور سوى وجه محبوبه .
- ويخرس لسانه عن كلام إلا عن ذكر محبوبه .
- ويرمي على خزانة خياله فلا يتخيل سوى صورة محبوبه ، فيه يسمع وبه يبصر وبه يتكلم وله يتكلم .

وقال عليه السلام : واعلم انه كلما ازدادت المشاهدة ازداد الحب لان الاشتياق يهيج باللقاء ومن علامة المحب أن يستقل الكثير من نفسه ، ويستكثر الكثير من محبوبه لان المحبوب غني فقليله كثير ، والمحـب فقير فكثيره قليل ، وان يستريح لكلام محبوبه هائم القلب يؤثر محبوبه على كل مصحوب .

ومن عجب إني أحـن إليهم وتشتاقهم نفسي وهم بين أضلعي
واسأل شوقاً عنهم وهم معي
ويقول عليه السلام : إن الله يحبنا لنا ولنفسه فأما حبه إيانا لنفسه ، فهو قوله : ﴿ وأحببت أن اعرف فخلقت الخلق فتعرفت أليهم فعرفوني ﴾ . وأما حبه لنا فلما عرفنا به من الأعمال التي تؤدي بنا إلى سعادتنا ونجاتنا ، ومن إحسانه بعث الرسل إلينا فكلما ازداد إيمان الفرد ازداد حبه ، ولا بأس أن نقول كلما ازداد حبه ازداد إيمانه وقوّت عقيدته ورسخت ، فكلما ازداد حبه لك مضاعفاً وفي ذلك قوله في الحديث القدسي : ﴿ كلما تقرب ألي عبدي شبراً ، تقربت إليه ذراعاً ﴾ .

فبقدر الاستعداد والإخلاص يحول الله بحبه الروح إلى راضية ومطمئنة لا يصدر عنها شر ولا عدوان وهو أن يصل الإنسان إلى حب كل شيء في الوجود حين يتصور إن كل شيء من صنع المحبوب فيحب جميع الموجودات لأجله ، سئل صوفي عن المحبة فقال : هي الموافقة وانشد :

ولو قلت لي مُت مُتُ سمعاً وطاعةً وقلت لداعي الموت أهلاً ومرحباً

ابن الفارض :

ولاح سر خفي يدره من كان مثلي فالموت فيه حياتي وفي حياتي قتلي
وكان بلال رضي الله عنه يعالج سكرات الموت باسماء وهو يقول : وافرحته غداً ألقى الأحبة مُجِداً
وصحبه .

• وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : من ذاق من خالص محبة الله وَعَلَى شغله ذلك عن طلب
الدنيا وأوحش عن جميع البشر .

• وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه : مثقال خردلة من الحب أحب إلي من عبادة سبعين سنة بلا
حُب .

• وقالت رابعة العدوية رحمها الله : من يدلنا على حبيبنا ؟ فقالت جارية لها : حبيبنا معنا
ولكن الدنيا قطعتنا عنه .

وقال ذو النون المصري : ما اولع أمرؤ بذكر الله تعالى إلا استفاد محبة الله .
• قال الإمام القشيري رضي الله عنه : من الأحوال السنية في المحبة الشوق ولا يكون الحب إلا
مشتاقاً أبداً لأن الحق تعالى لا نهاية له ، فما من حال يبلغها الحب إلا ويعلم أن وراء ذلك أوفى
منها وأتم ، وقال : ثم هذا الشوق الجاذب عنده ليس هو كسبه وإنما هو موهبة حُص الله تعالى
بها المحبين .

• وقال أحمد بن أبي الحواري رضي الله عنه : دخلت على أبي سليمان الداراني رضي الله عنه ، فرأيت
يكي فقلت : ما يبكيك رحمك الله ؟ قال : ويحك يا أحمد ، إذا جُن هذا الليل وافتترش أهل
المحبة أقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم ، أشرف الجليل جَلَّالَهُ عليهم ، وقال : ﴿ بعيني من
تلذذ بكلامي واستراح إلى مناجاتي واني مطلع أليهم في خلواتهم ، اسمع أنينهم وارى بكاءهم ،
يا جبريل ناد فيهم ما هذا البكاء الذي أراه فيكم ، هل أخبركم مخبر إن حبيباً يُعَذِّبُ أحبائه
بالنار ، بل كيف يحمل بي أن أعذب قوماً إذا جُن عليهم الليل تملقوني ، في حلفت إذا وردوا
يوم القيامة على أن أسفر لهم عن وجهي وأبيحهم رياض قدسي ﴾ .

• قال السري السقطي رضي الله عنه : من أحب الله تعالى عاش ، ومن مال إلى الدنيا طاش ،
والأحمق يغدو ويروح في غير شيء .

• قال سهل بن عبد الله : المحبة عطف الله بقلب عبده إلى مشاهدته بعد فهم المراد منه .

- وقال أبو يزيد البسطامي : المحبة إثارة المحبوب عن كل مصحوب .
- وقال الجنيد رضي الله عنه عن المحبة لله تعالى : عبد ذهب عن نفسه واتصل بذكر ربه وأقام بأداء حقوقه ونظر إليه بقلبه ، فأن تكلم فبالله وأن سكت فمع الله .
- كما قال رضي الله عنه : بكى يونس عليه السلام حتى عمي وقام حتى انحنى وصلى حتى اقعد وكان يقول : وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك بحار من نار لخضتها شوقاً مني إليك .
- وقال بعضهم رأيت في جبل لكاهم رجلاً أحمر نحيف البدن وهو يفر من حجر إلى حجر ويقول :

إنما الشوق والهوى حيرني كما ترى

- ويقال : المحبة أن تكون للمحبوب كالمملوك حتى لا يكون لك منك شيء .
- قال سمنون : ذهب المحبون بشرف الدنيا والآخرة لان النبي محمد ﷺ يقول : ﴿ المرء مع من أحب ﴾ .
- قال المحاسبي : المحبة ميلك إلى المحبوب بكليك ثم إثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سراً وجهراً ثم علمك بتقصيرك في حبه .
- ودخل جماعة على الشبلي وهو في المارستان فقال : من أنتم فقالوا أحبابك فرماهم بحجر فهربوا ، فقال : يا كذبة لو كنتم أحبابي لما هربتم من بلائي .

الحب لذات الله :

- الصوفية يحبون الله لا خوفاً ولا طمعاً بل يحبونه لذاته لأنه أهلاً للحب وتلك مثالية في الحب لم تعرف لغير هؤلاء الصفة الربانية .
- قال أبو يزيد البسطامي : الناس يخشون الموت وأنا أتمناه حتى إذا جاء يوم الحساب هتف بي ربي ، يا عبدي : فأقول لبيك ، ثم يفعل بعد ذلك ما يشاء .
- هكذا يرون ويتمنون مناجاته لهم ، لا يريدون سواه ، فقول الله له يا عبدي تكفيه عن كل شيء فهو ألدُّ عنده من الجنان والخور الحسان ، هذا سبيلهم في الحب فهم لا يعشقون سواه فهو وسيلتهم وهو غايتهم فيه يحبون وإليه يقصدون .

إن المريد إذا أحب الشيخ المحبة الكاملة ، سكن الشيخ معه في ذاته وتكون محبته خالصة دائمة فلا يزال أمر الشيخ يظهر في ذاته إلى أن يفتح الله عليه ، وتارة تكون متقطعة بعد أن كانت صادقة وانقطاعها بسبب عروض مانع . نسأل الله السلامة منه فتتبدل نيته وتنقطع أسرار الشيخ عنه بعد أن كانت ساطعة فيه وتارة تقف محبته ثم تعود مدة قد تطول أو تقصر فتقف أسرار ذات الشيخ عنه وإذا ما رجعت المحبة رجعت الأسرار ، فالمريد لا ينقطع بمحبة شيخه حتى إذا أحبه لسره أو لولايته أو لعلمه أو لكرمه أو لنحو ذلك من العلل ثم تتطور هذه المحبة حتى تكون محبته متصلة بذات الشيخ متوجهة إليه لا لعلة ولا لغرض مثل المحبة التي تكون بين الصبيان الأبرياء فأن بعضهم يحب بعضاً من غير أغراض باعثة على المحبة بل مجرد الألفة لا غير ومثل هذه المحبة هي التي ينبغي أن تكون بين المريد والشيخ حتى لا تزهد للأغراض والعلل والممار ذكرها لان العلل مهما كانت دخلها الشيطان وأكثر من الوسوس وقد تنقطع أو تقف فتحقق محبة الشيخ تكون لخصوص ذاته لا لما عنده من الأسرار كي تكون المحبة خالصة لله تعالى لان الذات المجردة لا يتوقع منها نفع ولا غير ذلك فإذا توجهت المحبة نحوها كان ذلك علامة الخلو من الشوائب .

حكايات في المحبة

- ومن حكايات المشتاقين ما حكى عن شقيق البلخي رحمته الله قال : رأيت في طريق مكة مقعداً يزحف على الأرض فقلت له : من أين أقبلت ؟ قال : من سمرقند . قلت : فكم لك في الطريق ؟ فذكر أعواماً تزيد على العشرة ، فرفعت طرقي انظر إليه متعجباً فقال لي : يا شقيق مالك تنظر ألي ؟ فقلت متعجباً من ضعف مهجتي وبُعد سفرتك ، فقال لي : يا شقيق أما بُعد سفرتي فالشوق يقربها ، وأما ضعف مهجتي فمولاي يحملها ، يا شقيق أتعجب من عبد ضعيف يحمله المولى اللطيف ؟ وانشد يقول لعله يستعده :

أزوركهم والهوى صعب مسالكه والشوق يحمل من لا مال يحمله
ليس المحب الذي يخشى مهالكه كلا ولا شدة الأسفار تبعده
• وحكي عن بعض الصالحين قال : رأيت في الطواف شاباً غلاماً نحيف الجسم دقيق
الساقين وهو يبكي ويقول : يا شوقاه لمن يراني ولا أراه فقلت له : من هو ؟ فانشد :
ولي حبيب بلا كيف ولا شبه ولي مقام بلا ربع ولا خيم
أتيت من دار عشق لا أمثلها من عند لم أطق وصاله بفم
قال ثم غشي عليه زماناً فحركناه فوجدناه قد مات ﷺ .

• وروى إن أبا عبد الله اشترى جارية فلما دخل داره قال : قومي وافرشي الثياب .
قالت ماذا تصنع يا مولاي ؟

قال : أنام .

قالت : ألك مولى ؟

قال : نعم .

قالت : اينام مولاك ؟

قال : لا .

قالت : أما تستحي أن تنام ومولاك لا ينام ؟

وكانت حبيبة العدوية تقول :

عجباً للمحب كيف ينام كل نوم على المحب حرام

• كان يوماً عند الشبلي جماعة من الفقراء فأصابتهم فاقه وشدة فكتب إلى وزير الخليفة
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أما بعد .. وجه ألينا من دنياك شيئاً ، فكتب الوزير على ظهر الرقعة :
يا شبلي سل دنياك من مولاك .

فكتب إليه الشبلي : إنما الدنيا شيء دني ولا يُسأل الديني إلا من ديني ، الدنيا هذه ولك
منها عبرة ، فمن يريد العبرة فهو أقل من العبرة : فوجه إليه عشرة آلاف درهم .

• وقال أبو الفتح ، دخلت على الشبلي يوماً في مرضه فقلت : ألا تأتيك بطبيب ؟

فقال لي :

كيف أشكو إلى طيبي طيبي والذي قد أصابني من طيبي

فصاحب المحبة ساعة يطلب وساعة يهرب وساعة يحزن وساعة يطرب ليس له حال دائم
ولا أمر قائم ، وكيف يدوم حال من يذبح ساعة ويحبي ساعة ويشقى ساعة ويُغني ساعة .
• وقال الجنيد ^{رضي الله عنه} : رأيت صبيّاً يضرب شيخاً والشيخ يضحك فقلت له : لم تضحك ؟
قال : كيف لا اضحك ويده روحي وسوطه قلبي وعيشه عيشي ، فكيف أشكو من
نفسي .

• قال سمنون : كان في جيرتنا رجل له جارية وكان معها متبتلاً شديداً الميل لها .
فاعتلت الجارية فقام الرجل يصلح لها حساءً ، فبينما هو يحرك القدر بيده حتى تساقطت
أصابعه ، فقالت الجارية : ماذا صنعت ؟
فقال الرجل : هذا موضع قولك آه .

• حكى أن أبا الحسن النوري جاء إلى الجنيد ^{رضي الله عنه} فقال بلغني أنك تتكلم في شيء من
المحبة ، فتكلم فيما شئت حتى أردته عليك ، فقال الجنيد : أحكي لك حكاية ، كنت أنا وجماعة
من أصحابنا في بستان فأبطأ علينا من يجيئنا بما نحتاج إليه فصعدنا بطلع ، وإذا بضيرير معه غلام
جميل الوجه والضيرير يقول له أمرتني يا هذا بكذا وكذا فامثلت ونهيتني عن كذا وكذا فتركت وما
خالفتك في شيء تريد ، فماذا تريد مني ؟

قال الغلام أريد أن تموت ، فقال الضيرير : ها أنا إذاً أموت وتمدد وغطى وجهه فقلت
لأصحابي ، ما بقي على هذا الضيرير شيء قد تشبه بالموتى ، لكن لا يمكنه الموت في الحقيقة
فنزلنا إليه فحركناه فإذا هو ميت ، فقام النوري وانصرف .

• حكى إن بعض المتحابين ركبا في البحر فسقط أحدهما في البحر وغرق ، فألقى الآخر
نفسه في البحر فقام الغواصون فأخرجوهما سالمين ، فقال الأول لصاحبه : أما أنا فسقطت في
البحر فأنت لم ألقيت نفسك ؟ فأنشده :

أنا غايب عنك عني توهمت إنك أني

الرابطة

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٥٥).

قال الرازي في تفسيره : فالوسيلة هي التي يتوسل بها المقصود . ودلت الآية على انه لا سبيل إلى الله تعالى إلا بمعلم يعلمنا معرفته ومرشد يرشدنا إلى العلم به ، وذلك لأنه أمر بطلب الوسيلة إليه مطلقاً والإيمان به من أعظم المطالب واشرف المقاصد ، فلا بد فيه من الوسيلة ، وانه تعالى إنما أمر ابتغاء الوسيلة إليه بعد الإيمان .

والوسيلة عند القوم أما بالنبي ﷺ ، وأما النائبين منابه ، أما النبي ﷺ فهو لا يظهر للعوام والسالكين إلا من الباب الروحي أو في المنام ، وأما النائبون منابه فهم العلماء العاملون وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٥٦).

يقول الرازي في تفسيره الآية : انه تعالى أمر المؤمنين بالكون مع الصادقين ، وحتى وجب الكون مع الصادقين لابد من وجود الصادقين في كل وقت ونهى عن مفارقتهم وذلك مشروط بوجود الصادقين ، ومن لا يثبت الواجب إلا به فهو واجب ودلت هذه الآية على وجود الصادقين . وقال الرازي رحمه الله : نحن نعتزف بأنه لابد من معصوم في كل زمان .

فالكينونة معهم تقتضي الكون معهم صورةً ومعنىً ، فالكينونة المعنوية بالرابطة وهو عند أهله مشروع .

وقال تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٥٧).

وفي ذلك إشارة إلى الرابطة فإن الإتيان يقتضي رؤية المتبوع حساً أو تخيلاً ومعنىً ، وهذا هو الغرض من الرابطة والا فلا يعد إتباعاً .

قال ﷺ : ﴿ إن أرواح المؤمنين لتلتقي على مسيرة يوم وما رأى أحدهم صاحبه ﴾ .

٥٥ - المائدة : ٣٥ .

٥٦ - التوبة : ١١٩ .

٥٧ - آل عمران : ٣١ .

ذكر الإمام البخاري رحمه الله : إن سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، شكا إلى النبي محمد ﷺ عدم انفكاكه عنه حتى في الخلاء أيضاً ، بحسب الروحانية وكان رضي الله عنه يأخذه الحياء منه ﷺ .
وروي أن ثوبان مولى النبي ﷺ ، أتاه يوماً وقد تغير وجهه ونحل جسمه ، فسأله عن حاله ، فقال : ما بي من وجع غير إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة على لقاءك ، ثم ذكرت الآخرة فخفت أن لا أراك هناك لأني عرفت أنك ترفع مع النبيين وإن لم ادخل فذاك حين لم أرك أبداً فقال ﷺ : ﴿ والذي نفسي بيده لا يؤمن عبداً حتى أكون أحب إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين ﴾ .

• فقد قال في الرابطة من كل مذهب من المذاهب الأربعة أئمة تصريحاً وتلويحاً وها أنا أعد بعض ما ذكره مع تعيين الأماكن ليراجع من ليس في قلبه مرض ولا ينكر على الأولياء لمجرد إتباع الهوى والغرض فأقول وبالله التوفيق وهو الهادي إلى سواء الطريق : قد صرح بالتصوف والإمداد الروحانيين جماهير المفسرين في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ ^(٥٨) .
ومنهم صاحب الكشف مع انحرافه عن الاعتدال والأنصاف ، فسر (البرهان) بأن يوسف عليه السلام سمع صوتاً (إياك وإياها) ، فلم يكثر له سمعه ثانية ، فلم يعمل به فسمعه ثالثة (اعرض عنها) ، فلم ينجح فيه حتى مثل له يعقوب عاضاً على انمولته وقيل ضرب بيده في صدرها إلى آخر ما قال .

• وقال من أئمة الحنفية الشيخ الإمام أكمل الدين في شرق المشارق في حديث (من رآني الخ) الاجتماع بالشخص يقظةً ومناماً لحصول ما به الاتحاد وله خمسة أصول كليه .
الاشتراك في الذات أو في صفته وتصاعداً ، أو في الأفعال أو في المراتب أو كل ما ينفع من المناسبة بين شيئين أو شيئاً لا يخرج عن هذه الخمسة ، فتقوى المحبة بحيث يكاد الشخصان لا يفترقان وقد يكون بالعكس . ومن حصل الأصول الخمسة وثبتت المناسبة بينه وبين أرواح الكُمل الماضين والحاضرين اجتمع بهم متى شاء .
• ومن أئمة الشافعية الإمام الغزالي في الإحياء : في تفصيل ما ينبغي أن يخطر على القلب

عند كل ركن من أركان الصلاة ، ما نصه : (واحضر في قلبك النبي ﷺ وشخصه الكريم ،
وقل السلام عليك أيها النبي وليصدق املك في أنه يبلغه ويرد عليك ما هو أوفى منه) .

• وقال منهم العلامة الشهاب بن حجر المكي في شرح العباد في بيان معان الكلمات :
التشهد ما نصه : (وخطب رسول الله ﷺ كأنه إشارة إلى انه يكشف له على المصلين من
أمته حتى يكون كالحاضر معهم ليشهد لهم بفضل أعمالهم ويكون تذكر حضوره سبباً لمزيد
الخشوع والحضور) .

• وقال الشيخ العارف السهروردي الشافعي في العوارف في باب أهل القرب ومن عباداته :
(يسلم على النبي ﷺ ويمثله بين عيني قلبه) .

• وقال من أكابر الحنفية العلامة الشريف الجرجاني في أواخر شرح المواقيف ... الخ شرحه
على التاجية ، وقال من أئمة الحنابلة الغوث الأعظم والإمام الافخم سيدي الشيخ عبد القادر
الكيلاني رحمه الله ما معناه : (إن للفقير أي السالك طريق القوم رابطة قلبية مع الأولياء ويستفيد
منهم بسبب تلك الرابطة باطناً فلا بأس بعدم إكرامه ظاهراً بخلاً ليس له رابطة معهم) .

• وصرح العلامة الشهاب ابن حجر في أواخر شرح الشمائل وفاقاً للحافظ الجلال
السيوطي في كتابه التنوير الحلك في رؤية النبي والملك أنه حكى عن ابن عباس رضي الله عنهما : (أنه رأى
رسول الله ﷺ في النوم فدخل على بعض أمهات المؤمنين فأخرجت له مرآته ﷺ ، فرأى
صورته ولم ير صورة نفسه) . وهذا هو الفناء في الرابطة في اصطلاح القوم .

لا يقال ليس في صورة النبي ﷺ ، لأننا نقول إن هذا ليس من خصائص الأنبياء وكل ما
هو كذلك فهو مشترك بينهم وبين الأولياء ولا شك في هذا عند أهله .

فالرابطة أقرب الطرق إلى الفناء في الشيخ الذي هو مقدمة الفناء في الله ومنهم من أثبتها
بنص قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٥٩) . إذ هي في الطريقة
عبارة عن استمداد المزيد من روحانية شيخه الكامل الفاني في الله وكثرة رعاية صورته بتأدب
ويستفيض منه في الغيبة كالحضور ويتم له باستحضاره الحضور والنور وينزع بسببها الله سفاسف

الأمر وهو أمر لا يتصور جحوده إلا من كتب الله على جبهته الخسران واتسم والعياذ بالله بالملت والحرمان لأنه إن كان ممن يعتقد بالأولياء فقد مدحوا بحسنها وعظيم نفعها واتفقوا عليها . كما لا يخفى على من تتبع كلماتهم القدسية واستنشق نفحاتهم الإنسية والا فلا بد أن يعتقد بكلام أئمة الشرع ، وأساطين الأصل والفرع .

• فمن شروط طريقة الجنيد رحمته الله : دوام ربط قلب المريد بالشيخ واستفادة علم الواقعات منه بفناء تصرفه في تصرف الشيخ ودوام نفي الخواطر ودوام ترك الاعتراض على الله تعالى في كل ما يرد منه عليه ضرراً كان أو نفعاً ، وترك السؤال عنه من جنة أو تعوذ من نار فان ترك الاختيار وإفناؤه في اختيار شيخ مأمون ليختار له ما يصلحه فإنه مثل الطفل والصبي الذي لم يبلغ مبلغ الرجال أو السفية المبذر وكل هؤلاء لابد لهم من وصي أو ولي أو سلطان أو قاض يتولى أمرهم ، فيجعل شيخه وسيلة وواسطة بينه وبين ربه وَعَلَيْكَ وطريقاً وسبباً يتوصل به إليه ، كمن يريد الدخول على ملك ولا معرفة له به فإنه لابد له من أن يصادف حاجباً من حجابيه أو واحداً من حواشيه وخواصه ليبصره بسياسة الملك ودأبه وعاداته ويتعلم الأدب بين يديه والمخاطبة له وما يصلح له من الهدايا والطرائف ومما ليس مثلها في خزانته ومما يؤثر الاستكثار ، فليأت البيت من بابه ولا يتسلق من ورائه من غير بابه فيلام ويهان ولا يبلغ الغرض من الملك ولا المقصود منه ولكل داخل دهشة لابد له من تذكر ومنه ومن يأخذ بيده فيقعده موضع مثله أو يشير إليه بذلك لئلا تتطرق إليه المهانة أو يشار إليه سوء الأدب والحماسة وليتحقق بأن الله وَعَلَيْكَ أجرى العادة بان يكون في الأرض شيخ ومريد وصاحب ومصحوب تابع ومتبوع من لدن آدم عليه السلام لما خلقه الله تعالى علمه الأسماء كلها وافتتح الأمر به فجعله كالتلميذ مع الأستاذ والمريد مع الشيخ وقال له يا آدم هذا فرس وهذا بغل وهذا حمار حتى علمه قصعة وقصبة .

• وقال منهم الإمام العارف الشعراي في كتاب النفحات القدسية عند آداب الذكر ما نصه : أن يخيل شخص الشيخ بين عينيه وهذا عندهم أكبر الآداب ، وذكر العلامة ألسفري الحلبي من الشافعيين شرح البخاري عند قوله : (ثم حُبب إليه الخلاء) ، إن الشيطان كما لا يقدر أن يتمثل بصورة الولي الكامل .

• وقالوا : فينبغي أن تحفظ صورة الشيخ في خيال المريد وتتوجه إلى القلب الصنوبري حتى

تحصل الغيبة والفناء عن النفس ، فالاستمداد من الشيخ الكامل العارف هو الاستمداد من النبي ﷺ ، والاستمداد من النبي ﷺ هو الاستمداد من الله ﷻ ، لذلك قالوا : الفناء في الشيخ هو مقدمة الفناء في النبي ﷺ والفناء في النبي ﷺ هو مقدمة الفناء في الله تعالى وهذا لا ينكره إلا من ليس عنده وقوف على حقيقة الحال والمرام وغافل عما نقله العلماء عن صحابة الرسول ﷺ إن الرابطة هي عبارة عن استمداد المريد من روحانية شيخه الكامل الفاني في الله تعالى .

وكثرة رعاية صورة الشيخ أمام المريد ليتأدب ويعرض عن سفايف الأمور ويستغني عنه في الغيبة كالحضور ويتم له استحضاره لأجل العلاجات الروحية التي يقدمها الشيخ للمريد لصفاء ذاته ، لذا لا بد منها فبدل أن يعمل المريد بعبادته وفي خواطره صورة الدنيا كالقصور والأموال والنساء والأولاد ويذهب به الفرق إلى أوساخ الدنيا يجب عليه أن يجاهد نفسه ويعرض عنها . لذلك لا بد له من الانتقال مما يجري في خواطره من الدنيا وزخرفها إلى الله وعظمته ، فالتفكير في الدنيا يزيد في حبها ويشغل القلب لكسبها ، أما التفكير في الشيخ الفاني في الله فيزيد في حب الله وفي الشوق للقائه .

فهل يستطيع أحد من المفكرين للرابطة والاستمداد أن يجد سبيلاً للخلاص من الدنيا وهو منغمس فيها وان يقف أمام الله تعالى متأدباً بقلبه لا حول ولا قوة إلا بالله .

• حدثت أم المؤمنين سيدتنا عائشة ؓ عن الرسول ﷺ قال : ﴿ ما للمرء من صلاته إلا ما عقل منها ﴾ . فالعمل لا يكون صالحاً إلا بالإخلاص والإخلاص لا يكون إلا إذا خلى من الشوائب فالإخلاص والغفلة لا يجتمعان .

فالأعمال قلبية وبدنية بما يخص اللفظ والحركة والطهارة . فالحركات والتصورات المباحة إذا نوى الإنسان بها الطاعة أو التقوى فله ما نوى حتى ولو لم يدرك مراده .

وأما الإجماع فقد أجمع أهل التصوف على إن الرابطة ضرورية للسالك ويشترط فيها الإخلاص والصدق والمحبة كي تستمر ، وتعطي نتائجها فالصدق ذاتها والإخلاص شمسها ، والمحبة مأوها والوصل ثمارها . إن الشيخ بالنسبة للمريد السالك لم يكن ولا يكون واقفاً أمامه طوال ليله ونهاره في كل وقت ولكن لا بد من حضوره أمامه في كل أحيانه .

فقد سأل مريد سيدنا أبو بكر الشبلي عن تفسير (الغافلين) ، فقال له : أن مرت ساعة

لم تذكرني فيها (يعني تذكرني) على حساب التصور والحضور فأنت من الغافلين . فكلما ازدادت نسبة المواجهة ، ازدادت الفيوض من الشيخ إلى المريد ، وذلك أقوى وانفع له في اختصار الطريق وتجاوز العقبات فبدل أن يجالسك دنياً ، يجالسك شيخك الصالح ولا إنكار في ذلك لان ما جاء في الحديث عن الرسول ﷺ : ﴿ مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ... ﴾ .

فالرابطة بالنسبة للسالك المبتدئ ثقيلة ومُثَلَّة لقوة نشاط النفس وكثرة الوسوس والخطوات ، فلا بد من عدم الملل منها حتى تجنى ثمارها .

وإذا جلس المريد مع الشيخ حساً وأحسن آداب ذلك المجلس ، فإن روح المريد تقتات من روح الشيخ ويرضع قلب المريد من قلبه على قدر تمكنه وقوة استيعابه . وليست هذه حركة أشباح وإنما حركة الروح والقلب ، وهذا الغذاء الروحي يتطلب من المريد إيقاف ورده في مجلس الشيخ لاهتمامه بالآداب كي يتيح المجال للرضاعة وتقوت القلب فإذا ما ابتعد عن الشيخ حساً توجب صحبته معنىً ويوجب الذكر كي يقوى ربطه ، وهذه الصحبة المعنوية تسمى الرابطة . إذا يلزم الذكر مع الرابطة لأنها تعني ربط القلب إلى الوسيلة مع الله الفانية الممدّة من الله تعالى والممدّة للمريد بتوفيق الله ﷻ .

فإذا ما حصل للمريد ذكر مع رابطة سار المريد في طريقه إلى الله تعالى ، وإذا ما انقطعت الرابطة فالمريد يتحرك ولكنه لا يسير كالذي - يراوح محله - لا سير عنده ، لان طريق الله تعالى يشترط فيه الصحبة والدليل الذي هو (الشيخ) ، فبدون الرابطة يوقف الشيخ مريده كي لا يخطو فتزل قدمه .

فالطريق إلى الله تعالى شائك لا بد من الصحبة كي يؤمن الانزلاق . ومثل الشيخ هنا دليل أمام المريد إذا كان حاضراً جداً أمامه ، وإذا كان معنى كدليل لا تراه وكأنه يوصل بك سلك إذا أحسنت ربط قلبك به فيسحبك خلفه وهو مبتعدٌ عنك جسداً . فبنفي الحاليتين لا يتحقق السير ويتعطل الوصل وينقضي العمر ولم يبلغ مناه .

السمع

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ (٦٠).

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ (٦١).

وقد جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ (٦٢). إنه السمع من الحور العين .

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا ﴾ (٦٣).

وقال تعالى : ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ (٦٤).

وروي بإسناد عن عائشة رضي الله عنهما : إنها أنكحت ذا قرابتها من الأنصار فجاء النبي ﷺ ، فقال : ﴿ أهديتم الفتاة ﴾ ، فقالت : نعم ، قال : ﴿ فأرسلت من يغني ﴾ ؟ قال : لا ، فقال ﷺ : ﴿ إن الأنصار فيهم غزل فلو أرسلتم من يقول : أتيناكم ... أتيناكم فحيانا وحياكم ﴾ .

وقد جرى على لفظ رسول الله ﷺ ، ما هو قريب من الشعر وان لم يقصد لأن يكون شعراً ، ثم ذكر قول الأنصار ﷺ في حفر الخندق :

نحن الذين بايعوا محمداً
على الجهاد ما بقينا أبداً

وما أجابهم به رسول الله ﷺ بقوله : ﴿ اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ، فأكرم الأنصار والمهاجرة ﴾ .

وقال ﷺ في مدح أبي موسى الأشعري : ﴿ وقد أوتي مزمراً من مزامير آل داود ﴾ .

ودخل رجل على رسول الله ﷺ وعنده قوم يقرؤون القرآن وقوم ينشدون الشعر .

فقال يا رسول الله قرآن وشعر ؟ ، فقال ﷺ : ﴿ من هذه مرة ومن هذه مرة ﴾ .

٦٠ - الزمر : ١٨ .

٦١ - المائدة : ٨٣ .

٦٢ - الروم : ١٥ .

٦٣ - الاحقاف : ٢٩ .

٦٤ - طه : ١٠٨ .

ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء جيش من الحبشة يدفون يوم عيد في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوضعت كفي على منكبيه فجعلت انظر إلى لعبهم ، قال ابن عينية : الدف والرقص . فثبت إن الرقص في أصله مباح ولو كان حراماً لذاته ما فعل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال أبو عبد الرحمن السلمي رحمته الله : وروي عن عائشة رضي الله عنها إنها قالت : كانت عندي جارية تسمعي فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي على حالها ، ثم دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ففرت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما يُضحكك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحدثه فقال : لا اخرج حتى اسمع مما سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمرها فأسمعته .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يعظ فصعق رجل من جانب المسجد فقال : ﴿ من هذا الملبس علينا ديننا ، إن كان صادقاً فقد شهر نفسه وإن كان كاذباً محقه الله ﴾ .

واخرج البخاري ومسلم عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جارتان في أيام عيد تدفان - أي تضربان الدف - والنبي صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر رضي الله عنه ، فكشف الرسول صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال : ﴿ دعمهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد ﴾ . وعن الإمام مالك رحمته الله : انه قال أدركت أهل العلم ببلدنا هذا لا ينكرون السماع ولا يقعدون عنه ولا أنكره أحد إلا غبي أو قدم غليظ الطبع .

وعن الإمام الشافعي رحمته الله انه سمع جارية تغني وتقول :

خليلي ما بال المطايا كأنها تراها على الأعقاب بالقوم تنكص

فقال لابن علي وكان معه : كيف تسمع ، أيطربك ، قال : لا ، فقال الشافعي : مالك حس .

روي عن الإمام علي رضي الله عنه انه سمع ناقوساً فقال : أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا ، فقال : إنه يقول سبحان الله حقاً حقاً صمداً يبقى .

وقد ذكر ابن عريضون في مقنعه : إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا إذا ذكروا الله مال بعضهم كالشجر في يوم الريح العاصف أو ما هذا معناه .

وقد ثبت إن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه رقص بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين قال له :

﴿ أشبهت خلقي وخلقي ﴾ ، وذكره الشيخ السنوسي وغيره .

قال أبو طالب المكي : إن طَعَنَّا على السماع طَعْنًا على سبعين صديقاً .

وسئل الشبلي رحمته الله عن السماع فقال : ظاهره فتنة وباطنه عبرة ، فمن عرف الإشارة حل له السماع وإلا استدعى الفتنة .

قال الإمام الغزالي في الإحياء : يثمر السماع حالة في القلب تسمى الوجد ويثمر الوجد تحريك الأطراف أما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب ، أو موزونة فتسمى التصفيق أو الرقص .

وقال الإمام القشيري : قد سمع السلف والأكابر الأبيات بالألحان ، فممن قال بإباحته من السلف مالك بن انس رحمته الله وأهل الحجاز كلهم يبيحون الغناء ، وأما الحداء فإجماع منهم على أجازته ، وقد وردت الأخبار واستفاضت الآثار في ذلك .

وسئل ذو النون المصري عن السماع فقال : وارد حق يزعج القلوب فمن أصغى إليه بحق تحقق ، ومن أصغى إليه بنفس تزندق .

قال السري السقطي رحمته الله : تطرب قلوب المحبين إلى السماع وتخاف قلوب التائبين وتلتهب قلوب المشتاقين .

سئل الجنيد رحمته الله عن السماع فقال : كل ما يجمع القلب بالله فهو جائز ، وما هذا معناه وقال رحمته الله : كل مريد يميل إلى السماع ، فاعلم إن فيه بقية من البطالة .
قال بعض المشايخ : لا يصح السماع إلا لمن كان قلبه حياً ونفسه ميتة وأما من كان قلبه ميتاً ونفسه حية فلا .

وقيل مثل السماع مثل الغيث إذا وقع على الأرض المجربة فتصبح مخضرة ، كذلك القلوب الزكية تظهر مكنون فوائدها عند السماع .

وقيل : السماع فيه حظ لكل عضو فرما ييكى وربما يصرف وربما يضعف وربما يرقص وربما يغمى عليه .

وقيل : يحرك ما ينطوي عليه القلب من السرور والحزن والرجاء والشوق ، فرما يخرج به إلى البكاء وربما يخرج به إلى الطرب .

وقيل أهل السماع ثلاثة تائب وصادق ومستقيم .

وقيل يحتاج المستمع إلى ثلاثة : دقة ، ورقة ، وحرقة .

عن بعض الابدال انه قال : رأيت النبي ﷺ فقلت : ما تقول في السماع الذي عليه أصحابنا ، فقال : ﴿ هو الصفاء الذي لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء ﴾ .

وقد ذكر إن القوم لم يكن اجتماعهم مقصود السماع بحيث وإذا وجد اجتمعوا ، وإذا غاب افترقوا ، بل كانوا إذا اتفق اجتماعهم لأمر من الأمور لأنهم أغنياء عنه بحلاوة الذكر والمعرفة . مجلس السماع كمجلس الذكر والمذاكرة غذاء الأرواح ورضاع القلوب ، فهي ترضع بعضها بعضاً ، وإذا حضر صاحب التخويض رضعت منه بعض القلوب ذلك التخويض ، وربما يسري ذلك في الجماعة فلا يجدون حلاوة الوجد ولا لذة الخمرة ولذلك قال الجنيد رحمه الله : المواكلة رضاء فانظروا من تواكلوه فيصدق بالحس والمعنى .

ثم قيل : إن شاباً يخدم الجنيد فكلما سمع شيئاً زعق وتغير فقال : إن ظهر فيك شيء بعد هذا فلا تصحبني فكان يضبط نفسه وربما كان يقطر من كل شعرة منه قطرة عرق حتى كان يوماً من الأيام زعق زعقةً خرجت فيها روحه .

قال الشيخ ابن عجيبة رحمه الله : وإنما كان استعمال السماع في الزمان المتقدم عند قصد المرید الشيخ يشكو إليه سقمه ومرضه الذي أصاب قلبه من غفلة أو فترة أو قسوة أو كسل أو طغيان أو غير ذلك من العيوب التي لا تحصى ، ثم توالى المجيء إلى الشيخ حتى استقل جماعة من الفقراء فشكى كل واحد داءه لأنه طبيب ماهر ، وقد يداوي بالهمة أو بالنظرة فعندما أجيبوا بالشفاء ونشطت نفوسهم وذهب داؤهم وبؤسهم وطابت قلوبهم بالأذواق وامتألت قلوبهم بالأنوار وأشرقت فيها شمس المعارف والأسرار واستعملت نتائج أفكارهم فأبدت من العلوم ما يليق بسعة صفائها ترنم بالغزل الرقيق .

وقال : من وجد في نفسه كسلاً أو قبضاً استعمل ما يزيل كسله أو مرضه ، ثم اعلم إن اعتراض أهل الظاهر على الصوفية لا ينقطع أبداً سنة ماضية وخصوصاً في السماع والرقص وهم معذورون ، لأنهم لا يشاهدون إلا ذواتاً ترقص وتشطح ولا يرون ما في باطنها من المواجهيد والأفراح فيحملون ذلك على خفة العقل والطيش فيقعون فيهم إلا من عصمة الله بالتسليم

ولذلك كان التصديق بطريقة ولاية والاعتراض جنابة إلا من صفت نيته فحملته الغيرة فهو مأجور من جهة ومحروم من جهة .

قيل : مما يتأكد في مجلس السماع منع الأحداث في حضوره أما حدث السن وأما حدث الدين أو العقل وقد تقدم في تفسيرهم ، إما حدث السن فلما تحرك مشاهدتهم من الفتنة لاسيما مع دواعي ذلك من الشعر والأوزان والترنم بالأصوات الحسان والنفس لها في هذا الميدان مجال عظيم ومكر كبير .

وأما حدث الدين أو العقل فإن حضور غير الجنس يمنع المدد وذلك مجرب في الذكر والمذاكرة والسماع عند الصوفية ذكر قلبي فإن ألجأت الضرورة إلى حضورهم فليكونوا صفاء من خلف الناس خافضين أصواتهم .

وقال السلمي رحمه الله : ولا رخصة للأحداث في القيام والتحريك أصلاً وأكثر المشايخ يكرهون حضورهم مجلس السماع ولا يرخصون لهم فيه .

ومن آدابه نهوا عن الرقص والتحريك فيه لغير القلوب فقال :

والرقص فيه دون هجم الحال	ليس على طريقة الرجال
وان يكن يقوى على السكون	فإنه اسلم للظنون
والرقص على ثلاثة أقسام :	

فأما القسم الذي هو حرام فهو : رقص العوام بمحضر النساء والشبان وهذا حرام لما يؤدي إليه من الفساد وما يهيج من الطباع الدنية والنفوس الشيطانية ويلتحق به إذا قصد التصنع والرياء وإظهار الحال والتظاهر بما ليس فيه حقيقة فهو حرام أيضاً لما داخله من الرياء والتلبيس .

أما القسم المباح فهو الذي يفعله الصالحون وأهل التشبه من غير وجد ولا تواجد ، وإنما يفعلونه راحةً لنفوسهم وتنشيطاً لقلوبهم بشرط الزمان والمكان والإخوان خالياً من حضور ما تقدم من النساء والشبان فهذا إذاً لا موجب للتحريم فيه .

وأما القسم المطلوب ، فهو رقص الصوفية ، أهل الذوق والحال أما وجداً أو تواجداً وسواء كان ذلك في حضرة الذكر أو السماع ولا شك أن دواء القلب من الغفلة وجموحها بالله مطلوب بأي وجه أمكن ما لم يكن بمحرم مجمع على تحريمه فلا دواء فيه . وقد تواتر النقل عن الصوفية

قديماً وحديثاً شرقاً وغرباً إنهم كانوا يجتمعون لذكر الله ويقدمون ويرقصون ولم يبلغنا عن أحد العلماء المعتبرين إنه أنكر عليهم .

وكان الشيخ بن عياد رحمته الله يقول : لا تجعلوا لأهل الظاهر حجة على أهل الباطن . أي لم يدركوا ما أدركه أهل الباطن فلا تقوم الحجة عليهم بمجرد سوء الظن والله دار أبو مدين حيث يقول :

إذا لم تذق ما ذقت الناس في الهوى فله يا خالي الحشا لا تعنفنا
إذا اهتزت الأرواح شوقاً إلى اللقاء نعم ترقص الأشباح يا جاهل المعنى
ونزع الثوب عند السماع وهو ثلاثة أقسام : إما أن يكون مساعدة لغيره أو لغلبة حال عليه أو سقط بنفسه ، الأول مكروه لما فيه من التكلف والمعاندة اعني المنافسة لأنه رأى غيره خلع ثوبه وجداً أو حالاً خلع ثوبه مساعدة له ومنافسة فيما فعل وهذا لا يخلو من رياء وتصنع وإما أن يكون لغلبة الحال عليه فنزعه فرحاً أو شكراً لما وهبه الله من سنى الأحوال فهذا يأخذه الفقراء ولا يجوز له الرجوع بحال لان فيه الرجوع في الصدقة . وقد قال صلى الله عليه وسلم : ﴿ العائد في صدقته كالكلب يعود في قيئه ﴾ .

قال السلمي : وأكثر المشايخ يكرهون طرح الخرقة على سبيل المساعدة لما فيه من التكلف المخالف للحقيقة . وإذا سقط دون اختيار صاحبه فهو مردود عليه ولو كان في غلبة حال ووجد ، وإذا خلع المتقدم إنما هو ما كان باختيار صاحبه فرحاً بالوجد أو الحال أو شكر إلا ما سقط بغير اختياره فلا يحل أخذه إذ لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفسه .

وأما تمزيق الخرقة المحرومة التي مزقتها صادق عن غلبة سلبت اختياره كغلبة النفس فيمن يعتمد إمساكه فنيته في تفريقها وتمزيقها التبرك بالخرقة لأن الوجد أثر من آثار فضل الحق سبحانه وتمزيق الخرقة أثر من آثار الوجد فصارت الخرقة متأثرة بأثر رباني من حقها أن تفدى بالنفوس وتترك على الرؤوس أمراً وإعزازاً لقرب العهد بالدار .

تفوح رائحة نجد من ثيابهم عند القدوم لقرب العهد بالدار
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقبل الغيث ويتبرك به ويقول : ﴿ حديث عهد بربه ﴾ .
فالخرقة الممزقة حديث العهد ، فحكم المجروحة أن تفرق على الحاضرين وحكم ما يتبعها من

الخرق الصحاح أن يحكم فيها الشيخ أن خصص شيء منها بعض الفقراء فله ذلك وإن مزقها خرقاً فله ذلك .

ولا يقال هذا تفريط وسرف فان الخرق الصغيرة ينتفع بها في مواضعها عند الحاجة كالكبيرة .

روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : أهدى لي رسول الله ﷺ حلة جديدة ، فأرسل بها إلي ، فقلت : ما اصنع بها ، ألبسها ؟ قال : ﴿ لا ولكن اجعلها خمراً بين الفواطم ﴾ أراد فاطمة بنت أسد وفاطمة بنت الرسول ﷺ ، وفاطمة بنت حمزة ؓ ، وقال : هذا وجه في السنة .

وقيل إن الطفل يسكن إلى الصوت الطيب والجمل تقاسي تعب السير ومشقة الحمولة فيهون عليها بالحداء .

كما قيل : إن بعض الواجدین يقتات بالسماع ، ويتقوى به على الطي والوصال ، ويثير عنده من الشوق ما يذهب عنده من لهب الجوع .

حكايات عن السماع

• حكي عن بعض أشياخنا إنه كان في مجلس المذاكرة يجلس معهم رجل عامي ، فأزال الشيخ عنه ثوبه وقال له : قم بعه في السوق ، فلما خرج قال له خذ ثمنه ولا تعد وسد باب الزاوية . والحاصل أن حضور غير الجنس مشوش مانع من زيادة المدد .

• يروى إن أبا الفتح الصوفي سمع هذا البيت :

وجهك المأمول حجتنا يوم يأتي الناي بالحجج

فتواجد وصاح ودق صدره إلى أن أغمى عليه وسقط فلما انفض المجلس حركوه فوجدوه ميتاً فغسلوه ودفنوه . وهذا البيت الذي قتل صوفياً .

والصوفية يجدون لذة كبيرة في الغناء لأنه يحرك فيهم الأشجان ويبعث لديهم الأشواق ولذلك يزينون به مجالس الذكر وندوات الهيام والأنس .

إن الصوفية لا ينظرون إلى المعنى الحر في الألفاظ دائماً بل يحملون الألفاظ إلى ما لهم من معانٍ خاصة في ذلك ، واعتاد بعض الصوفية استعذاب الصوت الحسن ولهم فيه معان ومعان

حتى رآه ذو النون المصري مخاطبات وإشارات إلى الحق أودعها كل طيب وطيبة ورآه يحيى بن معاذ روحه من الله لقلب فيه حب الله .

• وسمع الشيخ أبو الحسين الثوري رحمته الله منشداً يقول :

ما زلت انزل من ودادك منزلاً
تتحرير الألباب دون نزوله

فتواجد وهام في الصحراء ، ووقع في أجمة قصب قد قطع وبقي أصوله مثل السيوف وكان يمشي عليها ويعيد البيت إلى الغداة والدم يسيل من رجله ثم وقع مثل السكران فورمت قدماه ومات رحمه الله .

• حكى أن بعض الفقهاء كان ينكر على الصوفية سماعهم فدخل عليه يوماً بعضهم فوجده يدور في بيته فقال له : يا فقيه مالك تدور ؟ فقال : كانت مسألة أشكلت عليّ منذ زمان فاطلعت عليها الآن فملئت بذلك سروراً فلم أتمالك من الطرب أن قمت ودرت لها فقال له : يا فقيه هذا من أجل فرحك بمسألة ، فكيف تنكر على من فرح بالله سبحانه .

• كان العارف سيف الدين البخاري أنكر عليه قاضي بخاري بالقول فلم يقبل منه فجمع القاضي أصحابه ودخل بهم على الشيخ وأصحابه وهم يحملون العصي ليضربوهم بها بزعمهم . فلما علم الشيخ بدخولهم أمر القوالين بالسكوت ولم تسكت آلة السماع من الدف والقصب بل صاروا يسمعون فيها أصوات الحسن والطرب أكثر مما كانوا يسمعون فيها باستعمال القوالين فأخذ القاضي وأصحابه الوجد فرقصوا ثم تابوا على يد الشيخ من إنكار السماع على الفقهاء .

• وقال بعض الفقهاء : إن فقيهاً في بلاد اليمن صنف فصولاً أنكر فيها السماع على بعض السادة الصوفية وتكلم فيها وطعن في زماننا هذا فابتلي بجذام قطع جسمه ، نسأل الله الكريم العفو والعافية .

• وحكى أن بعضهم قال : كنت ليلة مع الأصحاب وهم مجتمعون للسماع فلما قال القوال : سمعوا وقاموا ورقصوا ، فأنكرت عليهم بقلبي فرأيت تلك الليلة بالمنام كأن القيامة قد قامت ورأيت الصوفية يجوزون الصراط راقصين والخلق قد انقطعوا عنهم فانتبهت ونذرت مع الله أن لا أعود أنكر عليهم أبداً .

• وحكي إن النجيب بن النجيب أبا المعالي إمام الحرمين رحمته الله ، كان يُدرس يوماً بعد صلاة الصبح في المسجد قُمر عليه بعض شيوخ الصوفية وقد دعوا إلى بعض المواضع ، فقال إمام الحرمين في نفسه : ما شغل هؤلاء إلا الأكل والرقص ، فلما رجع الشيخ من الدعوة مرّ عليه وقال له : يا فقيه ما تقول فيمن يصلي الصبح وهو جنب ويقعد في المسجد يدرس العلوم ويغتاب الناس ؟ فتذكر إمام الحرمين أنه كان عليه غسل ثم حسن اعتقاده بعد ذلك بالصوفية

آداب السماع

قال الشيخ شهاب الدين السهروردي رحمته الله :

- ١ . إنه لا ينبغي للصادق أن يعتمد الحضور في مجمع فيه سماع إلا بعد أن يخلص النية لله تعالى .
- ٢ . يتوقع فيه مزيداً في إرادته وطلبه .
- ٣ . يحذر من ميل النفس لشيء هواها .
- ٤ . ويقدم الاستخارة للحضور .
- ٥ . ويسأل الله تعالى إذا عزم البركة فيه .
- ٦ . وإذا حضر يلزم الصدق والوقار بسكون الأطراف ولا يتحرك إلا إذا صارت حركته كحركة المرتعش الذي لا يجد سبيلاً إلى الإمساك والحركات بذلك تكون بالاضطرابات لا باختيار وكذلك تمزيق الثياب .
- ٧ . يتقي الصادق استدعاء الوجد .
- ٨ . ويتجنب الحركة فيه مهما أمكن لاسيما بحضرة الشيخ .

الإنشاد والسماع في المسجد

روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي بن كعب رضي الله عنه إن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : ﴿ إن من الشعر لحكمة ﴾ .

روى البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة عن سعيد بن المسيب قال : مرّ عمر في

المسجد وحسان ينشد فلحظه عمر - أي نظر إليه نظرة إنكار - فقال : كنت أنشد وفيه من هو خير منك - يريد رسول الله ﷺ - ثم التفت إلى أبي هريرة ، فقال : أنشدك بالله أسمعت رسول الله ﷺ يقول اجب عني : ﴿ اللهم أيده بروح القدس ؟ ﴾ قال : نعم .

كما روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها : كان النبي ﷺ يضع لحسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله ﷺ ويقول الرسول ﷺ : ﴿ إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما دافع أو فاخر عن رسول الله ﷺ ﴾ .

يقول العلامة السفاريني شارح منظومة الآداب : وفي رواية أبي بكر بن الأنباري ، أن كعب بن زهير لما جاء تائباً وقال قصيدته المشهورة :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
إلى أن وصل إلى قوله :

متهماً أثرها لم يُقَدْ مَكْبُول
إن الرسول لسيف يُستضاء به
رمى ﷺ بردة كانت عليه . وأن معاوية بذل فيها عشرة آلاف ، فقال : ما كنت لأوثر بثوب رسول الله ﷺ أحداً ، فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفاً فأخذها منهم ... إلى أن قال : تحصل من إنشاد قصيدة كعب بن زهير رضي الله عنه بين يدي رسول الله ﷺ ، وإعطائه ﷺ البردة عدة سُنين :

١ . إباحة إنشاد الشعر .

٢ . استماعه في المسجد .

٣ . الإعطاء عليه .

ذكر الإمام الشاطبي في كتابه الاعتصام : أن أبا الحسن القرافي الصوفي يروى عن الحسن البصري رحمه الله : إن قوماً أتوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا : يا أمير المؤمنين إن لنا إماماً إذا فرغ من صلاته تغنى ، فقال عمر رضي الله عنه : من هو ؟ فذكر الرجل ، فقال : قوموا بنا إليه فإننا أن وجهنا إليه يظن أننا نجسنا عليه أمره ، قال : فقام عمر رضي الله عنه مع جماعة من أصحاب النبي ﷺ ، أتوا الرجل وهو في المسجد ، فلما نظر إلى عمر قام فاستقبله وقال : يا أمير المؤمنين ما حاجتك ؟ وما جاء بك ؟ إن كانت الحاجة لنا كنا أحق بذلك منك أن نأتيك ، وإن كانت الحاجة لله

فأحق من عظمناه خليفة رسول الله ﷺ فقال عمر : ويحك بلغني عنك أمر ساءني ، قال : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : ائتمجن في عبادتك ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين لكنها عظة أعظ بها نفسي ، قال عمر : قلها فإن كان حسناً قلته معك ، وإن كان معك قبيحاً نُهِيتك عنه ، قال :

وفؤادي كلما عاتبته	في مدى الهجران يبغي تعبي
لا أراه الدهر إلا لاهياً	في تماديه فقد بَرَحَ بِي
يا قرين السوء ما هذا الصبا	ففي العمر كذا في اللعب
وشباب بان عني فمضى	قبل أن اقضي مني اربي
ما أرجي بعده إلا الفنا	ضيق الشيب عليّ مطلبي
ويح نفسي لا أراها أبداً	في جميل لا ولا في أدب
نفس لا كنت ولا كان الهوى	راقبي المولى وخافي وارهبي
فقال عمر رضي الله عنه :	

نفس لا كنت ولا كان الهوى
راقبي المولى وخافي وارهبي
ثم قال عمر رضي الله عنه : على هذين فليغن من غنى .

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه : الشعر كلام ، فحسنه حسن ، وقبيحه قبيح .
وقال العلامة النووي : لا بأس بإنشاد الشعر في المسجد إذا كان مدحاً للنبوة أو الإسلام ،
أو كان حكمة ، أو في مكارم الأخلاق ، أو في الزهد ونحو ذلك من أنواع الخير .
وقال أبو بكر بن العربي المالكي شارح سنن الترمذي : لا بأس بإنشاد الشعر في المسجد
إذا كان في مدح الدين وإقامة الشرع .

الذكر

جعل مشايخنا الكرام الذكر أساس الطريق كما فعل السلف الصالح عليه السلام ، واعتبروا أساس الطريق قائماً على اشتغال المرید بذكر الله على الدوام لأنه سبب اليقظة من الغفلة التي هو فيها لان الغافل لا يمكنه قطع منازل السير الموصلة إلى معرفة الله تعالى والتي خلق الله الإنسان لأجلها : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(٦٥). فمن لا استغياض له لا سير له ، ومن لا سير له لا وصل له ، وأساس كل ذلك هو الذكر ، وان امتثال الصوفية لأمر مولاهم عليه السلام بالإكثار من ذكره ، جعل حياتهم كحياة الملائكة لا تخطر الدنيا على قلوبهم ولا تشغلهم عن محبوبهم نسوا أنفسهم بمجالستهم له وغابوا عن كل شيء سواه فتواجدوا عندما وجدوا .

ذكرتك لا إني نسيته لمحّة وأيسر ما في الذكر ذكر لساني

معاني تامة الذكر

أطلقت الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة كلمة الذكر على عدة معانٍ ، فتارةً أريد بها القرآن الكريم كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(٦٦) . وتارةً أريد بها صلاة الجمعة كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾^(٦٧) . وفي مواطن أخرى عُني بها العلم كما جاء في الآية الكريمة : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٦٨) . وفي معظم النصوص أريد بكلمة الذكر التسبيح والتهليل والتكبير والصلاة على النبي صلوات الله عليه ، وما إلى هناك من صيغ كما في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتْهُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾^(٦٩) . وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ ﴾^(٧٠) .

٦٥ - الذاريات : ٥٦ .

٦٦ - الحجر : ٩ .

٦٧ - الجمعة : ٩ .

٦٨ - النحل : ٤٣ .

٦٩ - النساء : ١٠٣ .

٧٠ - الأنفال : ٤٥ .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَجَّكَ يَقُول : أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت به شفتاي ﴾ .

وفي الحديث : ﴿ من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملأه ﴾ .

دليله في الكتاب والسنة

قال تعالى : ﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ واشْكُرُوا لي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾^(٧١).

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾^(٧٢).

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾^(٧٣).

وقال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعِشِيِّ وَالْأَبْكَارِ ﴾^(٧٤).

وقال تعالى : ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾^(٧٥).

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾^(٧٦).

وقال تعالى : ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(٧٧).

وقال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾^(٧٨).

٧١ - البقرة : ١٥٢ .

٧٢ - آل عمران : ١٩١ .

٧٣ - الأحزاب : ٤١ ، ٤٢ .

٧٤ - آل عمران : ٤١ .

٧٥ - النور : ٣٧ .

٧٦ - المنافقون : ٩ .

٧٧ - الأحزاب : ٣٥ .

٧٨ - الكهف : ٢٤ .

والذكر الكبير : ﴿ وَلَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾^(٧٩).

علق الله تعالى أربعة بأربعة :

١ . ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾^(٨٠).

٢ . ﴿ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾^(٨١).

٣ . ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٨٢).

٤ . ﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾^(٨٣).

أما من يقول : المراد بالذكر هو العمل بالحلal والحرام ، فجوابه : أن لفظ الذكر مشترك بين العلم والصلاة والقرآن وذكر الله تعالى ، ولكن المعتبر باللفظ المشترك ما غلب استعماله فيه عزم وغيره إنما يُعرف إليه بقرينة حالية أو لفظية .

ولفظ الذكر قد غلب استعماله في ذكر الله حقيقةً ومن غير الغالب أن يطلق ويراد به العلم فكما قال تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٨٤) . فالمراد به العلم بقرينة السؤال وجعل الذكر دواء للغفلة ، كما قال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ . قال ابن عباس رضي الله عنه : المراد أن يذكر الله تعالى في أذكار الصلاة وغدواً وعشياً ، وكلما استيقظ من نومه ، وكلما غدا وراح من منزله . وقال مجاهد : لا يكون من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضجعاً .

فالذكر صقل القلوب ومفتاح باب النفحات وسبيل توجيه التجليات على القلوب ، ففيه الفرح : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾^(٨٥) . وهو مغلاق لباب الشيطان حيث لا سبيل له

٧٩ - العنكبوت : ٤٥ .

٨٠ - البقرة : ٤٠ .

٨١ - المجادلة : ١١ .

٨٢ - آل عمران : ٣١ .

٨٣ - البقرة : ١٥٢ .

٨٤ - النحل : ٤٣ .

٨٥ - الرعد : ٢٨ .

على الذاكرين فقد ورد أنه يصرع عند حضوره قرب الذاكر ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾^(٨٦) . فالمرید لا یصیبه هم ولا غم ولا حزن إلا بسبب غفلته عن الذكر ، ولو اشتغل بذكر الله تعالى لدام سروره فكما أن الغفلة مفتاح الحزن والكدر ، فإن الذكر مفتاح السرور والفرح .

قال ﷺ : ﴿ إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ﴾ قالوا وما رياض الجنة يا رسول الله قال : ﴿ حلق الذكر ﴾ .

قال أبو هريرة رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال : ﴿ سيروا هذا جمدان سبق المفردون ﴾ قيل : وما المفردون يا رسول الله ؟ قال : ﴿ المستهترون بذكر الله ، يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون الله يوم القيامة خفافاً ﴾ . المستهترون : هم المولعون بالذكر المداومون عليه لا يبالون ما قيل فيهم ولا ما فعل بهم .

قال ﷺ : ﴿ مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثلُ الحي والميت ﴾ .

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وارفعتها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ ﴾ . قالوا بلى يا رسول الله ، قال : ﴿ ذكر الله تعالى ﴾ . قال معاذ بن جبل : ﴿ ما شيء أنجى من عذاب الله غير ذكر الله ﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ، ذكرته في نفسي . وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ﴾ .

وعن انس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : ﴿ ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله ﷻ ولا يريدون بذلك إلا وجهه ، إلا نادهم منادٍ من السماء أن قوموا مغفوراً لكم فقد بُدلت سيئاتكم حسنات ﴾ .

هذا وهناك عدد كبير من الأحاديث الشريفة الصحيحة الإسناد ، الدالة على فضائل الذكر

ومشروعيته .

أقوال العلماء في الذكر

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه : لم يفرض الله تعالى فريضةً إلا جعل لها حداً معلوماً ، ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه لم يجعل له حداً ينتهي إليه ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على عقله .

قال الشيخ ابن عطاء الله السكندري : الذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان بدوام حضور القلب مع الحق .

قال الإمام القشيري : الذكر منشور الولاية ومنار الوصلة وعلامة صحة البداية ودلالة النهاية فليس وراء الذكر شيء .

قال ابن قيم الجوزية : ولا ريب إن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما وجلأؤه بالذكر فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء .

قال العلامة فخر الدين الرازي في تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ ^(٨٧) . إن الموجب لدخول جهنم هو الغفلة عن ذكر الله تعالى والمخلص من عذاب جهنم هو ذكر الله تعالى .

أقوال الصوفية في فضل الذكر

قالوا : حُكم الذاكر كمن يجلي النحاس المصدي بالحصى ، وحكم غير الذاكر من سائر العبادات كمن يجلي النحاس بالصابون .

الإمام الشعراني : ومن شأنه أن لا يطيع المريد الملل من قراءة الأوراد التي أمره بها شيخه ، فأن كل شيخ جعل الله مدده وسر طريقته في أوراده التي يأمر بها ، فمن ترك ورده فقد نكث عهد شيخه .

وأجمعوا : إن من قطع الأوراد انقطعت عنه الإمداد .

قال يحيى بن معاذ : حادثوا القلوب بذكر الله تعالى فأنها سريعة الغفلة .

وأجمعوا : أن عمدة الطريق الإكثار من ذكر الله ﷻ حتى لا يكون للمريد شغل إلا به وحده .

وأجمعوا : كل من لم يذكر الله ﷻ من غروب الشمس إلى الصباح ما عدا وقت الصلاة فلا يجيء منه شيء في الطريق .

قالوا : الذكر سيف المريد ، به يقاتلون أعداءهم من الجن والأنس ، وبه يدفعون الآفات التي تطرقهم .

قالوا : الذكر منشور الولاية ومرسوم من الله للعبد بالولاية كمراسيم ملوك الدنيا بالوظائف والله المثل الأعلى فمن وفق لدوام ذكر الله تعالى فقد أعطي المرسوم بأنه ولي لله ﷻ ، ومن يُسلب عن الذكر فقد عُزل عن الولاية .

قالوا : إن البلاء إذا نزل بقوم وفيهم ذاكر حاد عنهم البلاء .

أقسام الذكر

إن ذكر الله ﷻ مشروع سراً وجهراً ، وقد رغب رسول الله ﷺ في الذكر بنوعيه السري والجهري ، إلا إن علماء الشريعة الإسلامية قرروا أفضلية الجهر بالذكر إذا خلا من الرياء أو إيذاء مصل أو قارئ أو نائم مستدلين بأحاديث الرسول ﷺ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله : ﴿ أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني . فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته خير منهم ﴾ . والذكر في ملأ لا يكون إلا عن جهر .

عن زيد بن اسلم رضي الله عنه قال : قال ابن الأدرع رضي الله عنه : انطلقت مع النبي ﷺ ليلة فمر برجل في المسجد يرفع صوته ، قلت يا رسول الله عسى أن يكون مرئياً ؟ قال : ﴿ لا ... ولكنه أواه ﴾ .

قال الصوفية في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾^(٨٨) . إن الأمر في هذه الآية خاص بالنبي ﷺ ، وهو الكامل المكمل ﷺ وأما غيره من هو محل الوسوس والخواطر

الرديئة فمأمور بالجهر ، لأنه أشد تأثيراً في دفعها .

إن الجهر بالذكر مشروع مندوب إليه هو أفضل من الإخفاء في مذهب الإمام الشافعي .
وذكر شيخنا عبد الكريم الكسنزاني رحمته الله في أفضلية الجهر قائلاً : أن تأثير الذكر الجهري على النفس كضرب المطرقة بشدة على الحديد الأعوج ، وتأثير الذكر الخفي كضرب الحديد بقطعة خشب خفيفة .

إن للذكر الجهري تأثيراً على القلب لأنه جزء من حركة الأعضاء والحركة ضرورية في الذكر كما سيأتي بيانها .

الذكر المفرد والذكر مع الجماعة

العبادات مع الجماعة فيها ذكر الله تزيد في الفضل على العبادات في حالة الانفراد ، ففي الجماعة تلتقي القلوب ويكون التعاون والتجاذب ويستسقي الضعيف من القوي والمظلم من المنور والكثيف من اللطيف والجاهل من العالم وهكذا .

عن انس رضي الله عنه : إن رسول الله صلوات الله عليه قال : ﴿ إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ﴾ قالوا وما رياض الجنة يا رسول الله قال : ﴿ حلق الذكر ﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلوات الله عليه : ﴿ ما من قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده ﴾ .

خرج النبي صلوات الله عليه على حلقة من أصحابه فقال : ﴿ ما يجلسكم ؟ ﴾ قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده . فقال : ﴿ إنه أتاني جبريل عليه السلام فاخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة ﴾ .

وقد شبه الغزالي ذكر الإنسان وحده وذكر الجماعة بأذان المفرد وأذان الجماعة ، قال : فكما إن أصوات المؤذنين تقطع جرم الهواء أكثر من صوت المؤذن الواحد كذلك ذكر الجماعة على قلب واحد أكثر تأثيراً في دفع الحُجب الكثيفة من ذكر شخص واحد .

وأما ذكر المفرد : فله أفعال في صفاء القلب وإيقاظه وتعويد المؤمن على الإنس بربه والتنعيم بمناجاته والشهود بقربه ، فلا بد للمؤمن من جلسة يذكر الله خالياً منفرداً بربه بعد أن يحاسب نفسه ويطلع على عيوبه وأخطائه ، فإذا ما رأى سيئة استغفر وتاب وإذا ما رأى عيباً جاهد

نفسه للتخلص منه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ محمد ﷺ قال : ﴿ سبعة يُظلمهم الله يوم لا ظل إلا ظله ، ﴾ ، وذكر منهم : رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه .
وقد نهج الصوفية على هذا المنوال فذكروا الله في جميع أحوالهم وأطوارهم ومن الذكر ما هو مقيد بعدد ومنه مطلق عن العدد ومن المقيد بالعدد كالتساييح دبر كل صلاة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ من سبح في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد الله ثلاثاً وثلاثين وكبر ثلاثاً وثلاثين ، فتلك تسعاً وتسعين ، وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له ... له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، غُفرت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر ﴾ .

قال رسول الله ﷺ : ﴿ يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإنني أتوب في اليوم مائة مرة ﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه إن رسول الله ﷺ قال : ﴿ من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان ليومه ذلك حتى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه ﴾ . وذكر العلماء في شرح الحديث : (إلا رجل عمل أكثر منه) ، على شريعة العدد الأكثر . ولا بأس للمرشد الموجه أن يُرغب المريـد في عدد معين من الأذكار ويزيد من همته ويشد عزيمته ، ويدفع عنه الإهمال والتفـاعس حتى يكون من المكثرين لذكر الله ﻋَـزَّ وَجَلَّ .

الحركة في الذكر

الحركة في الذكر أمر مستحسن لأنها تنشط الجسم للذكر وهي جائزة بدليل ما أخرجه الإمام أحمد في سنده والحافظ المقدسي برجال الصحيح من حديث انس رضي الله عنه قال : كان أهل الحبشة يرقصون بين يدي رسول الله ﷺ ، ويقولون بكلام لهم : (محمد عبد صالح) فقال

ﷺ: ﴿ ماذا يقولون ﴾ ، فقليل له أنهم يقولون : (محمد عبد صالح) ، فلما رأهم في تلك الحالة لم ينكر وأقرهم على ذلك والمعلوم إن الأحكام الشرعية تؤخذ من قوله وفعله وتقديره ﷺ ، وإن الاهتزاز بالذكر جائز ولا يسمى رقصاً لأنه ينشط الجسم للذكر ويساعد على حضور القلب مع الله تعالى .

لنستمع إلى قول الإمام علي كرم الله وجهه كيف يصف أصحاب رسول الله ﷺ . قال أبو اراكة : صليت مع الإمام علي كرم الله وجهه صلاة الفجر فلما أنفتل عن يمينه مكث كأن عليه كآبة حتى كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح ، صلى ركعتين ثم قلب يده ، فقال : (والله لقد رأيت أصحاب النبي ﷺ فما أرى اليوم شيئاً يشبههم لقد كانوا يصبحون صُفراً شعناً غير آبين أيديهم كأمثال رُكب المعزى قد باتوا لله سجداً وقياماً ، فذكروا الله ومادوا كما يميد الشجر في يوم الريح ، وهملت أعينهم حتى تبتل والله ثياهم) ، فقول الإمام علي كرم الله وجهه ، مادوا أي تحركوا ، كما يميد الشجر في يوم الريح ، صريح العبارة في الاهتزاز ويبطل قول من يظنه بدعة محرمة ويثبت إباحة الحركة في الذكر .

لقد سئل الجنيد البغدادي رحمه الله عن أقوام يتواجدون ويتمايلون فقال : دعوهم يتواجدون ودعوهم مع الله يفرحون فإنهم قوم قطعت الطريق أكبادهم ومزق التعب فؤادهم وضاقوا ذرعاً فلا حرج عليهم إذا تنفسوا مداواة لحالهم ولو ذقت مذاقهم لعذرهم .

وبمثل ما ذكر الجنيد رحمه الله أجاب العلامة التحرير بن كمال باشا لما استفتي عن ذلك قال

ولا التمايل إن خلصت من بأس	ما في التواجد أن حققت من حرج
دعاه موله أن يسعى على الرأس	فقمت تسعى على رجل وحق لمن

التحذير من ترك الذكر

لقد حذر الله تعالى عباده من ترك ذكره في كتابه المجيد وعلى لسان رسوله الكريم ﷺ ، كما حذر العارفون بالله تعالى مريدهم من ترك الذكر .

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ (٨٩) .
وقال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ
وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (٩٠) .

وقال تعالى في ذم المنافقين : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى
الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٩١) .

وأما في سنة رسول الله ﷺ ، فقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
﴿ ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم
حسرة يوم القيامة ﴾ .

وقد ورد في أقوال العارفين رضي الله عنهم عن الذكر
قول سهل بن عبد الله : ما اعلم معصية أقبح من ترك ذكر هذا الرب .
وقال أبو الحسن الشاذلي : من علامة النفاق ثقل الذكر على اللسان .
وقالوا : لكل شيء عقوبة وعقوبة المرید انقطاعه عن الذكر .
وقد يزين الشيطان لبعض السالكين أن يتركوا الذكر بحجة إن ذكرهم لا يسلم من الوسواس
والذكر لا يفيد إلا إذا ذكر الذاكر حاضر القلب مع الله تعالى .

ولكن مرشدي السادة الصوفية حذروا مريديهم من هذا المدخل الشيطاني الخطير .
فقال ابن عطاء الله السكندري : لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه ، لان غفلتك
عن وجود ذكره اشد من غفلتك في وجود ذكره ، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى
ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور وما
ذلك على الله بعزير .

وقد يترك بعض السالكين أورادهم اكتفاءً بالوارد ، وما علموا أن الورد مطلوب منهم
للتقرب إلى الله تعالى ، وان السادة الصوفية لم يتركوا أورادهم مهما بلغوا من مراتب الكمال

٨٩ - الزخرف : ٣٦ .

٩٠ - الأعراف : ٢٠٥ .

٩١ - النساء : ١٤٢ .

قال الجنيد رضي الله عنه : العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رؤوس الملوك .
وقد رأى رجل الجنيد رضي الله عنه وفي يده سبحة فقال له : أنت مع شرفك تأخذ في يدك سبحة ؟ فقال : نعم وصلنا إلى ما وصلنا فلن نتركه أبداً .
وأخيراً فإن المريد إذا ترك ورده لسبب من الأسباب السابقة ثم عاد إلى يقظته والتزم عهده فلا ينبغي أن يقنط من رحمة الله نتيجة تقصيره وإهماله بل عليه أن يتوب إلى الله تعالى ثم يقضي ما فاتته من أوراد إذ أن الأوراد تقضى كسائر العبادات والطاعات .
قال الإمام النووي : ينبغي لما كانت له وظيفة من الذكر في وقت من الليل أو النهار أو عقب صلاة أو حالة من الأحوال ففاته أن يتداركها ويأتي بها إذا تمكن منها ولا يهملها .

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم : ﴿ ما نام عن حزه أو عن شيء منه فقرأه بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه في الليل ﴾ . فقد يترك بعض المريدين قراءة أورادهم أو بعضاً منها محتجين بكثرة أعمالهم وعدم فراغهم لها ويوحي لهم الشيطان إن هذا عذر مشروع وتبرير مقبول وإنه لا بأس في تأجيل الأوراد إلى وقت الفراغ وقد حذر السادة الصوفية وأطباء القلوب من الإهمال والتسويق وانتظار الفراغ لأن العمر سرعان ما ينتهي والمشاعغل في تجدد .

قال ابن عطاء الله السكندري : إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونة النفس .
وقال ابن عجيبة : قالوا وجب على الإنسان أن يقطع علاقته وعوائقه ويخالف هواه ويبادر إلى خدمة مولاه ولا ينتظر وقتاً آخر .

آداب الذكر

قال المشايخ رضي الله عنهم في آداب الذكر : إن كل عبادة خلّت من الآداب فهي قليلة ، واجمعوا على أن العبد يصل بعبادته إلى الحصول على الثواب ودخول الجنة ولكنه لا يصل إلى حضرة ربه إلا إذا صاحب الآداب بعبادته ومعلوم إن القوم مقصودهم هو القرب من حضرة الله الخالصة ومجالسته من غير حجاب . وأما الثواب فحكمه حكم علف الدواب .

قال تعالى في الحديث القدسي : ﴿ أنا جليس من ذكرني ﴾ ، يعني ذكرني على وجه الآداب والحضور والمراد بالمجالسة انكشاف الحجب للعبد فيكون بين يدي الله ﷻ وأن الله تعالى يراه ويبقى على حالة الشهود هذه وتلك المراقبة حتى يطرق له طارق حقيقة القرب لأن من شروط المجالسة الحقيقية رؤية الجليس إذا صح الاعتقاد وحسنت النية فإن أخلّ بشروط الآداب خرج من حضرته .

وقد أعدّ الشيوخ أكثر من ألف أدب يمكن أن تجمع في عشرين منها خمسة تأتي سابقة للذكر :

الأول : التوبة النصوح .

وهي أن يتوب العبد عن كل ما لا يعنيه فعلاً وقولاً وإرادة . قال ذو النون المصري : من ادعى التوبة وهو يميل إلى شهوة من شهوات الدنيا فهو كاذب .

الثاني : الغسل والوضوء وتعطير الثياب والفم .

الثالث : السكوت والسكون لأجل الصدق في الذكر فبغيره ينشغل القلب بالفكر دون اللفظ وينبغي أن لا يكون مع الله خاطر حتى يوافق اللسان القلب .

الرابع : أن يستمد منذ شروعه بالذكر من همة شيخه وأن يشخصه أمام عينيه ليكون رفيقه في السير وهذا من أكبر الآداب عندهم .

الخامس : أن يرى استمداده من شيخه إنما هو في الحقيقة استمداد من حضرة رسول الله ﷺ والشيخ واسطته .

واثنا عشر منها أثناء الذكر :

الأول : الجلوس في مكان طاهر إن كان منفرداً أو مع الجماعة .

الثاني : التحلق مع الجماعة أو الاتجاه نحو القبلة إذا كان لوحده .

الثالث : تطيب مجلس الذكر برائحة طيبة .

الرابع : أن يكون ملبوسه حلالاً .

الخامس : أن يكون طعامه خالياً من شبهة وعليه أن يجتهد في ذلك .

السادس : غمض العينين كي يسد طريق الحواس الظاهرة شيئاً فشيئاً ، لان سدّها يكون

سبباً لفتح حواس القلب .

السابع : أن يتخيل شخص شيخه أمامه ما دام ذاكراً وهذا ضروري .

الثامن : الصدق في الذكر بأن يستوي عنده السر والعلانية .

التاسع : الإخلاص وتصفية العمل .

العاشر : استحضار معنى الذكر في القلب على اختلاف درجات المشاهدة بين الذاكرين

بشرط أن يعرض الذاكر على شيخه كل ما يرقى إليه من الأذواق ليعلمه طريق الآداب فيه .

الحادي عشر : تفرغ القلب عن كل موجود سوى الله تعالى .

الثاني عشر : أن يختار من صيغ الذكر حسب ما يوجه به الشيخ .

وقد اجمعوا على أن المرید أن يذكر بقوة تامة وإن ذكر السر والهوين لا يفيد رقياً .

وأما الثلاثة الباقية التي تأتي بعد الذكر فهي :

أولاً : أن يسكن بعد سكون ويخشع ويحضر مع قلبه مترقباً لوارد الذكر فلعله يرد عليه وارد فيعمر باطنه في تلك اللحظة أكثر مما يمكن أن تعممه الرياضة والمجاهدة مدة ثلاثين سنة ، فإذا ورد عليه وارد الزهد فيصير زاهداً أو ورد عليه تحمل الأذى فيصير صابراً أو وارد الخوف فيصير خائفاً من الله تعالى وهكذا ، ويجمع الحواس بحيث لا تتحرك منه شعرة حاله كحال الهرة المتحفزة لاصطياد الفأر وينفي الخواطر ويجري معنى الذكر على قلبه .

ثانياً : أن يذم نفسه مراراً ويقدر ثلاثة أنفاس إلى سبعة أنفاس أو أكثر حتى يدور الوارد في جميع حواسه فتتنور بصيرته وتقطع عنه خواطر النفس والشيطان وتكشف عنه الحجب وهذا كالجمع على وجوبه عندهم .

ثالثاً : منع شرب الماء البارد عُقِيب الذكر فأن الذكر يورث حرقة وهيجاناً وشوقاً إلى المذكور الذي هو المطلوب الأعظم من الذكر وشرب الماء يطفئ تلك الحرارة فليحرص الذاكر على هذه الآداب الثلاثة فأن فيها نتيجة الذكر تظهر والله اعلم .

كرامات الأولياء

الكرامة : اسم من الإكرام والتكريم تقول أكرمت العالم وكرمته إكراماً وتكريماً إذ فعلت معه ما يدل على تعظيمه واحترامه .

والكرامة في اصطلاح أهل السنة القائلين بها هي أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مؤمن صالح غير مقرون بدعوة النبوة . وقد قسموا الخوارق التي تظهر من بعض الناس عدة أقسام فقالوا : الخارق للعادة إن ظهر على يد مدعي النبوة وفق طلبه فهو المعجزة وإن كان على خلاف طلبه فهو الإهانة مثل ما يرى إن مسيلمة الكذاب دعا لاعور أن يفتح الله له عينه فعمي ومسح بيده رأس يتيم فقرع . وبلغه إن النبي ﷺ تفل في بئر فكثر ماؤها وعذب بعد إن لم يكن كذلك ، فتفل هو في بئر ليعذب ماؤها فصار ملحاً أجاباً . وإن ظهر الخارق على يد مؤمن صالح فهو الكرامة أو على يد فاسق فهو الاستدراج ، وقد يقع الخارق لبعض عوام المسلمين تخليصاً له من محنة أو مكروه ويسمى معونة ومذهب أهل السنة في كرامات الأولياء أنها حق لأنها أمور ممكنة يدل على وقوعها الكتاب والسنة كما سيأتي .

وقال الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق البخاري الكلاباذي في كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف في الباب السادس والعشرين منه ما نصه : اجمعوا على إثبات كرامات الأولياء وإن كانت تدخل في باب المعجزات كالمشي على الماء وكلام البهائم وطبي الأرض وظهور الشيء من غير موضعه ووقته ، وقد جاءت بها الأخبار وصحت بها الروايات ونطق بها التنزيل من قصة الذي عنده علم من الكتاب في قوله تعالى : ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ (٩٢) . وقصة مريم حين قال لها زكريا : ﴿ أَنِّي لَكَ هَذَا قَالَتُ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ (٩٣) . وقصة الرجلين اللذين كانا عند النبي ﷺ ثم خرجا فأضاء لهما سوطاهما وغير ذلك .

وجواز ذلك في عصر النبي ﷺ وغير عصره واحد وذلك انه إذا كانت في عصر النبي ﷺ للنبي على معنى التصديق لكان في غير عصره على معنى التصديق .

- وكان بعد النبي ﷺ لعمر بن الخطاب حين نادى سارية ، قال : يا سارية بن حصن

٩٢ - النمل : ٤٠ .

٩٣ - آل عمران : ٣٧ .

الجبل الجبل وعمر بالمدينة على المنبر وسارية في وجه العدو على مسيرة شهر والأخبار في هذا كثيرة وافرة . ثم ذكر بقية المذاهب والأقوال فلينظر كلامه .

وقال الإمام القشيري في الرسالة : ظهور الكرامات على الأولياء جائز والدليل على جوازه أنه أمر موهوم حدوثه في العقل لا يؤدي حصوله إلى رفع أصل من الأصول ، فوجب وصفه سبحانه بالقدرة على إيجاده وإذا وجب كونه مقدوراً لله تعالى فلا شيء يمنع جواز حصوله وظهور الكرامات علامة صدق من ظهرت عليه في أحواله فمن لم يكن صادقاً فظهور مثلها عليه لا يجوز ... ولا بد أن تكون هذه الكرامة فعلاً ناقصاً للعادة في أيام التكليف ظاهراً على موصوف بالولاية في معنى تصديقه في حاله .

وقال أيضاً بعد كلام في الكرام : وبالجملته فالقول بجواز ظهورها على الأولياء واجب وعليه جمهور أهل المعرفة ولكثرة ما تواتر بأجناسها الأخبار والحكايات . صار العلم بكونها وظهورها على الأولياء في الجملة علماً قوياً انتفت عنه الشكوك .

وقال الإمام النووي في بستان العارفين : اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات كرامات الأولياء وأنها واقعة موجودة مستمرة في الإعصار ، ويدل عليها دلائل العقول وصرائح النقول أما دلائل العقل فهي أمر يمكن حدوثه ولا يؤدي وقوعه إلى رفع أصل من أصول الدين .

فيجب وصف الله تعالى بالقدرة عليه وما كان مقدوراً كان جائز الوقوع ، وأما النقول فأيات في القرآن العظيم وأحاديث مستفيضة .

وفي العقائد النسفية للعلامة نجم الدين النسفي وشرحها للعلامة سعد الدين التفتازاني ما نصه (وكرامات الأولياء حق) ، والدليل على حقيقة الكرامة ما تواتر عن كثير من الصحابة ومن بعدهم بحيث لا يمكن إنكاره ، وخصوصاً الأمر المشترك وإن كانت التفاصيل آحاداً .

وأيضاً الكتاب ناطق بظهورها من مريم ومن صاحب سليمان عليه السلام وثبوت الوقوع لا حاجة لإثبات الجواز . ثم أورد كلاماً يشير إلى تفسير الكرامة وإلى تفضل بعض جزيئاتها المستبعدة جداً فقال فتظهر الكرامة على طريق نقض العادة للولي من قطع المسافات البعيدة في المدة القليلة كإتيان صاحب سليمان عليه السلام (وهو اصف بن برخيا على الأشهر) بعرش بلقيس قبل ارتداد الطرف مع بُعد المسافة ، ظهور الطعام والشراب واللباس عند الحاجة إليها كما في

حق مريم ، قال تعالى : ﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾^(٩٤). والمشي على الماء ، كما نقل عن كثير من الأولياء وفي الهواء كما نقل عن جعفر بن أبي طالب ولقمان السرخي وغيرهما .

(وكلام الجماد والعجماء) واندفاع المتوجه من البلاء وكفاية المهم من الأعداء .
أما كلام الجماد فكما روي إنه كان بين يدي سلمان وأبي الدرداء رضي الله عنه قصعة فسبحت وسمعا تسبيحها . وأما كلام العجماء (فكتكليم الكلب لأصحاب الكهف) .
وكما روي إن النبي ﷺ قال : ﴿ بينما رجل يسوق بقرة حمل عليها إذ التفتت البقرة إليه وقالت : إني لم اخلق لهذا ، إنما خلقت للحرث ﴾ فقال الناس : سبحان الله بقرة تتكلم ؟
فقال النبي ﷺ : ﴿ آمنت بهذا وغير ذاك من الأشياء ﴾ .
ومثلاً رؤية عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على المنبر بالمدينة وجيشه بنهاوند حتى انه قال لأمر جيشه : يا سارية الجبل الجبل تحذيراً له من وراء الجبل لمكر العدو هناك وسماع سارية كلامه مع بعد المسافة .

وكشرب خالد رضي الله عنه السم من غير أن يتضرر به .
وكجريان النيل بكتاب عمر رضي الله عنه وأمثال هذا أكثر من أن تحصي .
ولما استدل المعتزلة المنكرون لكرامات الأولياء بأنه لو جاز ظهور خوارق العادات من الأولياء لاشتبه بالمعجزة فلم يتميز النبي من غير إشارة إلى الجواب بقوله (ويكون ذلك) ، أي ظهور خوارق العادات من الأولياء أو الولي الذي هو من آحاد الأمة .
(معجزة للرسول الذي ظهرت هذه الكرامة لواحد من أمته لأنه يظهر بها) ، أي بتلك الكرامة انه ولي ولن يكون ولياً إلا وان يكون محققاً في ديانته وديانته الإقرار باللسان والتصديق في القلب (برسالة رسوله) مع الطاعة له في أوامره ونواهيه حتى لو ادعى هذا الولي الاستقلال بنفسه وعدم المتابعة لم يكن ولياً ولم يظهر ذلك على يده ، والحاصل أن الأمر الخارق للعادة هو

بالنسبة إلى النبي ﷺ معجزة سواء ظهر ذلك من قبله أو من قبل آحاد من أمته ، وبالنسبة للولي كرامة لخلوه عن دعوى نبوة من ظهر ذلك من قبله ، فالنبي لا بد من علمه بكونه نبياً ومن قصده إظهار خوارق العادات ومن حكمه قطعاً بموجب المعجزات بخلاف الولي .

وقال ألقاني في الجوهرة :

واثبتن للأولياء الكرامة ومن نفاها فانبذن كلامه

ونصوص العلماء في هذا كثيرة جداً نكتفي منها بما ذكرناه .

ورداً على الذين يحتجون بقوله تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَن ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴾^(٩٥) . قال العلامة ابن المثير في الانتصاف بما نصه : (ادعى عام واستدل بخاص) ، فان دعواه إبطال الكرامات بجميع أنواعها والمدلول عليه بالآية إبطال إطلاع الولي على الغيب خاصة فيجوز إعطاء الولي الكرامات كلها إلا الإطلاع على الغيب .

الفرق بين السحر والكرامة

إن السحر لا يظهر إلا على فاسق معلى بفسقه فلا تشهد بالولاية على القطع إذ لو شهدت بها لأمن صاحبها على العواقب ، والكرامة تظهر على الرجل الصالح الذي يشهد بصلاحه دون حيلة فكلما أراد إخفاء نفسه أظهره الله على خلقه لأجل إصلاح به غيره .

الفرق بين المعجزة والكرامة

قال القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي : المعجزات تختص بالأنبياء والكرامات تكون للأولياء كما تكون للأنبياء ، ولا تكون للأولياء معجزة لان من شرط المعجزة اقتران دعوة النبوة بها والمعجزة لم تكن معجزة لعينها وإنما كانت معجزة لحصولها على أوصاف كثيرة فمتى اختل شرط من تلك الشرائط لا تكون معجزة ، وأحد تلك الشرائط دعوى النبوة ، والولي لا يدعي النبوة والذي يظهر عليه لا يكون معجزة .

وقال القشيري هذا القول الذي نعتمده وندين به ، فشرائط المعجزات كلها أو أكثرها توجد في الكرامة إلا هذا الشرط الواحد .

والكرامة فعل لا محال محدث لأن ما كان قديماً لم يكن له اختصاص بأحد وهو ناقض للعادة وتحصل في زمان التكليف وتظهر على عبد تخصيصاً له وتفضيلاً ، وقد تحصل بدعائه واختياره وقد لا تحصل وقد تكون بغير اختياره في بعض الأوقات ولم يؤمر الولي بدعاء الخلق إلى نفسه ولو ظهر شيء من ذلك على من يكون أهلاً له لجاز .

وتحصل في زمان التكليف وهذا تقيد ليس بلازم كما قال بعضهم لجواز أن تحصل الكرامة في غير زمان التكليف ، كأن يكرم الله بها حياً أو ميتاً ، وقد حصل ذلك كثيراً ، ونصوص العلماء في جواز الكرامات كثيرة يعسر تتبعها .

ويعترض منكمروا الكرامات في هذا العصر حيث يقولون : إن ما ترونه عن الأولياء لم يحصل كثيراً منه للأنبياء ، وقد كانوا أولى بذلك وهذا جهل أو تجاهل من هؤلاء المعترضين لأن من المعلوم بالضرورة انه ليس من شرط النبي أن يأتي بجميع الخوارق أو أكثرها وإنما شرطه أن يأتي بما يكون دالاً على نبوته ، وهذا هو ما حصل للأنبياء عليهم السلام . فأن لكل نبي أعطي ما مثله آمن عليه البشر كما في الحديث الصحيح فإذا ظهرت كرامة على ولي كانت معجزة لنبينا ﷺ ، وإنما لم تحصل له مباشرة لحصول الكفاية بغيرها من المعجزات العظيمة خصوصاً القرآن العظيم الذي اعجز الخلائق أجمعين وهذا واضح لمن انصف وطرح التعصب جانباً والله ولي التوفيق .

كما لا بد من ذكر أن الأمم السابقة كانت تؤمن بأمور متباينة بين أمة وأمة وجاءت معجزات الأنبياء تتفق مع جنس إيمان هذه الأمة . فمثلاً قوم سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام ، كانوا يؤمنون بالكواكب ويتخذونها أرباباً ، ويعبدون النار ويتطلعون إلى الفضاء فجاءت معجزة سيدنا إبراهيم متفقة مع جنس إيمانهم في إحياء الموتى والوقوف في النار وتبعتها أمة سيدنا موسى عليه السلام حيث كانوا يؤمنون بالسحر والكهانة فجاءت عصا موسى لتخرق إيمانهم بمعجزة من الله تعالى لتبدد صنعهم فأول من آمن به السحرة لأنه جاءهم بعمل أقوى من سحرهم .

وقوم عيسى عليه السلام يؤمنون بالطب والاستطباب والصور ونحت الهيئات والتمثيل ، فجرى على يده إبراء الأكهم والأبرص وإحياء الموتى ويصنع من الطين كهينة الطير فيكون طيراً بإذن الله

وهذا جنس عملهم .

والعرب نواديهم وشعراؤهم وفصاحتهم وبلغاؤهم فهم يؤمنون ويتسابقون بالبلاغة والشعر وفصاحة الكلام ويقوم بينهم السباق والنزاع أحياناً وتحجو بعضها بعضاً فنزل القرآن الكريم على لسان النبي الأمي وأعجزهم أن يأتوا بآية من مثله فانعقدت ألسنتهم عن مناقشته فخضعوا لبلاغته وصمتوا لفصاحته .

وتظهر كرامات الأولياء أحياناً مماثلة لظروف العصر وإيمان البشر بمستجدات الأمور وظنهم أن هذا أرقى ما توصل إليه العقل البشري كصناعة الكهرباء وقوتها الخارقة نرى كرامة الأولياء في تبديدها صنعوا بربط قوة الكهرباء على أجساد المريدين لا يضرهم شيء ووصل الطب في جراحة الجسم على أن دماغ الإنسان لا يمكن خرقه وبرهن بأدلة العقل على أن طرق أي جزء منه يؤثر على أطراف الإنسان ، نرى أسلحة الدراويش وخناجرهم تحرق الرؤوس ولا يحدث أذى فأشكل عليهم أن علمهم فيه قصور وفهمهم محدود فنزلوا من كبرياءهم واعترفوا بان وراء علمهم علماً أقوى مما توصلوا إليه بالعقل وهذا إثبات لكرامة الأولياء أصحاب العلوم الروحية .

ولا يمكن ذكر كل ما ظهر من كرامات مشايخنا الكسنزانية لان ذلك لا يحصره كتاب .

إن التكية تعج بالزائرين كل واحد منهم ظهرت له خوارق العادة كرامة لمشايعنا يقصون القصص التي حصلت لهم أو شاهدوها فأياها يدون وأياها يمस्क .

اعلم إن المنقول من أنواع الكرامات عن الصحابة والتابعين وزهاد الأمة وصلحائها .
وصلحاء الأمم السابقة شيء كثير جداً لا يكاد يحصى بحيث بعد مفكروه بعداً بالغا حد النهاية في الجهل والمكابرة فلا جواب إلا الإعراض عنه ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^(٩٦) . وسنثبت في هذه الأوراق ما فيه الكفاية مستمدين من الله العون والهداية مبتدئين بما ورد في القرآن الكريم من ذلك وهو بضعة مواضع ، منها قوله تعالى في مريم عليها السلام وكفلها زكريا : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ

حِسَابٍ ﴿٩٧﴾ .

قال أهل التفسير : كان زكريا عليه السلام يدخل عليها وهي صغيرة في كفالتة ، فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف ، وقد أخبره الله عنها كانت صديقة والصديقة أعلى مقام في الولاية .

ومنها قوله تعالى في شأن أهل الكهف : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ ^(٩٨) . إلى آخر ما قصه الله وليسوا بأنبياء بالإجماع .

ومنها قوله تعالى في قصة سليمان عليه السلام : ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي ﴾ ^(٩٩) . الآية ، وليس نبياً بالإجماع .

ومنها قصة الخضر عليه السلام وما جرى على يده من الكرامات بناءً على انه لم يكن نبياً وهو المشهور عن جماعة الأشاعرة وجماعة الصوفية .

وفي الأحاديث

ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون ، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر ﴾ .

وفي رواية : ﴿ لقد كان فيمن قبلكم من بني إسرائيل يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن في أمتي أحد فعمر ﴾ .

قال ابن ذهب في تفسير محدثون ملهمون في هذا الحديث إثبات كرامات الأولياء كما قال الإمام النووي رحمته الله .

قالوا : وهو الرجل الصادق الظن يلقي في روعه شيء من قبل الملائكة الأعلى فيكون كالذي

٩٧ - آل عمران : ٣٧ .

٩٨ - الكهف : ١١ ، ١٢ .

٩٩ - النمل : ٤٠ .

حدثه غيره به . وقيل من يجري الصواب على لسانه من غير قصد . وقيل من تكلمه الملائكة من غير نبوة كما سبق في إحدى روايتي البخاري .

وجاء في حديث أبي سعيد الخدري قيل يا رسول الله وكيف يحدث ؟ قال : ﴿ تتكلم الملائكة على لسانه ﴾ وقد تكون الحكمة في تكثير الملهمين في هذه الأمة مضاهاة بني إسرائيل في كثرة الأنبياء فيهم ، فلما فات هذه الأمة كثرة الأنبياء فيها لكون نبيها خاتم الأنبياء ، عوضوا بكثرة الملهمين .

قال ﷺ : ﴿ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ﷻ ﴾ (١٠٠).

وهذا الحديث أصل في الكشف الذي يقع لكثير من الأولياء ، نجد الواحد منهم يكشف الشخص بما حصل له في غيبته كأنه كان حاضراً معه .

قال تعالى في الحديث القدسي : ﴿ من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ﴾ ، وهو الأصل فيما يكرم به الأولياء من إجابة الدعاء ، وفيما ينزل بمن آذاهم من البلاء .

عن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ إن من العلم كهية المكنون لا يملكه إلا العلماء بالله تعالى ، فإذا انطلقوا به لا ينكره إلا أهل العرة بالله ﷻ ﴾ .

وأخرج المرزوي في زوائد الزهد لعبد الله بن المبارك : قال رسول الله ﷺ : ﴿ من اخلص لله أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ﴾ .

فبهذه الأحاديث أصل فيما يفاض على الأولياء من العلوم والمعارف والأسرار مما قد ينكره بعض الأعداء ، الذين يجهلون أو يتجاهلون فضل الله على عباده المخلصين فيتهمون الأولياء بالزندقة والخروج على الدين .

رأيت في الذهبي في ترجمة ذي النون المصري ما نصه : كان ممن امتحن وأوذى لكونه آتاهم بعلم لم يعهدون . كان أول من تكلم في مصر بترتيب الأحوال وفي مقامات الأولياء فقال الجهلة هو زنديق ، قال السلمي لما مات : أظلت الطيور جنازته .

وروى الحاكم والخطيب بسند صحيح عن إسماعيل بن اسحق السراج ، قال لي أحمد بن

حنبل : يبلغني إن هذا الحارث - يعني المحاسبي - يكثر الكون عندك ، فلو أحضرته لذلك وأجلستني في مكان اسمع فيه كلامه ، ففعلت وحضر الحارث وأصحابه فأكلوا وصلوا العتمة ، ثم قعدوا بين يدي الحارث وهم سكوت إلى قريب نصف الليل ، ثم أخذ الحارث في الكلام وكأن على رؤوسهم الطير ، فمنهم من يبكي ومنهم من يخر ومنهم من يزعم وهو في كلامه . فصعدت الغرفة فوجدت أحمد يبكي حتى غشي عليه ، فلما تفرقوا قال أحمد : ما اعلم إني رأيت مثل هؤلاء ولا سمعت في علم الحقائق مثل الكلام هذا وعلى هذا فلا أرى لك صحبتهم .

قال الحافظ بن حجر : إنما نهاء عن صحبتهم لعلمه بقصوره عن مقامهم فإنه مقام ضيق لا يسلكه كل حقه ويخاف على من يسلكه ألا يوفيه أحد .

قال أبو حمزة البغدادي : كان الإمام أحمد بن حنبل يسألني في مجلسه عن مسائل ويقول ما تقول فيها يا صوفي .

ثبت في الصحيحين عن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلوات الله عليه يقول : ﴿ انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غارٍ فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا : أنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم ، قال رجلٌ منهم : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا اغبق قبلهما ، أي لا أقدم في شرب اللبن عليهما أهلاً أو مالا فتأتى بي طلب سحر يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن اغبق لمن قبلهما أهلاً ولا مالا فلبثت والقبح في يدي انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج ﴾ . قال النبي صلوات الله عليه : ﴿ قال الآخر : اللهم كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إلي ، فراودتها عن نفسها فامتنعت مني ، حتى أملت بها سنة من السنين فجاءتني وأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت ، حتى إذا قدرت عليها قالت : لا أحل لك أن تقض الخاتم إلا بحقه ، فتخرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها ﴾ ، قال النبي صلوات الله عليه : ﴿ قال

الثالث : اللهم استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره ، حتى كثرت منه الأموال ، فجاءني بعد حين فقال لي : يا عبد الله أدّ ألي أجري ، فقلت : كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم الرقيق ، فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت : إني لا استهزئ بك ، فأخذه كله فاستأقه فلم يترك منه شيئاً ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة وخرجوا يمضون ﴿ . وقد ذكر هذا الحديث البخاري في صحيحه وذكر هذا الحديث في صحيح مسلم أيضاً .

وثبت في هذا الحديث إثبات كرامات الأولياء وإثبات التوسل بصلاح الأعمال ، وهو متفق عليه .

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : بينما راعٍ يرعى بالحرّة إذ تعرض ذئب لشاة من شياهه ، فحال الراعي بين الذئب وبين الشاة ، فألقى الذئب على ذنبه ، ثم قال للراعي : إلا تتقي الله تعالى ، تحول بيني وبين رزق ساقه الله تعالى إلي ، فقال الراعي : العجب من الذئب يتكلم بلسان الإنس ، فقال الذئب ألا أحدثك بأعجب من ذلك ؟ كان رسول الله صلّى الله عليه وآله بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق ، فساق الراعي غنمه حتى المدينة فدخل على النبي صلّى الله عليه وآله ، فحدث بحديث الذئب فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : ﴿ صدق صدق ألا انه من اشراط الساعة كلام السباع للإنس ، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس ، ويكلم الرجل شراك نعله وعذبة سوطه ويخبره فخذ به أحد أهلك من بعده ﴾ .

وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن أسيد بن حضير رضي الله عنه بينما هو ليلة يقرأ في مربدته إذ جالت فرسه ، فقرأ ثم جالت أخرى ، فقرأ ثم جالت أيضاً . قال أسيد فخشيت أن تطأ يحيى - ابنه - فقممت إليها فإذا هي مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها فغدوت على رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فقلت يا رسول الله بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربد لي إذ جالت فرسي فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : ﴿ اقرأ يا ابن حضير ﴾ قال فقرأت ثم جالت أيضاً ، فقال : ﴿ اقرأ يا ابن حضير ﴾ ، قال قرأت ثم جالت أيضاً ، فقال : ﴿ اقرأ يا ابن حضير ﴾ قال فانصرفت وكان يحيى قريباً منها فخشيت أن تطأ فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها . فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله :

﴿ تلك الملائكة كانت تسمع لك ولو قرأت لأصبحت تراها الناس ما تستتر منهم ﴾ .

قال النووي في هذا الحديث جواز رؤية آحاد الأمة من الملائكة .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عن انس إن أسيد بن حُضير ورجلاً من الأنصار ، تحدث عن رسول الله ﷺ حتى ذهب من الليل ساعة في ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا ويبد كل منهما عصاة ، فضاءت عصا أحدهما حتى مشيا في ضوئها حتى إذا افترت بهما الطريق أضاءت عصا الآخر فمشى كل منهما بضوء عصاه حتى بلغ أهله . وفيه كرامتان لهذين الصحابين رضي الله عنهما . وأخرج أبو نعيم أيضاً من طريق جعفر بن مُجَدَّ عن أبيه قال : عرض لعلي رضي الله عنه رجلان في حكومة ، فجلس في أصل جدار فقال رجل : يا أمير المؤمنين الجدار يقع ، فقال الإمام علي رضي الله عنه أمضي كفا بالله حارساً فقضي بينهما وقام ثم سقط الجدار .

وأخرج أيضاً عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال : حدّث الإمام علي رضي الله عنه رجلاً بحديث فكذبه فما قام حتى عمي .

أسروا خبيباً وابن الدثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر فابتاع خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، وكان خبيب قتل الحرث بن عامر يوم بدر فلبث خبيب عندهم أسيراً فأخبرني عبيد الله بن عياض إن بنت الحرث أخبرته أنهم حين اجتمعوا استعار منهم موسى يستحد بها فأعارته فأخذ ابناً لي وأنا غافلة حيث أتاه قال : فوجدته مجلسه على فخذه والموس بيده ففرغت فزعة عرفها خبيب في وجهي فقال : تخشين أن اقتله ما كنت لأفعل ذلك ، والله ما رأيت أسيراً قط خير من خبيب والله لقد وجدته يوماً يأكل من قطف عنب في يده ، وانه لموثق في الحديد وما بمكة من ثمر وكانت تقول أنه لرزق من الله رزقه خبيباً . فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب ذروني أركع ركعتين فتركوه فركع ركعتين ثم قال : لولا أن تظنوا أن ما بي جزع لطوّلتها اللهم أحصهم عدداً .

أضاف أبو بكر الصديق رضي الله عنه ضيفان ، فدعا بالطعام فأكل وأكلوا فجعلوا لا يرفعون لقمة إلا ربي من أسفلها أكثر منها فقال لأهله : ما هذا ؟ فقالت : وقرة عيني إنها الآن لأكثر قبل أن تأكل فأكلوا وبعث بها إلى النبي ﷺ فذكر أنه أكل منها . وفي هذا إكرام للصديق رضي الله عنه .

وفي الموطأ بإسناد الشيخين : أن أبا بكر رضي الله عنه استرجع عند وفاته أرضاً كان وهبها لعائشة

ﷺ وقال يطيب قلبها إنما هما أخواك وأختاك أي لم استرجع الأرض الموهوبة إلا لمصلحة الورثة الذين هم أخواك وأختاك قالت لأبيها ﷺ عنهما : إنما هي أسماء فمن الأخرى أي ليس لي أخت غير أسماء فأين الأخت الثانية ؟ فأجابها الصديق ﷺ : ذو بطن بنت خارجة - هي امرأته وكانت حاملاً - أراها جارية ، قالت عائشة فولدت بعد وفاته بنتاً .

إن سارية كان بنهاوند من بلاد فارس وقد صححها ابن تيمية وفيها كرامة لعمر بن الخطاب وسارية ؓ : وممن كان معه فمن سمع الصوت حيث كان عمر ؓ على المنبر يخطب يوم الجمعة إذ ترك الخطبة فقال يا سارية الجبل يا سارية الجبل ثم أقبل على خطبته فقال أولئك النظراء من أصحاب رسول الله ﷺ ، لقد جن أنه لمجنون وهو في خطبته إذ قال يا سارية الجبل فدخل عبد الرحمن بن عوف وكان يطمئن إليه فقال أشد ما ألومهم عليك إنك تجعل على نفسك لهم مقالاً بينما أنت تخطب إذ أنت تصيح يا سارية الجبل أي شيء هذا ؟ قال إني والله ما ملكت ذلك ، رأيتهم يقاتلون عند جبل يؤتون من بين أيديهم ومن خلفهم فلم املك أن قلت يا سارية الجبل ليلحقوا بالجبل فلبثوا إلى أن جاء رسول سارية بكتابه أن القوم لحقونا يوم الجمعة فقاتلناهم من حين صلينا الصبح إلى حين حضرت الجمعة ، ودار حاجب الشمس وسمعنا منادياً يا سارية الجبل مرتين ، فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله وقتلهم . فقال أولئك الذين طعنوا عليه دعوا هذا الرجل فإنه مصنوع له .

روى ابن سعد عن العلاء بن الحضرمي رأيته قطع البحر على فرسه ، وهذه القصة مشهورة قال الحافظ بن عبد البركان : يقال إن العلاء بن الحضرمي ؓ كان مجاب الدعوة وأنه خاض البحر بكلمات قالها ودعا بها فذلك مشهور عنه والحضرمي من صحابة الرسول ﷺ ، وقد بُعث إلى البحرين .

اخرج الطبراني وأبو نعيم والبيهقي بإسناد رجاله الصحيح عن أبي السفر قال : نزل خالد بن الوليد ؓ الحيرة على أمير بني المرازبة فقالوا له احذر السم لا يسقيكه الأعاجم فقال : ائتوني به فأخذه بيده ثم اقتحمه وقال بسم الله ، فلم يضره شيء .

واخرج بن عساكر عن الأعمش قال : تغوط رجل على قبر الحسن بن علي ؓ ، فجرت فجعل ينبح كما تنبح الكلاب ثم إنه مات فسمع في قبره يعوي ويصيح .

من كرامات التابعين

روى ابن ذهب عن ابن لهيعة قال إن الأسود العنسي لما ادعى النبوة وغلب على صمعاء اخذ ذؤيب بن كليب فألقاه في النار لتصديقه بالنبي ﷺ ، فلم تضره النار فذكر ذلك النبي ﷺ لأصحابه فقال عمر رضي الله عنه : الحمد لله الذي جعل في امتنا مثل إبراهيم الخليل عليه السلام . قال عيدان ذؤيب هو أول من اسلم من أهل اليمن ولا اعلم له صحبة .

واخرج بن عساكر من طريق أبي بشر جعفر بن أبي وحشية إن رجلاً من خولان اسلم فأراد قومه على الكفر فأبى فألقوه في النار فلم يحترق منه شيء ، فقدم على أبي بكر رضي الله عنه فقال له : استغفر لي ، قال : أنت أحق ، قال أبو بكر رضي الله عنه : أنك ألقيت في النار فلم تحترق فاستغفر له ثم خرج إلى الشام فكانوا يشبهونه بإبراهيم الخليل عليه السلام .

واخرج أبو نعيم في الحلية عن مطرف عن هرم بن حيان قال : قدمت الكوفة فلم يكن لي هم إلا أويس أسأل عنه فدفعت إليه بشاطئ الفرات يتوضأ ويغسل ثوبه فعرفته بالنعته فإذا رجل آدم مخلوق الرأس كث اللحية مهيب المنظر فسلمت عليه ومددت يدي لأصافحه ، فأبى أن يصافحني ، فخنقتني العبرة لما رأيت من حاله فقلت السلام عليك يا أويس كيف أنت يا أخي قال وأنت فحياك الله يا هرم بن حيان من ذلك عليّ ؟ قلت الله وعجل . قال : سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً . قلت يرحمك الله من أين عرفت اسمي واسم أبي فوالله ما رأيتك قط ولا رأيته . قال : عرف روعي روحك حيث كلمت نفسي لان الأرواح لها أنفوس كأنفوس الأجساد وان المؤمنين يتعارفون بروح الله وعجل وان نأت بهم الديار وتفرقت بهم المنازل .

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل رضي الله عنه : حدثني أبي ثنا هاشم بن القاسم وثنا سليمان بن المغيرة قال كان مطرف إذا دخل بيته سبحت آنيته بيته . وقال يزيد بن هارون أخبرنا جرير بن حازم عن حميد بن هلال قال كان بين مطرف وبين رجل من قومه شيء فقال له مطرف إن كنت كاذباً أماتك الله أو تعجل الله بك قال فخر ميتاً مكانه ، فاستدعى أهله زياداً وهو على البصرة فقال لهم زياد : هل ضربه ؟ هل مسّه ؟ فقالوا لا ، فقال زياد هي دعوة رجل صالح ، ومطرف أبوه صحابي اسمه عبد الله بن الشخير وقد ولد في زمن الرسول ﷺ .

واخرج أبو النعيم عن النضر بن كثير السعدي ثنا عبد الواحد بن زيد قال كنت مع أيوب السخيتاني في حراء فعطشت عطشاً شديداً حتى رأى ذلك في وجهي فقال : ما الذي أرى بك ؟ فقلت العطش وقد خفت على نفسي . قال تستر علي ؟ قلت نعم . فاستخلفني فحلفت له ألا أخبر عنه ما دام حياً . فغمز برجله على حراء فنبع الماء فشربت حتى رويت وحملت معي من الماء ، قال فما حدث به أحداً حتى مات . قال عبد الواحد : فأثنت موسى الأسواري فذكرت له ذلك فقال ما بهذه البلدة - يعني البصرة . أفضل من الحسن وأيوب .

وروى أبو النعيم أيضاً عن طريق أحمد بن كثير حدثني روضة مولاة كرز قال قلنا لها من أين ينفق كرز قالت : كان يقول لي روضة إذا أردت شيئاً فخذي من هذه الكوة قالت : فكنت أخذ كل ما أردت ، وكرز بن وبرة الحارثي كان من أتباع التابعين ذكره ابن حبان في الشقاء . قال عليه السلام : ﴿ نوم الصائم عبادة ونفسه تسبيح ودعاؤه مستجاب ﴾ .

واخرج ابن النعيم عن طريق حسر القصاب قال : كنت اجلب الغنم في خلافة عمر بن العزيز فمررت برإع وفي غنمه نحو من ثلاثين ذئباً ، فحسبتها كلاب ولم أكن رأيت الذئب من قبل ذلك ، فقلت يا راعي ما ترجو بهذه الكلاب كلها . فقال يا بني أنها ليست كلاباً ، إنما هي ذئاب ، فقلت سبحان الله ذئب في غنم لا يضرها . فقال يا بني انه إذا صلح الرأس فليس على الجسد بأس وكان ذلك في خلافة عمر بن عبد العزيز .

قال جماعة خرجنا من مكة نطلب فضيل بن عياض إلى رأس الجبل فقرأنا القرآن فإذا هو قد خرج علينا عن شعب لم نره فقال لنا : أخرجتموني من منزلي ومنعتموني الصلاة والطواف أما أنكم لو أطعتم الله ثم شئتم أن تزول الجبال معكم . ثم دق الجبل بيده فرأينا الجبل اهتز وتحرك . وقال الشيخ أيضاً : ثنا أبو العباس محمد بن أحمد بن سليمان الهروي ثنا إبراهيم بن يعقوب ثنا أحمد بن نصر عن محمد بن حمزة المرتضي قال : كان شيبان الراعي إذا أجنب وليس عنده ماء دعا ربه فجاءت سحابة فأظلت فاغتسل ، وكان يذهب إلى الجمعة ويخط على غنمه فيجيء فيجدها على حالتها لم تتحرك .

واخرج أبو النعيم عن طريق أبي سليمان الرومي سمعت خليل الصياد يقول : غاب ابني محمد فجزعته أمه عليه جزعاً شديداً ، فأثنت معروف الكرخي عليه السلام فقلت : يا أبا محفوظ ، قال : ما

تشاء ؟ قلت ابني مُحَمَّد غاب وجزعت أمه عليه جزعاً شديداً فادع الله أن يردّه عليها ، فقال :
اللهم إن السماء سماءك والأرض أرضك وما بينهما لك فآت به ، قال خليل فأتيت باب الشام
— مكان بغداد — فإذا ابني مُحَمَّد قائم منبهر قلت مُحَمَّد ؟! قال أبتي كنت الساعة بالأنبار .

واخرج الخطيب في التاريخ عن ابن شيرويه قال كنت أجالس معروفاً الكرخي كثيراً فلما كان
ذات يوم ، رأيت وجهه قد خلا . فقلت له يا أبا محفوظ بلغني أنك تمشي على الماء ، فقال لي
: ما مشيت قط على الماء ولكن إذا هممت بالعبور جمع لي طرفها فأخطاها .

أما قول العلماء : فإنهم لم يقتصروا عن البحث عن ذلك كبحتهم عن الأحكام التي تبين
لأكثرهم وقوعها مع فارق دعوة النبوة في المعجزة في جنسها وعظمتها ، فقد وقع أحياء المهر
الذي مات تحت أبي عبد الله التستري أحد كبار مشايخ الرسالة القشيرية ، في سفر غزو له حتى
وصل إلى البيت ووقع لأعرابي أحياء جملة بدعائه وفي رسالة عن سهل التستري إنه قال : الذاهر
لله على الحقيقة لو هم أن يحيي الموتى بفعل يعني بإذن الله ومسح بيده على عليل بين يديه فبرئ
وقام .

وقال اليافعي : ومن المشهور ما روي مسنداً من خمس طرق عن جماعة من الشيوخ
الأجلاء أن الغوث الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله ونفع الله به جاءت إليه امرأة بولدها ،
وخرجت عنه لله وله فقبله ، ثم أمره بالمجاهدة فدخلت على الشيخ فوجدت بين يديه أناء فيه
عظم دجاجة قد أكلها فقالت تأكل لحم دجاج ويأكل أبني خبز الشعير ، فوضع يده على ذلك
الطعام ، وقال قومي بالله محيي العظام فقامت الدجاجة سوية وصاحت . فقال الشيخ : إذا
صار ابنك هكذا فليأكل الدجاج وما شاء . قال اليافعي : ومما تفارق الكرامة فيه المعجزة أن
المعجزة يجب على النبي إظهارها ، والكرامة يجب على الولي إخفاؤها إلا عند ضرورة أو إذن أو
حال غالب لا يكون له فيه اختيار أو تقوية يقين مريد .

قال : وإطلاق المحققين انه يجوز له إظهارها يحمل على بعض هذه الصور للعلم بأن
إظهارها لغير غرض صحيح لا يجوز بخلافه لغرض صحيح كما وقع لملك كافر انه قال : شيخ
إن لم تظهر لي كرامة والا قتلت الفقراء ، فظهر قلب بعير ذهباً ، ورمى بكوز فارغ في الهواء
فامتلاً ماء فنكس رأسه ولم يخرج منه قطرة فليل للملك : هذا سحر ! فأمر الشيخ بإيقاد نار

عظيمة وبالسمع ، ثم دخل هو وبإحدى يديه رمانة وبالأخرى تفاحة فقيل : وهذا سحر أيضاً فخرج له الملك قدحاً ملاً سماً وقال لا اصدق إلا إن شربته جميعه فأمر بالسمع ثم شربه فتمزقت ثيابه فأبدلت وهكذا حتى بقيت ولم يصبه شيء غير انه كان يرشح عرقاً .

وجاء غلمان السلطان لأحد خراج أرض لبعض الفقراء ، فخرجت عليهم ثعابين فهربوا ولم يزالوا هارين حتى انقرض الشيخ وأولاده فعادوا للأخذ من أولاد الأولاد فخرجت إليهم الثعابين وتبعتهم كذلك . وأنا ممن رأى تلك الأرض حين خرج منها الثعابين ، إذ سرق لبعض ذرية هذا الشيخ بقرة فلما أراد السراق حلبها ، التفت الثعابين بأرجلهم فما خلصوا إلا بالمبادرة بردها . ولقد قال الأستاذ العارف أبو الحسن الشاذلي رحمه الله في قوم يكذبون بكرامات أولياء زمانهم فقط ، والله ما هي إلا إسرائيلية صدقوا موسى وكذبوا مُحَمَّدًا ﷺ ، لأنهم أدركوا زمانهم .. راجع الفتاوى الحديثة .

وبعد ما تبين مما حرر من ثبوت الكرامة من نوع المعجزة وأنها بقدر الاختصاص والموهبة كالولاية نفسها وإلى ما شاء الله ، لا نرى حاجة للاستدلال مما يقع للفقراء (الدراويش) من الخوارق واحدة واحدة وإلى ما يقع في زمن دون زمن حسب افتقار الأمة وفي شيء أو أشياء دون أخرى .

كما وقد تبين لك أن الكرامة تبقى لذوي العلاقة بدون النظر إلى أحوال من يصدر لأجل إكرامه وذلك كما في الثعابين وأولاد أولاد الشيخ المتوفى ذي الكرامة المباشرة ومن قوله تعالى في القصة الغريبة بين موسى وصاحبه : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾^(١٠١) . غير إني أود أن اذكر ما وقع في زمن خاص الخلفاء الراشدين وفتاوى الإمام النووي ونصه : إذا اصطاد الحاي حيّة وحبسها معه على عاداتهم فلسعته فمات هل يأثم ؟ فأجاب إن صاها ليرغب الناس في اعتماد معرفته وهو صادق في صنعته ، ويسلم منها في ظنه ولسعته فمات لم يأثم وإن انفلتت وتلفت شيئاً لم يضمه .

ومن الناس من يقول لو كانت الكرامة جائزة لكانت واقعة وكثيرة في زمن الصحابة بحجة

أنهم أفضل الأمة ، والجواب قد مرّ أن الكرامة لازمة لصلاح أو فضيلة بل ليست الولاية بمعناها من شروط الكرامة ومن المشهور : إن من يمشي على البحر ولا تبتل قدمه يجوز أن يكون أكبر منه يغرق ويموت في بركة .

واخلص في الجواب ما فصل فيه الفتاوى الحديثة للشيخ ابن حجر الهيتمي عن الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله قال : لأن أولئك كان إيمانهم قوياً فلم يحتاجوا إلى زيادة مقو بخلاف من بعدهم فقوموا بزيادة الكرامات .

وعن الشهاب السهروردي : لأنهم ببركة رؤية النبي صلوات الله عليه ومشاهدته مع نزول الوحي ، تنورت بواطنهم وتركوا نفوسهم ، واتصلت مرآة قلوبهم فاستغنوا بما أعطوا عن رؤية الكرامة ، واستماع أنواع القدرة ، وخرق العادة قد يكشف به لضعف يقين المكاشف رحمةً ناجزةً وثواباً معجلاً لبعض العباد . وفوق هؤلاء قوم ارتفعت الحجب عن قلوبهم وباشرت بواطنهم روح اليقين وصرف المعرفة ، فلا حاجة لهم برؤية خارق .

وعن الياضي : أن الصحابة كانوا أهل حق وسنة وعدل ومن بعدهم بصددهم ، فبعث الله في سائر البلدان رجالاً قلّدهم سيوفاً ماضية قطعوا فيها مواد الفساد والبدع والمخالفات حتى خافهم الناس وأذعنوا لهم ، أي فمن ثم كثرة منهم تلك السيوف المكنى بها فما زالت دائمة مستقرة معجزة له صلوات الله عليه .

ومن بعض العلماء في زمننا هذا يعترض على الفقهاء الذين يأتون بخوارق العادات بأنهم ليسوا من أهل يصلحون لذلك . والجواب التذكري الذي يقبله كل منصف محق هو — إن ظاهر المسلم العدالة حتى يتبين المفسق وأنى لهم ذلك . وأن الأيمان يحسبه هي الولاية وأن الحكم على المجهول ظلم ، ولو تنازلنا فأنهم لا يخرجون عن الذين تعد خوارقهم معونةً ونختم أفواههم بـ (هل شققت قلبهم) وبـ (أمرت أحكم بالظواهر والله يتولى السرائر) .

فيما أكرم الله به أوليائه بعد وفاتهم من بقاء أجسامهم سليمة لا يغير البلى ولا يعفياها التراب

ثبت ذلك بالمشاهدة والتواتر في وقائع لا يكاد يحصيها العد وأنا اذكر من ذلك ما تيسر من غير استيفاء .

قال الحافظ بن رجب في كتاب أهوال القبور ما نصه : وأما من شوهده بدنه طرياً صحيحاً والكفانة عليه صحيحة بعد تطاول المدة من غير الأنبياء ﷺ فكثير جداً نذكر من أعيانهم جماعة وروى مالك عن عبد الرحمن بن أبي صعصعه انه بلغه أو عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصاري كانا في قبر واحد وهما ممن استشهد يوم أحد فحفر السيل قبرهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو هكذا فأشيلت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان بين أحد وبين ما حفر عليهما ست وأربعون سنة .

وقال ابن أبي الدنيا ثنا أحمد بن عاصم ثنا سعيد بن عامر عن المثنى بن سعيد قال لما قدمت عائشة بنت طلحة البصرة أتتها رجل فقال إني رأيت طلحة بن عبيد الله في المنام فقال : قل لعائشة تحولي من هذا المكان فأن النز آذاني فركبت في مواليتها وحشمها فضربوا عليها واستثاروه فلم يتغير منه إلا شعرات في أحد شقي لحيته أو قال رأسه حتى حول إلى موضعه وكان بينهما بضع وثمانون سنة .

وقصة نقل طلحة بن عبيد الله أسندها بن عبد البر في الاستيعاب من طرق وتقدم حديث ابن عباس في الرجل الذي ضرب خبأه على قبر وهو لا يحسب انه قبر فإذا رجل يقرأ سورة الملك وفي هذا المعنى آثار كثيرة جداً كما قال ابن رجب ذكرها ابن أبي الدنيا وغيره .

وقال الشيخ أبو الحسن علي بن محمد المزين الصغير الصوفي كنت ببادية تبوك فقدمت إلى بئر استقي منها فزلقت رجلي ف وقعت في جوف البئر فرأيت في البئر زاوية واسعة فأصلحت موضعاً وجلست فيه فبينما أنا كذلك إذا أنا بخشخشة فتأملت فإذا بأفعى سقطت عليّ ودارت بي وأنا ساكن في السر لا اضطرب ثم لفت عليّ ذنبها وأخرجتني من البئر وحلت عني ذنبها ثم ذهبت عني .

قال الديميري : رويناه بالسند الصحيح إن الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمته الله جلس يوماً يعظ الناس وكانت الريح عاصفة فمرت على مجلسه حداة طائفة فصاحت فشوشت على الحاضرين ما هم فيه . فقال الشيخ : يا ربح خذي رأس هذه الحداة فوقعت لوقتها في ناحية ورأسها في ناحية ، فنزل الشيخ عن الكرسي وأخذها بيده وأمر يده الأخرى عليها ، وقال بسم الله الرحمن الرحيم ، فحييت وطارت والناس يشاهدون ذلك .

نقل سراج الدين بن الملحق في طبقات الأولياء عن الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمته الله ، قال رأيت رسول الله صلوات الله عليه قبل الظهر فقال : ﴿ يا بني لم لا تتكلم ﴾ . قلت يا أبتاه أنا رجل أعجمي - أي في لساني عجمة [والا فالشيخ الكيلاني هو عربي سيد النسب] ، كيف أتكلم على فصحاء بغداد ، فقال : ﴿ افتح فمك ﴾ ، ففتحته فتفل فيه سبعا ، وقال : ﴿ تكلم على الناس وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ فصليت الظهر وجلست وحضرتي خلق كثير فأرتج عليّ ، فرأيت علياً قائماً بإزائي في المجلس فقال لي : يا بني لم لا تتكلم ؟ فقلت يا أبتاه قد شقّ عليّ ، فقال افتح فاك ، ففتحته فتفل فيه ستاً ، فقلت لم لم سبعا ؟ فقال : أدباً مع رسول الله صلوات الله عليه ثم توارى عني فقلت غواص الفكر يغوص في القلب على درر المعارف فيستخرجها إلى ساحل الصدر ينادي عليها ترجمان اللسان فتشتري بنفائس أثمان حسن الطاعة في بيوت أذن الله أن ترفع .

وقال الشيخ برهان الدين البقاعي في معجمه : حدثني الإمام أبو الفضل بن أبي الفضل النويري ، إن السيد نور الدين الابحى والد الشريف عفيف الدين لما ورد إلى الروضة الشريفة وقال السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، سمع من كان بحضرته قائلاً من القبر يقول : ﴿ وعليك السلام يا ولدي ﴾ .

وكذلك القطب الكبير سيدي علي الجمل الحسيني وتلميذه شيخ الأولياء مولاي العربي الدرقاوي الحسيني وتلميذه الولي الكامل سيدي محمد البوزيدي الغماري الحسيني كانوا يرون النبي صلوات الله عليه ويجمعون به ويسألونه عن كل ما يهمهم . وكذلك غيرهم من كمل الأولياء ممن لا يحصون كثرة كابن عربي والسيوطي والشعراني رحمهم الله أجمعين ، وأنّا لنا مما أعطاهم بفضلهم وكرمه آمين .

التوسل بالأولياء

قال تعالى : ﴿ لَا تَفْعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ (١٠٢) .
وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى ﴾ (١٠٣) .

١٠٢ - طه : ١٠٩ .

١٠٣ - الأنبياء : ٢٨ .

وقال تعالى : ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ (١٠٤).

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ (١٠٥).

قال الزمخشري في الكشاف : ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت جاءوك تائبين من النفاق متصلين عما ارتكبوا ، فاستغفروا الله من ذلك بالإخلاص وبالغوا بالاعتذار إليك من إيدائك برد قضائك حتى انتصبت شفيعاً لهم إلى الله تعالى ومستغفراً لوجدوا الله تواباً أي لتاب عليهم ولم يقل استغفرت لهم وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيماً لشأن الرسول ﷺ وتعظيماً لاستغفاره وتنبيهاً على أن شفاعته من اسمه الرسول ، من الله بمكان .

في هذه الآية وإن كانت نزلت بسبب المنافقين والمتحامين إلى الطاغوت فهي عامة تشمل كل عاصٍ ومقصرٍ لأن ظلم النفس المذكور فيها يشمل كل معصية ، ثم أن الآية تدل على الاستشفاع بالنبي ﷺ في حالتي حياته ووفاته ، لأن كل من فعل المجيء والاستغفار وقع في سياق الشرط ، والفعل في سياق الشرط يدل على العموم والاستشفاع في حالة الحياة ظاهراً ليس فيه خلاف .

وأما في حالة الوفاة فالوهابيون يمنعونهم متوهمين إن الموت يحول دون تحقيقه وهو غلط ظاهر لان الأنبياء أحياء في قبورهم يرزقون بدليل الكتاب والسنة والإجماع .

أما الكتاب فإن الله تعالى قال في حق الشهداء : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (١٠٦).

وقال أيضاً : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (١٠٧).

ولا شك إن الأنبياء أعلى رتبة وأفضل جاهاً وأكثر مجاهدة من الشهداء فهم أولى بهذه الميزة

١٠٤ - المائدة : ٣٥ .

١٠٥ - النساء : ٦٤ .

١٠٦ - البقرة : ١٥٤ .

١٠٧ - آل عمران : ١٦٩ .

على إن نبينا ﷺ جمع الله له بين النبوة والشهادة ولكن بعض أدعياء العلم يعترضون على المقال ويقولون الآية نزلت بخصوصها وفي حياته ورسول الله ﷺ بعد موته منقطع عن الدنيا بالكلية .
فنقول ادعاء انحصار الاستغفار في حياته ﷺ غير مسلم به كيف وان الرسول ﷺ في قبره :

روى أبو بكر بن عبد الله المزني عنه ﷺ : ﴿ حياتي خير لكم فان مت كانت وفاي خيراً لكم ، تعرض عليّ أعمالكم فإن رأيت خيراً حمدت الله وإن رأيت شراً استغفرت لكم ﴾ . بسند حسن - الجامع الصغير للسيوطي .

فرسول الله ﷺ وهو في قبره الشريف تعرض أعمالنا عليه ويستغفر لنا فادعاء بعض الناس أن الاستغفار من رسول الله ﷺ ينحصر في حياته باطل انه ﷺ يستغفر في قبره الشريف .
واستغفار رسول الله ﷺ لنا هو عين توسلنا به واستشفاعنا بذاته الكريمة ﷺ ، وأعجب العجب من المانعين لذلك ومبنى الكون كله على الأسباب لذا قال العلماء أن من اعتقد إن السكين تقطع اللحم بذاتها فقد كفر لأن الله تعالى هو الفاعل المختار وهذه الأمور أسباب وأشكال دنيوية .

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (١٠٨) .

فهو سبب لرفع الشقاء عنهم في حياته وبعد موته لكونه حياً .
حيث قال ﷺ : ﴿ مررت بموسى وهو قائم يصلي في قبره ﴾ .
ما الفرق بين قوله تعالى عن زكريا عليه السلام : ﴿ فَنادته الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾ (١٠٩) .

وبين قوله ﷺ : ﴿ وهو قائم يصلي في قبره ﴾ . فزكريا عليه السلام قائم يصلي في محرابه وموسى عليه السلام قائم يصلي في محراب قبره ، فتصور موت الأنبياء بأنه الانعدام بالكلية باطل .

١٠٨ - الأنفال : ٣٣ .

١٠٩ - آل عمران : ٣٩ .

قال تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ (١١٠).

هو الله ﷻ يأذن للشفعاء بالشفاعة إن كانوا من الأنبياء أو الأولياء والصالحين فإذا أذن لهم تشفعوا وأصبحوا وسيلة بينه وبين الخلق لأن الله ﷻ ما جاء بهم إلا جعلهم وسيلة بينه وبين خلقه والا هو القادر أن يهدي الناس ويجعل منهم المسلم والمؤمن .

والفاسق دون الحاجة إلى نبي أو رسول أو مرشد مصلح ولا يعجزه ذلك ، إذن لما جعلهم الله تعالى وسيلة بل اختارهم واصطفاهم على رؤوس الخلق فهم اشد الناس إيماناً به وأكثرهم خشية منه وأحسنهم معاملة له واقفون بين يديه مفوضون أمورهم له فجعلهم عينه على خلقه ويده عليهم حيث في الحديث القدسي الشريف : ﴿ لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وأن سألني لأعطيته وإن استعاذ بي لأعيذنه ﴾ .

وامرنا ﷻ باتباع الوسائل إليه حيث خاطبنا قائلاً عز من قائل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ (١١١).

والوسيلة إلى الله تعالى هي التقرب إليه بعمل أو بذات وتنقسم إلى قسمين :

١ . وسيلة قديمة : كالتوسل بالله تعالى وصفاته وأسمائه وكلامه القديم وليس في ذلك من متوقف .

٢ . وسيلة حادثة كالتوسل برسول الله ﷺ وآل بيته وصحابته وأهل سنته ولا ينكر ذلك إلا من تجاهل أو تعالى ، كيف والله تعالى يقول : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (١١٢).

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (١١٣).

١١٠ - البقرة : ٢٥٥ .

١١١ - المائدة : ٣٥ .

١١٢ - النساء : ١١٥ .

١١٣ - البقرة : ٨٩ .

ومثله في تفسير الكشاف ما نصه : وكانوا يعني اليهود من قبل أي من قبل مبعث النبي ﷺ يستفتحون أي يستنصرون به على الذين كفروا يعني مشركي العرب وذلك إنهم كانوا إذا حر بهم ودهمهم عدو يقولون : اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة وكانوا ينتصرون ، وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين قد اطل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا أي الذين عرفوه يعني محمدًا ﷺ عرفوا نعتهم وصفته وأنه من غير بني إسرائيل كفروا به أي جحدوه وانكروه بغياً وحسداً وكفراً . (في تفسير البغوي والنسفي وذو روح المعاني للألوسي) .

روى الإمام الترمذي في كتاب الدعوات : إن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال أدعُ الله أن يعافيني . قال : ﴿ إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك ﴾ . قال : فادعه ، فأمره أن يتوضأ ويحسن وضوءه ويدعو بها الدعاء : ﴿ اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي لي فشفعه في ﴾ ففعل الرجل فبراً .

قال الترمذي حديث حسن صحيح ورواه النسائي في اليوم والليلة وأخرجه ابن ماجه في دلائل النبوة ورواه البيهقي في كتاب الدعوات بإسناد صحيح .

وقد روي عن أبي الجوزاء رضي الله عنه قال : قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها . فقالت : فانظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف . ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق .

وروى ابن ماجه والإمام أحمد وابن السني قال الإمام النووي في الأذكار ، كان ﷺ حينما يخرج من المسجد فيقول : ﴿ اللهم أني أسألك بحق السائلين وأسألك بحق ممشيائك ﴾ . ينكر أجزاء الحديث المتشدقون بالكلام بقولهم ليس لعبد حق على الله والله صاحب الحق على عباده وكأنهم لم يمروا بالآية الكريمة : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(١١٤) .

ما أرى في تفاهة عقولهم إلى التشكيك والضلال ، قلوبهم مريضة وأفكارهم عقيمة فما أن تواجههم بالحقائق الساطعة حتى ارتدوا على أدبارهم القهقري تشم فيهم رائحة الكفر والضلال : ﴿ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (١١٥).

فهم معتزلة هذا الزمان فتراهم يقولون بقل الربيع شافاني والدواء وارواني الماء فكيف تقولون الربيع والدواء والماء والمشافي والمروي والزراع هو الله .

روى الطبراني في الأوسط عن انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ لن تخلوا الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمن فيهم تسقون وبهم تنتصرون ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر ﴾ .

ومعنى المثلية في قوله مثل خليل الرحمن أنهم على طريقة إبراهيم عليه السلام في السخاء وسلامة الصدر والرحمة لجميع المسلمين كما جاء في أحاديث أخرى .

قال صلى الله عليه وسلم : ﴿ إذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد عوناً وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله أغِيثُونِي : فان لله عبداً لا نراهم ﴾ . رواه البزار وحسنه الحافظ ورواه الطبراني عن عتبة بن غزوان عن النبي صلى الله عليه وسلم .

قال صلى الله عليه وسلم : ﴿ ليأتين على الناس زمان يخرج الجيش من جيوشهم فيقال هل فيكم من صحب مُجَدِّاً فيستنصرون به فينصرون ثم يقال هل فيكم من صحب مُجَدِّاً فيقال لا فيقال فمن صحب أصحابه ؟ فلو سمعوا به من وراء البحر لأتوه ﴾ .

رواه الحافظ الهيثمي رجال الطريقين رجال الصحيح ففي هذا الحديث جاز التوسل بالصحابة والاستنصار بهم .

فإذا اعتقد الداعي برجل صالح وحسن اعتقاده فيه والتجأ إليه لطلب الدعاء فإن الله تعالى يجيب دعوة الداعي . لهذا وضع شرط أن يكون الوسيلة رجل صالح وصادق مع الله تعالى فيكون دعاءه مستجاباً بالحث للناس على الصلاح والصدق حيث قال صلى الله عليه وسلم : ﴿ رُبُّ رجل أشعث اغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره ﴾ . لذا التجأ الناس إلى الصالحين تأكيداً لرجاء

القبول . وقال ﷺ : ﴿ أَرْجَى الدَّعَوَاتِ دَعَاءُ الْأَخِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ ﴾ ، فيطلب الملتجئ إلى أخيه ليدعو له وورد انه قال ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه لما استأذنه للعمرة : ﴿ لَا تَنْسَنَا يَا أَخِي مِنَ الدَّعَاءِ ﴾ .

وطلب الدعاء من المتوسل به والوسيلة جائزة كما ورد في استغفار المسلمين لإخوانهم السابقين في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١١٦) . وقوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (١١٧) . والشامل بظاهر الآية أن التعاون يكون مادياً ومعنوياً .

روى البخاري والطبراني وابن ماجة في صحيحه ، إن الأرض جذبت في زمن سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه وكادت الرياح تذر تراباً كالرماد ولشدة الجذب فسمي (بعام الرمادة) ولذلك خرج سيدنا عمر رضي الله عنه يستسقي الناس قال لهم : هل فيكم من آل بيت النبي ﷺ ، قالوا نعم العباس بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ فاخذ سيدنا عمر بيده وأوقفه أمامه وقال : (اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك فأنت تقول وقولك الحق : ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً ﴾ (١١٨) . فحفظتهما لصلاح ابيهما فاحفظ الله نبيك في عمه فقد دنونا به إليك مستغفرين) ، ثم اقبل على الناس وقال : استغفروا ربكم انه كان غفاراً والعباس رضي الله عنه عيناه تنضحان وهو يقول : (اللهم أنت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضیعة فقد ضرع الكبير والصغير وارتفعت الشكوى وأنت تعلم السر وأخفى ، اللهم أغثهم بغيثك فقد تقرب القوم بي إليك لمكانتي من نبيك ﷺ) . فنشأ طير من سحاب وقال الناس : أترون أترون ، ثم تراكمت وماست فيها ریح ثم هرت ودرت حتى قلعوا الحذاء وقلعوا المآزر وخاضوا الماء إلى الركب وعاد الناس يتمسحون بردائه ويتبركون ويقولون هنيئاً لك ساقى الحرمين .

١١٦ - الحشر : ٤ .

١١٧ - المائدة : ٢ .

١١٨ - الكهف : ٨٢ .

وقال ﷺ مخاطباً عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ﴿ إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أويساً لا يدع باليمن غير أم له قد كان به بياض (برص) ، فدعا الله فأذهبه إلا موضع الدينار والدرهم فمن لقيه منكم فليستغفر لكم ﴾ . فأمر رسول الله ﷺ أصحابه باستغفار أويس لهم فيه حث على طلب الدعاء إلى الله من الصالحين وكذلك جاز التوسل بالصالحين من الأموات وهم في قبورهم لأنهم (أحياء عند ربهم يرزقون) ، (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) . كما ورد في الآيات الكريمة والأحاديث الدالة على ذلك .

وان من أنكر التوسل فقد قدح والعياذ بالله فيما أوردناه من الآيات والأحاديث والأقوال لم يتعرض للإنكار أحد من العلماء إلا من المتأخرين ولا عبرة بقوله وقد ردّ العلماء عليهم قولهم وأوضحوا بطلان آرائهم وذلك مثل الإمام السبكي حيث ردّ في كتابه شفاء السقام وبقي الأمر في الكتب مطموراً حتى أواخر القرن الثاني عشر أو بداية القرن الثالث عشر الهجري فأظهره وأشاعه أحد رجال نجد وابتليت الأمة بالجهلة الرعاع ممن شنّوا على المسلمين وكفروهم .

وهذه نتفأ من جواهر أئمة الفضلاء في الاستغاثة والتوجه بسيد الأنبياء ﷺ .

يقول الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله (انظر كتاب الصواعق المحرقة)

آل النبي ذريعتي
وهمو إليه وسيلتي
ارجوا بهم أعطى غداً
بيدي اليمين صحيفتي

وقال شمس الدين بن جابر الاندلسي :

يا من إذا لجأ الضعيف لبابه
عظمت ذنوبي والعظام كلها
خذ سيدي بيدي أغثني إنني
ويقول الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه :

يا سيد السادات جئتكَ قاصداً
والله يا خير الخلائق إن لي
وبحق جاهك أنني بك مغرم
أنت الذي لما رفعت إلى السما
أبت المكارم أن يُضيع من لجأ
بعظيم جاهك نرتجي أن تفرجنا
أصبحت في بحر الذنوب ملجلجاً
أرجو رضاك واحتمي بحماكا
قلباً مشوقاً لا يروم سواك
والله يعلم أنني أهواكا
بك قد سمت وتزينت لعلاكا

ويقول الإمام مالك رحمه الله لأبي جعفر المنصور حينما قال له أبو جعفر أستقبل القبلة وأدعو أم استقبل رسول الله ﷺ . فقال الإمام مالك : كيف تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام .

ويقول الإمام النووي رحمه الله في آخر كتابه الإيضاح في مناسك الحج : يقف قبالة وجهه ﷺ فيتوسل به ويتشفع به إلى ربه .

ويقول الإمام الرملي : وللرسل والأنبياء والأولياء إغاثة بعد موتهم لان معجزة الأنبياء وكرامة الأولياء لا تنقطع بعد موتهم إلى آخر ما ذكره .

قال ابن عريون : إن التوسل بأولياء الله تعالى عموماً سبب قضاء الحاجات ونيل الكرامات وكذا التوسل بأهل بيت النبي ﷺ لكراماتهم عند الله ، وأما الخروج لزيارة قبور الصالحين والعلماء فجائز طال السفر أو قصر ومما نص على ذلك الإمام أبو بكر بن العربي في القبس والغزالي في الأحياء .

قال الغزالي : كل من ينتفع به حياً ينتفع به ميتاً .

وقال أبو بكر بن العربي رحمه الله : إنما ينتفع الميت بالحي والذي نعتقده أن الحي ينتفع بالميت .

وقال سيدي أحمد زروق في القواعد : يجوز التوسل بالأعمال كأصحاب الغار الذي دعا كل واحد منهم بأفضل عمله وبالأشخاص كتوسل عمر بالعباس عليه السلام في استسقاؤه .

المجاهدة

هي اجتهد السالك في إزالة العوائق المتراكمة في طريق سيره بإتباع الأساليب التي يوجهه بها شيخه دون ملل أو كلل والتي لها الأثر الكبير في اختصار الطريق وبلوغ المرام ، إن الله ﷻ لا يرسل جنوده لبناء عرشه في قلب المريد ما لم يكن المريد قد هياً أرضه أي قلبه لاستقبال البشائر وتهية العزم على محاربة أعداء الله وهما النفس والشيطان . فالنفس مأمورة لاستثارة الشهوات والاستزادة من اللذات والشيطان يهيئ الطرق غير المشروعة . أيها السالك إن عزمت وباشرت وصبرت ظفرت لأن الله يعلمك سبل خداعهم ووسوستهم ويهديك إلى الطريق الموصل إليه كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١١٩).

والمجاهدة طريقها طويل وسيرها متواصل ليس لها حدٌ معلوم أو قرارٌ معين فالسالك ما أن يُشَمَّر عن ذراعيه حتى يواصل إلى النَّفْس الأخير . قال تعالى : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ (١٢٠). يعني الموت فإن السالكين والواصلين والعارفين جميعهم مجاهدون في الله لا أحد منهم يسكن له طرف حتى تطبق عليه الثرى ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة الذي كان ساجداً باكياً حتى تورمت قدماه ، ولما سئل ﷺ قال : ﴿ أفلا أكون عبداً شكوراً ﴾ . وهو كما ورد لا نفس ولا شيطان ولا شهوة غير مشروعة فما حالنا نحن عامة البشر وقد تصارعت فينا هذه القوى حتى ضللنا الطريق فاطمست القلوب بالملذات والشهوات وكثف الحجاب وعميت البصائر وصرنا عبيد للدنيا وتذللت لها وراح أكثر العلماء لا ينطق لهم لسان وقد قال الغوالي : (مرض العلماء هذا الزمان مرض عسر عليهم علاج أنفسهم لأن الداء المهلك حب الدنيا وقد غلب ذلك على العلماء واضطروا عن الكف عن تحذير الخلق من الدنيا كيلا تنكشف فضيحتهم فليتهم إذا لم يصلحوا لم يفسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا) . فهم غلب عليهم حب الدنيا وصمتوا محتجين ببعض صحابة رسول الله ﷺ كعثمان رضي الله عنه إذا ما سئلوا عن جمع المال والثراء ونوشدوا بالزهد والورع أين هم منه إن عثمان رضي الله عنه قد خرج المال من قلبه فلا أحد مثله . يا من غرتكم الدنيا ما هذه الأمثال التي تضربونها ولماذا التحامل على العلماء العاملين والمشايخ

١١٩ - العنكبوت : ٦٩ .

١٢٠ - الحجر : ٩٩ .

الكاملين . أنت يا من لم تستطع جمع القلوب إليك وإرشادهم وانك تعلم قوله ﷺ في الحديث القدسي : ﴿ من عادى لي ولياً آذنته بالحرب ﴾ . دع أولياء الله يدعون الخلق للتخلص من جيفة الدنيا .

قال سيدي الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمته الله : لأهل المجاهدة وأولي العزم عشر خصال فمن أحكمها وصل إلى المنازل الشريفة :

أولاً : أن لا يحلف بالله ﷻ صادقاً ولا كاذباً عامداً أو ساهياً فإذا اعتاد على ذلك فتح الله له باباً من أنواره يعرف منفعة ذلك في قلبه .

ثانياً : أن يجتنب الكذب لا هازلاً ولا جاداً لأنه إذا فعل ذلك واحكمه من نفسه واعتاد لسانه شرح الله تعالى به صدره وصفاً به علمه .

ثالثاً : أن يحذر أن يعد أحداً شيئاً فيخلفه ، لان ذلك من الكذب فإذا أفي فتح الله له باب السخاء والحياء .

رابعاً : أن يجتنب أن يلعن شيئاً من الخلق أو يؤذي ذرة فما فوقها لأنها من أخلاق الأبرار والصدّيقين .

خامساً : أن يجتنب الدعاء على أحد من أهل القبلة وإن ظلمه .

سادساً : أن لا يقطع الشهادة على أحد من أهل القبلة بشركٍ ولا كفرٍ ولا نفاقٍ فانه أقرب للرحمة وأعلى في الدرجة .

سابعاً : أن يجتنب النظر إلى المعاصي ويكف عنها جوارحه فانه ذلك من أسرع الأعمال ثواباً في القلب والجوارح في عاجل الدنيا .

ثامناً : أن يجتنب أن يجعل على أحد من الخلق منّة صغيرة أو كبيرة .

تاسعاً : أن يقطع طمعه من الآدميين ولا يطمع نفسه بما في أيديهم فانه العز الأكبر والغنى الخاص والملك العظيم .

عاشراً : أن يتواضع لأنه به يشيّد مجد درجته وتعلو منزلته والتواضع هو أن يقول عندما يرى أحداً عسى أن يكون عند الله خيراً مني وارفح درجة فإذا كان العبد كذلك سلمه الله من الضلال وبلغ به منازل النصيحة لله ﷻ وكان من أصفياء الرحمن وأحبائه .

مشروعية الجاهدة

قال تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ (١٢١).

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (١٢٢).

وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (١٢٣).

وقال تعالى لداود عليه السلام : ﴿ يَا دَاوُدُ إِن أَرَدْتَ مَحَبَّتِي لَكَ فَعَادِي نَفْسِكَ وَوَدَنِي بَعْدَاوَتَهَا ﴾ .

قال عليه السلام : ﴿ عَدْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ ﴾ . قالوا وما الجهاد الأكبر يا رسول ؟ . قال : ﴿ جهاد النفس ﴾ .

وفي الحديث قال عليه السلام : ﴿ المجاهد من جاهد نفسه في الله وَجَّهًا ﴾ .

قال الإمام علي عليه السلام : (أول ما تنكرون من الجهاد جهاد نفوسكم) .

وقال أيضاً : (رضاء الرب جل وعلا في مكروه النفس) .

قال إبراهيم بن أدهم عليه السلام : أصاب شخصاً زاهداً سهم فذبحه فقال : الحمد لله الذي أخذ لي بثأري من نفسي فكم ذبحتني من ذبح .

قيل ليحيى بن معاذ أنت بحرٌ والله ذو عقل فقال : كيف عقلي وأنا أبيع الجنة بشهوة نومة أو لقمة أو أكلة .

وكان مالك بن دينار عليه السلام يقول : والله لو أنكم تجدون للعاصي ريحاً لما استطاع أحد منكم مجالستي لحبث ريحي .

وقال رجل يوماً لمالك بن دينار عليه السلام : يا مرأئي فقال له مالك : لقد عرفت يا أخي نعتي الذي أضله أهل البصرة .

١٢١ - الفرقان : ٤٣ .

١٢٢ - العنكبوت : ٦٩ .

١٢٣ - النازعات : ٤٠ ، ٤١ .

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله : كل من زعم انه يحب الله ويحب نفسه فقد كذب .

ومن باب المجاهدة

الجوع : قال تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (١٢٤) .
قال تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ (١٢٥) .
قال تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ (١٢٦) .
قال ﷺ : ﴿ ما من عمل أحبُّ إلى الله تعالى من الجوع والعطش ﴾ .
وقال ﷺ : ﴿ لا يدخلون ملكوت السماء من ملأ بطنه ﴾ .
وقال ﷺ : ﴿ سيد الأعمال الجوع وذل النفس ولباس الصوف ﴾ .
وقال ﷺ : ﴿ إن الشيطان يجري من بني آدم مجرى الدم فضيقوا مجاري الشيطان بالجوع والعطش ﴾

وقال ﷺ : ﴿ ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ﴾ .
وقال ﷺ : ﴿ الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة ﴾ .
وقال ﷺ : ﴿ لا تُحيوا القلوب بكثرة الطعام والشراب ، فإن القلب كالزرع يموت إذا كثرت عليه الماء ﴾ .

وقال ﷺ : ﴿ ألبسوا الصوف وثمرتوا وكلوا في أنصاف ، تدخلوا في ملكوت السماء ﴾ .
وقال ﷺ : ﴿ أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفوا وترق ﴾ .
وقال عيسى عليه السلام : (يا معشر الحواريين أجيئوا أكبادكم واعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله وَجْهًا) .

قال ﷺ : ﴿ جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في

١٢٤ - الأعراف : ٣١ .

١٢٥ - مريم : ٥٩ ، ٦٠ .

١٢٦ - التكاثر : ٨ .

سبيل الله ﷺ .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : دخلت على النبي ﷺ فوجدته يصلي جالساً فسألته عن ذلك فقال
﴿ الجوع ﴾ فبكيت فقال : ﴿ لا تبك فإن شدة القيامة لا تصيب الجائع إذا احتسبه ﴾
وقال ﷺ : ﴿ أفضلكم منزلة عند الله أطولكم جوعاً وتفكيراً وأبغضكم إلى الله كل نوام
أأكل شروب ﴾ .

وقال ﷺ : ﴿ الأكل في اليوم مرتين من الإسراف والله لا يحب المفسرين ﴾ .
وقال ﷺ : ﴿ سيكون رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام ويشربون ألوان الاشربة
ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام أولئك أشرار أمتي ﴾ .
وقال ﷺ : ﴿ نوروا قلوبكم بالجوع وخشن الثياب ﴾ .
وقال ﷺ : ﴿ أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة ﴾ .
قال الإمام الغزالي رحمه الله : إن الأكل على الشبع يورث البرص .
قال يحيى بن معاذ الرازي : الوسوسة بذر الشيطان فإن أعطيته أرضاً وماءً نبت بذره وإلا
ضاع ، قيل : ما الأرض وما الماء ؟ قال : الشبع أرضه والنوم ماءه .
وقال سهل رحمه الله : لا اعلم شيئاً أضُرَّ على طلاب الآخرة من الشبع .
وقال عبد الواحد بن زيد : والله ما مشوا على الماء إلا بالجوع ولا طويت لهم الأرض إلا
بالجوع .

قيل لأبي يزيد البسطامي رحمه الله : بيم نلت هذه المنزلة ؟ قال يبطن جائع وجسد عارٍ .
قال أبو سليمان الداراني رحمه الله : الجوع عند الله في خزانة لا يعطيه إلا من أحبه .
وقال أيضاً : وضعت الحكمة والعلم في الجوع ووضعت المعصية والجهل في الشبع .
وقال أيضاً : اعلم إن هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة إلا بذبح نفسه وقتلها بالجوع
والسهر والجهد .
وقال سهل رحمه الله : يخرج في آخر الزمان قوم يكون معبودهم بطونهم ودينهم لباسهم
وحليتهم كلامهم .

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله : إذا ابتلي المرید بكثرة الأكل بكت عليه الملائكة رحمة له ، ومن

ابتلي بحرص الأكل فقد احرق بنار الشهوة ، وفي نفس ابن آدم ألف عضو من الشر كلها في كف الشيطان ، فإذا جوع بطنه وراخى نفسه يبس كل عضو أو احترق بنار الجوع فرّ الشيطان من ظله وإذا اتبع بطنه وترك حلقة في لذائذ الشهوات فقد ربطت أعضاؤه وأمكن الشيطان .
وقال أيضاً : الشبع نهر في النفس ترده الشياطين والجوع نهر في الروح ترده الملائكة وتنهزم الشياطين من جائع نائم فكيف إذا كان قائماً .
قال أبو عثمان المغربي : الرباني لا يأكل إلا في أربعين يوماً والصمداني في ثمانين يوماً .

في الجوع فوائد جمّة نذكر منها

- ١ . صفاء القلب ونفاذ البصيرة فأن الشبع يورث البلادة ويعمي القلب حيث قال عليه السلام : ﴿ من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه ﴾ .
- ٢ . رقة القلب حتى تدرك لذة المناجاة ويتأثر بالذكر والعبادة .
- قال الشيخ الجنيد البغدادي رحمته الله : يجعل أحلكم بينه وبين القلب مخلاة من طعام ويريد أن يجد حلاوة المناجاة .
- ٣ . ذل النفس وزوال البطر والطغيان فلا تنكسر النفس بشيء كالجوع . [فالمهر الشموص إذا جاع ركب عليه الأطفال] .
- ٤ . فالجوع يُعذب النفس ولا يشاهد فيه تكلف .
- ٥ . كسر شهوات المعاصي والاستيلاء على النفس الأمانة وكسر سائر الشهوات التي هي منابع المعاصي قال الإمام علي رحمته الله : (ما شبعنا قط إلا عصيت أو هممت بمعصية) .
وقالت عائشة رضي الله عنها : (أول بدعة حدثت بعد الرسول صلّى الله عليه وآله الشبع) .
إن القوم إذا شبعوا بطونهم جمحت بهم نفوسهم الدنيا إما بالكسب أو بالتكالب عليها والافتتان بها لكونها فتانة سحارة تعرضت بصورة حسناء للإمام علي رحمته الله فقال لها : (غري غيري ، غري غيري) ، وحاد عنها وإما بالإرادة وانشغال القلب بها وتعلقه بسفاسفها مما يعطل وظيفة القلب ويشغل عن الذكر ويكدر الصفاء .
- ٦ . خفة البدن للتهجد والعبادة وزوال النوم المانع من العبادة فأن رأس مال السعادة

العمر ، والنوم ينقص العمر .

٧ . خفة المؤونة والقناعة بالقليل من الدنيا وعدم التكالب عليها .

وكان أبو القاسم القشيري يقول : إنما أساس باب الطريق الجوع لأنهم لم يجدوا ينابيع الحكمة تحصل إلا به وكانوا يتدرجون بتقليل الأكل شيئاً فشيئاً حتى وصلوا إلى أكل لقمة كل ليلة ويعضهم وصل أي ثمرة أو لوزة . وهكذا كان سيدي سلطان الأولياء حسين الكسنزاني رحمته الله حيث كان يدخل الخلوة بصاعين من التمر ويبقى أربعين يوماً ثم يخرج ولم يأكل منه شيئاً ، وبقي سنة كان طعامه في كل يوم مرة واحدة (استكان) من الشاي وملعقة صغيرة من العسل ، وهكذا كان كل من أبيه الشيخ عبد القادر الكسنزاني وأخيه الشيخ عبد الكريم الكسنزاني قدس الله أسرارهم . قال ابن العربي رحمه الله : لقد بلغنا أن الله عز وجل لما خلق النفس قال لها : من أنا ؟ فقالت : فمن أنا ؟ فأسكنها في بحر الجوع أربعة آلاف سنة ثم قال لها : من أنا فقالت : أنت ربي .

وكان سيدي أبو بكر الصديق رضي الله عنه يطوي ثلاثة أيام .

وكان إبراهيم ابن ادهم يطوي سبعة أيام وكان غيرهم من السلف يطوي أربعين يوماً ، ولقد جربوا فوجدوا النور كله في خلو البطن حتى قالوا في المثال السائد في الطبل انه كان صوته جهورياً قوياً لكونه خالي الجوف .

وكان السلف الصالح منهم من يستحي أن يدخل الخلاء حياء من الله عز وجل لئلا يكثر تردده ، وكانوا يقولون سلاح المؤمن الجوع لا يأكلون إلا على غلبة وكان منهم من يقتات على الأعشاب حتى كان ما يخرج من بطنه كبعير الغنم .

وكان أبو العباس الموصلي رحمه الله يقول : من زعم أن أكل الشهوات لا يضره فقد أعظم الفرية على الله تعالى .

وكان الداراني يقول : من المحال أن يجد أحد لذة الطاعات وهو يتناول الشهوات .

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله : فمذهب جميع الصالحين الجوع فمن فر منه فهو من الفاسقين .

واجمعوا : من كثر أكله كثر لحم بطنه ومن كثر لحم بطنه كثر شهواته ومن كثر شهواته

كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه قسى قلبه ، ومن قسى قلبه غرق في الذنوب والآفات ومن غرق في الذنوب والصفات دخل النار .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد رأى ابنه عبد الله يأكل خبزاً وسمناً فعلاه بالدرة وقال له : كل خبزاً وملحاً واترك السمن لغيرك .

قال الشيخ الحسن البصري رضي الله عنه : يكفي المؤمن ما يكفي العنيزة كف من حشف وشربة ماء .

وقالوا : إن النفس إذا جاعت فهي كالطفل الضعيف وإذا شبت كالأسد المفترس وإذا غضبت فهي كالمملوك الجبابة وإذا اشتتت شيئاً فهي كالبهائم وإذا خافت من شيء فهي كالمهرة وإذا آمنت فهي كالنمر وإذا عصت فهي كالشيطان وإذا سكنت فهي مثل الجماد .

وقد ذكر للجوع الصادق علامات : أحداها أن لا تطلب النفس الآدم بل تأكل الخبز وحده بشهوة (أي خبز كان) فمهما طلبت نفسه خبزاً بعينه أو طلب أداماً فليس ذلك بجوع صادق وقد قيل من علامته أن يبصق قلا يقع الذباب عليه أي لم يبق منه دهينة ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة .

النية في التجوع لله :

الجوع من أجمل خصال المؤمن وأكثرها تعباً إذا صح له في النية وفيه ست نيات مستحبات تبلغ العبد إلى رفيع الدرجات :
النية الأولى :

ينوي بجوعته تذليل النفس وتكسيورها وإيثار مخالفتها لكي يدخل تحت الطاعات ويستجيب لنداء أمر جبار السموات فينال به من الله الرضا كما قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ (١٢٧).

قال يحيى بن معاذ رحمه الله : لو تشفعت بملائكة سبع سموات ومائة ألف وأربعة وعشرين

ألف نبي وبكل كتاب وحكمة وولي على أن تصالحك نفسك في ترك الدنيا والدخول نحو الطاعات لم تحبك ولو تشفعت إليها بالجوع لأجابتك وانقادت إليك .

وقال سهل رحمه الله : والله الذي لا اله إلا هو ما تحول المتحولون عما يكره الله إلى ما يحب الله إلا بالجوع وما صار الصديقون صديقين إلا بالجوع .

وقال الحجاج بن قرافصة : أتيت طائفة من السياحين بمكة فقلت لهم : أخبروني لماذا أمر الله أوليائه بتجويع النفوس ؟ قالوا أما رأيت الدابة الصعبة أو البعير الصعب يشرد على أهله وأنهم لا يقدرُونَ عليه إلا أن يجيعوه . إلا أن العبد إذا أجاع نفسه وعطشها باهى الله به الملائكة وما من عبد باهى الله به الملائكة في موضع إلا وضع على رأسه غداً تاجاً من نور وبعث الله ملائكة من النور مع نجائب قد حليت بالياقوت الأحمر والأصفر وأزمتها اللؤلؤ المنظوم ورحالها الزبرجد الأخضر يقودها المخلدون حتى يوقفوها بجذء قبور أهل الجوع والعطش في الدنيا فيركبون من قبورهم إلى الله تعالى .

وعن إبراهيم بن ادهم رحمه الله قال : بلغني أن إبليس رأى عيسى عليه السلام ذات ليلة وذات يوم وهو يلتوي ، قال مالي أراك تلتوي ؟ قال : أفلا أتيتك طعاماً ؟ قال عيسى عليه السلام : أنك تعلم إني لو قلت لهذه الجبال والأودية كوني طعاماً بأذن الله لكانت ، ولكن أنت عدوي والنفس جاسوسك معي فأنا أجوع الجاسوس وأضعفه حتى لا تكون له قوة توصل خبري إليك أن جوعي يغيظك ويذريك ولا أريد في الدنيا إلا ذلك وأنشد في الجوع :

رأيت الجوع يغلبه رغيف	ومليء القعب من ماء الفرات
رأيت الجوع عوناً للمصلي	رأيت الشبع عوناً للسبات

النية الثانية :

ينوي موافقة الرسول ﷺ وأصحابه في حاله وحالهم ليكون غداً في زمرة لقول الرسول ﷺ : ﴿ من تشبه بقوم فهو منهم ﴾ . وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام : دخلت على رسول الله ﷺ فرأيت أنه قد انكب على وجهه وتحتة حصير وهو يتلوى من الجوع وهو يقول : بجوعي وعطشي هب لي ذنوب أمتي .

وقالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يجوعون من عوز .
وقال أبو هريرة رضي الله عنه : لقد رأيتني وأنا اصرخ من الجوع بين القبر والمنبر حتى يقول الناس انه
لمجنون وما بي إلا الجوع .

وكان صلى الله عليه وسلم ربما يصلي فيتساقط أصحابه من القيام إلى الأرض لما بهم من الجوع فإذا فرغ
من صلاته التفت إليهم وقال : ﴿ لو تعلمون ما لكم عند الله لأزددتم ﴾ .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأنصار فقال : ﴿ هل تشتهي
شيئاً ؟ ﴾ قال : نعم خبز بُر . قال : ﴿ من كان عنده فليأتي به فقام رجل وجاءه بكسرة خبز
فأطعمه ﴾ .

وقال صلى الله عليه وسلم لأبي ذر : ﴿ أقلل الطعام والكلام تكن معي في الجنة كهاتين ﴾ . وأشار
بإصبعيه السبابة والوسطى .

وقال صلى الله عليه وسلم : ﴿ أقربكم مني مجلساً يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا ﴾ .
ودخل أبو هريرة وعبد الله بن مسعود في خمسة من الصحابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
مسهم الجوع ، فقالوا : يا رسول الله هل من خبز ؟ فإنا جائعون . فلم يجد لهم إلا سويق شعير
فأكلوه فلم يقع لهم موقعه . فقالوا : يا رسول الله حتى نحن مجاعة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : ﴿ لن تزكوا
فيها ﴾ [أي ليس الجوع نفسه يزكيكم بل أن توابع الجوع من الصبر والتقوى هي التي تزكي
النفس وتطهرها] ، ﴿ ولكن اتقوا الله وأحدثوا الشكر فأني لم أجد قوماً يدخلون الجنة بغير
حساب إلا الصابرون ﴾ .

النية الثالثة :

ينوي بجوعه بقلة التزود من عرض الدنيا ، من رضي من الله بالقليل من الرزق رضي الله منه
بالقليل من العمل .

قال حاتم الأصم رحمه الله : دع الشهوات تنجو من خدمة أهل الدنيا .

النية الرابعة :

ينوي بجوعه وجود الراحة في عرصات القيامة غداً في ذلك اليوم الذي مقداره خمسون ألف
سنة لا يوجد فيها طعام ولا شراب ولا راحة ولا سكون .

قال ﷺ : ﴿ الناس يُحْشَرُونَ يوم القيامة جِيعاً عطاشى وأن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة ﴾ .

النية الخامسة :

ينوي بمجموعه تقليل الاختلاف إلى الخلاء إذا كان صائماً جائعاً فيحصل له بذلك درجة أهل الصدق والحياء كما قال الرسول ﷺ : ﴿ استحيوا من الله حق الحياء ﴾ . قالوا يا رسول الله كيف نستحي في الله ؟ قال : ﴿ من استحى من الله حق الحياء فليحفظ البطن وما وعى الرأس وما حوى وليذكر الموت والبلا ﴾ . فاخبر ﷺ إن حقيقة الحياء هذه الثلاثة خصال أحدها حفظ البطن وذلك هو التجويع لله .

وقال مالك بن دينار رحمه الله : لقد استحييت من ربي من كثرة ما اختلفت إلى الخلاء حتى تمنيت ليت أن الله جعل رزقي في حصاة فكنت أمصها حتى يأتيني الموت .

النية السادسة :

التخلص من مقت الله ﷻ والتباعد من بغضه لأنه ﷻ يحاسب أهل النعم والنهم أكثر من حسابه لأهل الفقر والجوع .

﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ (١٢٨) .

قال ﷺ : ﴿ ما شيء أبغض إلى الله من بطن مليء ولو من حلال وما خلق الله حلالاً ابغض إليه من الطلاق ﴾ .

قال أبو طالب المكي رحمه الله : من شبع شبعة بين جوعين فقد أخذ بسيرة أصحاب رسول الله ﷺ .

ولما ذكر ما للجوع من أهمية في حياة السالك فإن طريقتنا الكسنزانية قد وضعت مناهج لأهل البداية وضحت فيها جوع المبتدئين وأساليبهم في الرياضات وقد وضعت لأهل السلوك مناهج السالكين ووسائل توضح كيفية سلوكهم وممارسة المريدین الواصلين لحالة الجوع ومجاهدة النفس ما يفني بالغرض المطلوب دون تشديد أو تهاون يواكب ظروف الوقت مأخوذة تلك من

أساليب المريدين السابقين في طريقتنا وسنأتي في بيانها في مواضع مقبلة إن شاء الله تعالى .

وصايا مشايخنا في التحذير من كثرة الأكل

يجب على السالك في طريقتنا إن كان من أهل البدايات أو أهل السلوك أن يتحرز من أكل طعام الفواتح [العزاء] التي تقام للأموات أو طعام الأعراس لشبهتها في هذا الزمان أو الولائم والدعوات . فليحذر من طعام المواليد التي أعدت لغير الله تعالى فإن مثل هذا يورث قسوة في القلب يشعر الذاكر بعدها أن لا لذة لعبادته فيشعر بالملل مما يبعدة عن أوراده وأن يحذر من أكل من عمل يده غير مخلص فيه لأن ذلك يشبه السرقة فعليه أن يتقن عمله الدنيوي الذي عهد إليه وإن يكون عمله شريفاً لا شبهة فيه لا كمن يعمل في النوادي وأماكن اللهو وغيرها . وإن يحذر الأكل في المطاعم أو أكل المرطبات والشاي في المقاهي والجلوس فيها لقرب الشبه فيها .

وإن يحذر من الأكل عند من أنكر على الأولياء أو متكبر ولسي أو حسود أو غضوب أو شهواني أو ضعيف الإيمان أو مغتاب أو تارك للصلاة عمداً أو غيرها ويحذر من أكل طعام الغير إلا بإذن منهم طيبة فليحذر السالك من ذلك لأن ما أكل لا يزال معلقاً بقلوب أصحابه مما يورث اللامبالاة والقسوة وإن يحذر أن يأكل أو يشرب من أرض اغتصبت من أهلها ، فإن شيخنا عبد القادر الكسنان رحمته الله عندما حلّ في قرية قد اغتصبت من أهلها لم يشرب من مائها بل كانوا يأتون له بثلجٍ من قمم الجبال فيذوبونه له .

فإذا كان أكل حلالاً طيباً يجب عليه الحذر من أكل التمتع أي أن يأكل لزيادة الأكل التي تثقل بطنه فيضيق نفسه ويكثر نومه ويقسو قلبه ويقل عمله فهناك قياس للأكل أن لا يأكل حتى يجوع وإذا أكل لا يشبع كما ورد في الحديث الشريف . وقياس عدم التمتع أن لا يطلب مع الخبز اليابس إذا قدم له ملحاً فإذا طلبت نفسه ملحاً عُدت تمتعاً هذا ما كان عليه السلف الصالح من أهل السلوك كسيدي السلطان حسين الكسنان رحمته الله .

وإن على السالك أن يتدرج بالجوع حتى يصل إلى وجبة واحدة في اليوم ثم وجبة واحدة في

كل يومين وهكذا .

إشارة : ففي مثل سلم التدرج هذا يجب أن يزيد في الجانب الثاني وهو قراءة الأوراد كي يعوض الجانب المادي المتلاشي بالجانب الروحي الخالد والتدرج في الزيادة تعطي ذوقاً وترقباً للمريد .

يُحذر من أكل الأطعمة اللذيذة خوفاً من توقد الشهوات مما يؤدي إلى الإسراف أكثر من الحد المعقول واللذيق كل ما تفضله النفس على غيره .

فليحذر السالك من أكل اللحوم أثناء سلوكه وفي جميع أشكالها لأنها تورث حب الشهوات والميل لها والتفكر بها وابتكار الوسائل لأعدادها مما يشغل عن العبادة ويقلل من أداء واجبات المريد وكان قدوة السالكين السلطان حسين الكسنزان رحمته الله لا يأكلها ويحذر من أكلها وكان يقول مآكل أهل الدنيا .

فكل ما يزيد في الغفلة ممنوع عن السالكين وكل ما يؤدي إلى اليقظة ويزيد على العبادة والتوجه وحضور القلب فلا حرج فيه فقال تعالى : ﴿ أَصَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ﴾ (١٢٩) .

الصمت

قال تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١٣٠).

وقال تعالى على لسان زكريا : ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ (١٣١).

وقال تعالى يخاطب مريم : ﴿ فَإِذَا تَرَيَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنِ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ (١٣٢).

قال ﷺ : ﴿ الصمت سيد الأخلاق ﴾ .

وقال ﷺ : ﴿ خيركم من قال خيراً فَعَنِمَ أو سكتَ فَسَلِمَ ﴾ .

وقال ﷺ : ﴿ من صَمَتَ نَجَا ﴾ .

وقال ﷺ : ﴿ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ﴾ .

وقال ﷺ : ﴿ احفظ عليك لسانك وليسعك بيتك وأبكِ على خطيئتك ﴾ .

وقال الإمام القشيري رحمه الله : الصمت من آداب الحضرة .

والصمت صمتان ، صمت الظاهر وهو صمت اللسان ، وصمت القلب والضمائر فالمتوكل يصمت قلبه عن تقاضي الأرزاق والعارف يصمت قلبه مقابلة للحكم بنعت الوفاق وفيه قالوا :

تجري عليك صروفه وهوم سرك مطرقة

قال بشر الحافي رحمه الله : إذا أعجبك الكلام فاصمت وإذا أعجبك الصمت فتكلم .

وقال أبو بكر الفارسي رحمه الله : ومن لم يكن الصمت وطنه فهو في الفضول . وسئل عن

صمت السر فقال : ترك الاشتغال بالماضي والمستقبل .

قيل : إن أبا حمزة البغدادي حسن الكلام فهتف به هاتف : تكلمت فأحسنت بقي أن

١٣٠ - النساء : ١١٤ .

١٣١ - مريم : ١٠ .

١٣٢ - مريم : ٢٦ .

تسكت فتحسن . فما تكلم حتى مات .

فإذا وقع في قلبك الصمت فأصمت قد يكون في المجلس من هو أولى بالكلام أو الحضور من ليس هو أهل لسماع الكلام ويخشى إذا سمع هذا الكلام يكون فتنة له أما لتوهمه أنه وقته ولا يكون أو أن تحمله ما لا يطيق فيرحمه الله بأن يحفظ سمعه عن هذا الكلام .

وقال مشايخ هذه الطريقة : ربما يكون السبب فيه حضور من ليس بأهل لسماعه من الجن إذ لا تخلو مجالس القوم من حضور جماعة من الجن .

قال بعضهم : تعلم الصمت كما تتعلم الكلام فإن كان الكلام يهديك فالصمت يقيك .

وقيل : مثل اللسان مثل السبع إن لم توثقه عدا عليك .

فكثرة الهذر للسانك تमित القلب وتتعب الجوارح واللسان إذا كثر لغوه استملكه الشيطان فالجوارح كلها تؤثر في القلب وعلى الأخص اللسان لأنه يؤدي عن القلب ما فيه من صورة فتقتفي كل كلمة صورة فيه محاكية لها ولذلك إذا كان كاذباً حصلت في القلب صورة كاذبة واعوج بها وجه القلب واطلم ، تنتهي كثرة الكلام إلى إرهاب القلب وإماتته ولذلك عظم الرسول ﷺ أمر اللسان فقال : ﴿ إن أكثر خطايا ابن آدم من لسانه ﴾ .

ومن جملة آفات اللسان :

١ . الكذب : فقال ﷺ : ﴿ ويلٌ للذي يحدث فيكذب ليضحك فيه الناس ، ويلٌ له ويلٌ له ﴾ .

٢ . الغيبة : قال تعالى : ﴿ وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ (١٣٣) .

وقال ﷺ : ﴿ الغيبة أشد من الزنا ﴾ .

وقال ﷺ : ﴿ الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه وإن كنت صادقاً ، سواء ذكرت نقصاً في نفسه أو عقله أو ثوبه أو فعله أو داره أو نسبه أو دابته أو شيئاً مما يتعلق به ﴾ .

- قال ﷺ : ﴿ إن الغيبة أسرع في حسنات العبد من النار في اليبس ﴾ .
- وورد : أن حسنات المغتاب تنتقل إلى ديوان المطلوب بالغيبة .
- ٣ . المجادلة والمرء : ينتج من كلام المجادلة والمرء ليظهر كلا المتجادلين علّو هامته واستكباره لغلبة النفس وشهوة الاستعلاء .
- ٤ . المزاح : والافراط منه بكثير الضحك يميت القلب ويورث الضغينة ويسقط المهابة والوقار .
- ٥ . المدح : قال ﷺ : ﴿ إن الله يغضب إذا مدح فاسق ﴾ .
- وقال ﷺ : ﴿ لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف كان خير له من أن يثن عليه في وجهه ﴾ .

السهر

قال تعالى : ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (١٣٤).

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ (١٣٥).

وقال تعالى : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١٣٦).

وقال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ ﴾ (١٣٧).

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ (١٣٨).

وقال تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ (١٣٩). قيل قيام الليل ويستعان بالصبر على مجاهدة النفس .

قال ﷺ : ﴿ ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا اشق على أمتي لفرضتها عليهم ﴾ .

وقال ﷺ : ﴿ يا أبا هريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حياً أو ميتاً مقبوراً أو مبعوثاً ، قم من الليل فصلِّ وأنت تريد رضاء ربك ، يا أبا هريرة صلِّ في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجم عند أهل الدنيا ﴾ .

وقال ﷺ لأبي ذر الغفاري : ﴿ لو أردت سفراً أعددت له عدة ؟ ﴾ ، قال : نعم ، قال : ﴿ فكيف سفر طريق القيامة ، إلا أنبئك يا أبا ذر بما ينفعك ذلك اليوم ؟ ﴾ قال : بلى بأبي وأمي أنت يا رسول الله ، قال : ﴿ صُمْ يوماً شديد الحر ليوم النشور ، وصلِّ ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور ﴾ .

١٣٤ - الذاريات : ١٧ ، ١٨ .

١٣٥ - المزمل : ٦ .

١٣٦ - السجدة : ١٦ .

١٣٧ - الزمر : ٩ .

١٣٨ - الفرقان : ٦٤ .

١٣٩ - البقرة : ٤٥ .

قال إبراهيم بن أدهم يعظ شيخاً : لا تعصه في النهار وهو يقيمك في الليل بين يديه فإن وقوفك بين يديه من أعظم الشرف والعاصي لا يستحق هذا الشرف .

وقال سفيان : عليكم بقلة الأكل تملكوا قيام الليل .

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ينشد قائلاً وهو يجول في الدار :

كيف تنام العين وهي قريرة ولم تدر في أي المحلين تنزل

وكانت رابعة العدوية تقول : نخاف أن نؤخذ بغتة .

وقال سيدي الغوث الأعظم الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله : من اختار النوم والغفلة على الذي هو سبب اليقظة فقد اختار الأنقص والأدنى واللحوق بالموت والغفلة عن جميع المصالح لأن النوم أخو الموت ، ولهذا لا يجوز النوم على الله لما انتفى عنه عن النقائص أجمع وكذلك الملائكة لما قربوا منه وعنه نفى النوم عنهم وكذلك أهل الجنة لما كانوا في أرفع الدرجات وأنفسها وأكرمها ، نفى النوم عنهم لكونه في حالتهم فالخير كل الخير في اليقظة والشر كل الشر في النوم والغفلة .

وكان لعبد الله بن الحسين رضي الله عنه جارية أعجمية وكانت ودية من أولياء الله تعالى قال : فرأيتها في بعض الليالي قامت من منامها فأحسنّت وضوءها وصلّت ركعتين خفيفتين وعند سجودها سمعتها تقول : سيدي ببك لي ألا غفرت لي . فقلت لها : ويحك تقولين هكذا ولكن قولي : بحبي لك . فقالت : أليك عني يا بطل حبه لي أقامني وأوقفني بين يديه ، وبجبه لي أخرجني من ديوان المشركين وكتبني في ديوان المؤمنين . فقلت لها : اذهبي فانت حرة لوجه الله .

ومن أقوال السلف رضي الله عنهم : لا تخرق لعبد العادات إلا أن زاد على الناس في العبادات . وكان رسول الله صلوات الله عليه وآله يقول : ﴿ رحم الله أقواماً يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى ﴾ . فقال الحسن البصري رضي الله عنه : يعني أجهدتهم العبادة .

من طبع النفس الأمن والغفلة والراحة والفترة والكسل فدعواها باطلة . وكل شيء فيها غرور فالنفس خزانة إبليس ومأوى كل شر لذا تكون مجاهدتها واجبة وقد وجّه مشايخنا الكرام في هذا الزمان المريد إلى الحذر من كثرة النوم وهذا ملخص لبعض وصاياهم :

يجب عدم النوم بعد صلاة العصر وصلاة الصبح حتى طلوع الشمس وبين المغرب والعشاء

والثلث الأخير من الليل ، كما ورد من فضله ويجب الانتباه والقيام بالصلاة وقراءة الأوراد وعلى المريد أن يتدرج بالسهر حتى يصل إلى قيام الليل كما يجب عليه الحذر من النوم على الفرش الوثيرة التي تجلب الراحة وتعطل عن القيام ويستحسن النوم على السجاد أو الحصير أو أي شيء يقربه من صلابة الأرض كي لا يعطي لنفسه الراحة الكافية لمجاهدتها .

وكان سيدي الشيخ السلطان حسين الكسنزان رحمته الله ينام على الشوك مجاهدة لنفسه . وعليه أن لا يكثر فوقه من الأغذية التي تثقل قيامه والاكتفاء بالقليل منها . أن يجتهد في نومه مُتَجَهًّا نحو القبلة إن أمكن وينام على جنبه الأيمن ممتداً كوضع الميت في اللحد . أن ينام على وضوء تام فالنوم بالوضوء له تأثير كبير على استدامة الواردات القلبية وهو في حال النوم دون أي إشكال وسيدوق ذلك .

يجب أن ينام وهو يستمد من همة شيخه متفكر به حتى يغلبه النوم وهذا الأدب له خصوصية عظيمة إذ سيكون شيخه أنيسه القلبي أثناء النوم ويستيقظ بالهمة فيجب أن تفهم . فإذا ما استيقظ عليه أن لا يسوف في القيام من النوم بل يجب أن ينهض بشدة للقيام بواجباته ومن أراد القيام في الثلث الأخير فيستحسن أن لا يملأ جوفه من طعام وشراب قبل النوم بل يجتهد أن ينام جائعاً ويستيقظ ضعيف البدن فمن نام ملأً البطن يصعب عليه القيام وإن قام كثرت عنده الخواطر والوساوس فيذهب صفو عبادته ويستحسن على من يمارس الجوع والقيام أن يشدّ على وسطه حزاماً أما ظاهراً فوق ملابسه أو تحتها فإن في ذلك نفعاً وزيادة عزم وتهيؤاً .

العزلة

العزلة عند الصوفية هي الابتعاد عن الناس وعدم مخالطتهم والانقطاع لعبادة الله ، فإذا صاحبها انفراد في بيت مظلم سميت خلوة .

قال عليه السلام : ﴿ احفظ عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك ﴾ .

قال الغزالي رحمه الله : للعزلة ست فوائد :

- ١ . التفرغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى من مناجاة الخلق .
- ٢ . التخلص من المعاصي التي يتعرض لها غالباً بالمخالطة وهي أربع : الغيبة ، والنميمة ، والرياء ، والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- ٣ . الخلاص من الفتن والخصومات .
- ٤ . الخلاص من شر الناس .
- ٥ . أن ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس .
- ٦ . الخلاص من مشاهدة السفلاء والحمقى .

قال الإمام القشيري رحمه الله : الخلوة صنعة أهل الصفوة والعزلة من أمارات الوصلة ولا بد للمريد في ابتداء حاله من العزلة عن أبناء جنسه .

والعزلة لتبديل الصفات المذمومة لا للتأني على الأوطان .

قال أبو عثمان المغربي : من اختار الخلوة على الصحبة ينبغي أن يكون خالياً من جميع الأذكار إلا ذكر ربه وخالياً من جميع الإرادات إلا رضاء ربه وخالياً من مطالبة النفس من جميع الأسباب فإن لم يكن في هذه الصفة فإن خلوته توقعه في فتنة وبلية .

قال الشيخ أبو بكر الشبلي رحمته الله : الإفلاس الإفلاس يا ناس . فقل له : يا أبا بكر ما علامة الإفلاس ؟ قال : الاستئناس بالناس .

قال الشيخ الجنيد البغدادي رحمته الله : من أراد أن يسلم على دينه ويستريح بدنه وقلبه فليعتزل الناس .

قال الشيخ ابن عربي رحمته الله : وللمعتزلين نيات ثلاث ، نية اتقاء شر الناس ، ونية اتقاء شره المعتدي إلى الغير وهو أرفع من الأول ، فإن في الأول سوء الظن بالناس وفي الثاني سوء الظن

بنفسه وسوء الظن بنفسك أولى لأنك بنفسك اعرف . ونية الثالثة صحبة المولى من جانب الملاء
الأعلى . فأعلى الناس من اعتزل عن نفسه إيثار صحبة ربه فمن أثر العزلة على المخالطة فقد
آثر ربه على غيره .

الخلوة

تعريفها

قال الشيخ أحمد زروق : الخلوة أخص من العزلة وهي بوجهها وصولاتها نوع من الاعتكاف ولكن لا في المسجد وربما كانت فيه . وأكثرها عند القوم لا حد له ، لكن السنة تشير للأربعين بموعدة موسى عليه السلام . والقصد في الحقيقة ثلاثون ، إذ هي أصل المواعدة .

وجاور عليه السلام بحراء شهراً ما اخرج مسلم في صحيحه في كتاب عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ جاورت بحراء شهراً فلما قضيت حوارتي نزلت فاستبطلت بطن الوادي ﴾ . وكذا اعتزل نساؤه وشهر الصوم واحد . وزيادة القصد ونقصانه كالمرید في سلوكه ، وأقلها عشرة لاعتكافه عليه السلام للعشر وهي للكمال زيادة في حالة ولغيره ترقية ، ولا بد من أصل يرجع إليه . والقصد بها تطهير القلب من ادناس الملابس وإفراد القلب لذكر واحد ، وحقيقة واحدة [ولكنها بدون شيخ خيرة] ولها فتوح عظيم ، وقد لا تصح بأقوام فليعتبر كل أحد بها حاله .

فالخلوة إذن : انقطاع عن البشر لفترة محدودة ، وترك للأعمال الدنيوية لمدة يسيرة ، كي تفرغ القلب من هموم الحياة التي لا تنتهي ويستريح الفكر من المشاغل اليومية التي لا تنقطع ، ثم ذكر الله تعالى بقلب حاضر خاشع ، وتفكر في آلائه تعالى أثناء الليل وأطراف النهار ، وذلك بإرشاد شيخ عارف بالله يعلمه إذا جهل ويذكره إذا غفل وينشطه إذا فتر ويساعده على رفع الوسواس وهواجس النفس .

طريقتها

يذكر الغزالي رحمه الله طريقة الخلوة ومراحلها ومقاماتها فيبين : أن الشيخ يُلزم المرید زاوية ينفرد بها ، ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال ، فإن أصل الدين القوت الحلال ، وعند ذلك يلقيه ذكراً من الأذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه ، حتى يخلو القلب من ذكر ما سوى الله ويشغل به .

وربما يرد عليه من الوسواس الشيطانية ما هو كفر وبدعة ومهما كان كارهاً لذلك ، ومتشمرّاً لإماطته عن القلب لم يضره ذلك ، لأن الشيطان يلقي ذلك في قلبه ويجريه على

خاطره ، فشرطه أن لا يبالي به ويفزع إلى ذكر الله تعالى ويتهل إليه ليدفعه عنه لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (١٤٠).

وإن كان هناك ما يشك فيه فينبغي أن يعرض ذلك على شيخه وان يستره عن غيره .

مشروعيتها

ليست الخلوة ابتداءً من الصوفية وإنما هي امتثال لأمر الله تعالى في كتابه العزيز وتأسٍ وإقتداء برسول الله ﷺ ، فقد كان يخلو بغار يتعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء وبهذا تكون قد ثبتت مشروعيتها .

الدليل عليها من القرآن الكريم

قال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ (١٤١).

قال العلامة أبو السعود مفسراً : ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ أي انقطع إليه انقطاعاً .

ولا يتم ذلك إلا بجمع الهمة والانفراد في مكان معزول عن الخلق كي تصفو المناجاة ، وتتجرد النفس عن العوالم الصادرة المانعة عن مراقبة الله تعالى وقطع العلائق عما سواه .

الدليل عليها من السنة

قال ﷺ : ﴿ سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ﴾ .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : إن أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حُبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه — وهو التعبد — الليالي ذوات العدد ، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة ويتزود مثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء .

١٤٠ - الأعراف : ٢٠١ .

١٤١ - المزمل : ٨ .

قال ابن أبي حمزة في شرحه لهذا الحديث : في الحديث دليل على الخلوة عون للإنسان على تعبدته وصلاح دينه لان النبي ﷺ لما اعتزل عن الناس وخلا بنفسه أتاه هذا الخير العظيم وكل أحد امتثل ذلك أتاه الخير بحسب ما قسم له من مقامات الولاية .
وفيه دليل على أن الأولى بأهل البداية الخلوة والاعتزال لأن النبي ﷺ كان في أول أمره يخلو بنفسه .

وقال القسطلاني رحمه الله في شرح حديث عائشة المذكور : وفيه تنبيه على فضل العزلة لأنها تريح القلب من أشغال الدنيا وتفرغه لله تعالى فتنفجر فيه ينابيع الحكمة . والخلوة أن يخلو عن غيره وعن نفسه بربه وعند ذاك يصير خليقاً بأن يكون قلبه ممرّاً لواردات علوم الغيب وقلبه مقرأً لها .

قال المحدث الكشميري رحمه الله معلقاً على هذه الفقرة من الحديث : (ثم حُب إليه الخلاء) وهذا على نحو مجاهدات الصوفية وخلواتهم ، ثم أن اعتكاف الفقهاء وخلوات الصوفية عندي قريب من السواء .

قال الزهيري رحمه الله : عجباً من الناس كيف تركوا الاعتكاف ورسول الله ﷺ كان يفعل الشيء ويتركه وما ترك الاعتكاف حتى قبض .

وقال الإمام النوري رحمه الله في شرح حديث عائشة عند قوله : (حُب إليه الخلاء) : أما الخلوة فهي الخلوة وهي شأن الصالحين ، وعباد الله العارفين ، ثم قال : قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله حُببت إليه العزلة ﷺ ، لأن معها فراغ القلب ، وهي معينة على التفكير وبها ينقطع عن مألوفات البشر ويتخشع قلبه .

وقال شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني رحمه الله في شرحه حديث عائشة المذكور عند قوله : (ثم حُب إليه الخلاء) : والخلاء بالمد : الخلوة قد عرفت مدتها وهي شهر وذلك الشهر كان رمضان .

وقال العلامة الكبير محمود العيني رحمه الله تعالى في شرحه على حديث عائشة : لم حُببت إليه الخلوة ؟ أجيب بأن معها فراغ القلب وهي معينة على التفكير والبشر لا ينتهل عن طبيعته إلا بالرياضة البليغة ، فحُبب إليه الخلوة لينقطع من مخالطة البشر فينسى المألوفات من عادته .

وقال الكرمانى رحمه الله فى شرح عائشة رضي الله عنها : (ثم حُبب إليه الخلاء) هى الخلاء وهو شأن الصالحين وعباد الله العارفين ، حُببت إليه العزلة لأن فيها فراغ القلب وهى معينة على التَّعبَد وبها ينقطع عن مألوفات البشر ، ويخشع قلبه .

هذه أقوال العلماء فى الحديث وشرّاحه فى الخلوة من حيث تسميتها ، ومن حيث مشروعيتها ، ومن حيث فوائدها ، ومن حيث اعتناء السلف الصالح بها فليقلّ المغرضون بعد ذلك ما شاءوا .

وما أحسن قول البوصيرى رحمته الله يصف رسول الله صلّى الله عليه وآله فى بدايته :

ألف النُسك والعبادة والخلوة طفلاً وهكذا النجباء

فمن غار حراء انبثق النور واطل الفجر وانطلقت اللّمة الأولى فى نور التّصوف الإسلامى وما ترك رسول الله صلّى الله عليه وآله هذه الخلوة بعد أن خرج من الغار ، فكان بعدئذٍ يخلو فى العشر الأواخر من رمضان ولقد سماه العلماء اعتكافاً .

إن للخلوة فوائد جليّة وآثاراً مهمّة يدركها من ذاق حلاوتها وجنى ثمارها فمن فوائدها:

١ . تهذيب النفس وتركيتها ، ورياضتها على طاعة الله تعالى والاستئناس بمجالسته ، لأن من طبائع النفس الأمانة حب مجالسة الناس والميل إلى اللهو والعبث والبطالة وكرهية الخلوة مع الله والنفور من الانفراد للمحاسبة على الهفوات واللوم على الأخطاء ، فإذا جاهدناها على ذلك فإنها تشعر بالضيق والضجر فى بادئ أمرها ، ولكن سرعان ما تدعن وتخضع ثم تذوق حلاوة الإنس بالله تعالى ولذة مناجاته ، وخصوصاً عندما تنطلق وتحرر من قيود المادة وتسبح فى عالم الملكوت ، إذاً الخلوة تُروض النفس على الإذعان لخالقها والأنس برّبها .

٢ . السلامة من آفات اللسان ذلك لأن من كان وحده لا يجد من يتكلم معه ولا يَسْلَم غالباً من آفات اللسان إلا من أثر الخلوة على الاجتماع .

٣ . السلامة من آفات النظر ، فإن من كان معتزلاً عن الناس سَلِمَ مما هم منكبون عليه من زهرة الدنيا وزخرفها ، إذ قال بعضهم : (من كثرت لحظاته دامت حسراته) .

٤ . حفظ القلب وصونه من الرياء والمداينة وغيرها من الأمراض .

٥ . حصول الزهد فى الدنيا والقناعة منها وفى ذلك شرف الكمال .

- ٦ . السلامة من صحبة الأشرار ومخالطة الارذال وفي مخالطتهم فساد عظيم .
- ٧ . التفرغ للعبادة والذكر والعزم على التقوى والبر .
- ٨ . وجدان حلاوة الطاعات وتمكن لذيد المناجاة بفراغ سره . وقال أبو طالب المكي :
(ولا يكون المرید صادقاً حتى يجد في الخلوة من الحلاوة والنشاط والقوة ما لا يجده في العلانية).
- ٩ . راحة القلب والبدن فإن في مخالطة الناس ما يوجب تعب القلب .
- ١٠ . صيانة نفسه ودينه من التعرض للشرود والخصومات التي توجبها الخلطة .
- ١١ . التمكن من العبادة والتفكير والاعتبار وهو المقصود الأعظم من الخلوة .

أنواعها

- الأول : أن تكون خلواتهم لطلب مزيد علم الحق من الحق لا بطريق النظر والفكر وهذا غاية مقاصد أهل الحق .
- قال شخص من طلاب الطريق لبعض الأكابر : اذكرني عند ربك في خلوتك . قال : إذا ذكرتك فلست معه في خلوة - ومن ثم يعلم سر : ﴿ أنا جليس من ذكرني ﴾ وشروط هذه الخلوة أن يذكر بنفسه وروحه لا بنفسه ولسانه .
- الثاني : أن تكون خلواتهم لصفاء الفكر كي يصبح نظهرهم في طلب المعلومات ، ومثل هذه الخلوة لقوم يطلبون العلم من ميزان العقل - وطلاب الحق لا يدخلون مثل هذه الخلوة .
- الثالث : خلوة يفعلها لدفع الوحشة من مخالطة غير الجنس والاشتغال بما لا يعني فإنهم إذا رأوا الخلق انقبضوا ، ولذلك اختاروا الخلوة .
- الرابع : خلوة لطلب زيادة لذة توجد في الخلوة .

توضيح

فإن قيل أمر الغار قبل الرسالة فإن المحدث القسطلاني قال : إنه أول ما بدأ به ﷺ الرؤيا الصالحة ثم حُبب إليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء كما مر . فدلّ على أن الخلوة حكم مرتب على الوحي لأن كلمة (ثم) للترتيب وأيضاً لو لم تكن من الدين لنهى عنها وقال المحدث

الكشميري رحمه الله معلقاً على هذه الفقرة من الحديث : ثم حُبب إليه الخلاء وهذا على نحو مجاهدات الصوفية وخلواتهم .

وقال الإمام النوري رحمه الله في شرح حديث عائشة عند قوله : (حُبِّبَ إليه الخلاء) . أما الخلاء فهو الخلوة وهي شأن الصالحين وعباد الله العارفين .

وقال الإمام الشافعي رحمه الله : ومن أحب أن يفتح الله قلبه ويرزقه العلم فعليه بالخلوة وقلة الأكل وترك مخالطة السفهاء وبعض أهل العلم الذين ليس لهم أنصاف ولا أدب .

وقال الإمام الغزالي رحمه الله : وأما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر ، فأنهما دهليز القلب والقلب في حكم حوض تنصب إليه مياه كريهة كدرة قدرة من أنهار الحواس ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها ليتفجر أصل الحوض ، فيخرج منه الماء النظيف الطاهر ، وكيف يصح أن ينزح الماء من الحوض والأنهار مفتوحة إليه ؟ فيتجدد في كل حال أكثر مما ينقص ، فلا بد من ضبط الحواس إلا عن قدر الضرورة وليس يتم ذلك إلا بالخلوة .

وقال الغزالي : وانكشفت لي أثناء هذه الخلوات أمورٌ لا يمكن إحصائها واستقصائها والقدر الذي اذكره لينتفع به إني علمت يقيناً إن الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة وسيرتهم أحسن السير وطريقتهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء ليغيروا شيئاً من سيرتهم وأخلاقهم ويبدلوه ، لما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلاً ، فإن جمع حركاتهم وسكناتهم في ظاهريهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يُستضاء به .

وقال أبو يزيد البسطامي : أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت .

كما ورد في الآية الكريمة : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾^(١٤٢).

وقال ابن عجيبة شارحاً قول ابن عطاء رحمهما الله تعالى : ما نفع القلب شيء مثل عزلة

يدخل بها ميدان فكره .

العزلة انفراد القلب بالله وقد يراد بها الخلوة التي هي انفراد القلب عن الناس .

هذه نبذة مختصرة من أقوال السادة العلماء تبين بوضوح أن الخلوة هي السبيل العلمي والعملية الذي سنه رسول الله ﷺ ، كي يقوى إيمانهم وتصفو نفوسهم وتتطهر قلوبهم وتتأهل لتجليات الله تعالى .

ألم يقل رسول الله ﷺ : ﴿ سبعة يُظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله ... ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ﴾ . إن هذا الحديث دليل قاطع على مشروعية الخلوة لذكر الله تعالى وفي هذه الخلوة يذكر الصوفي ربه خالياً فيعمره بأنواره ويحظى بمجالسته : ﴿ أهل ذكري أهل مجالستي ﴾ .

الخواطر

- قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ (١٤٣).
- وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَا تُوسُّوسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾ (١٤٤).
- وقال تعالى : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ﴾ (١٤٥).
- وقال تعالى : ﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسُّوْسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾ (١٤٦).
- وقال تعالى : ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾ (١٤٧).
- وقال تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ (١٤٨).
- وقال تعالى مخبراً عن العدو : ﴿ لَا أَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَا تَنِيَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ (١٤٩).
- وقد اخبر الله تعالى أنه قال : ﴿ وَلَا أَضِلُّنَّهُمْ وَلَا أَزِلُّنَّهُمْ وَلَا أَمُرُّنَّهُمْ فَلْيُبَيِّتْكُنَّ أَذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا أَمُرُّنَّهُمْ فَلْيُعَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ (١٥٠).
- وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (١٥١).
- قال ﷺ : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعْدَ لَابْنِ آدَمَ بِأَطْرَفِهِ فَقَعْدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ : أَتَسْلَمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ ، ثُمَّ قَعْدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهَجْرَةِ فَقَالَ : أَتَهَاجِرُ فَتَذَرُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ ، ثُمَّ قَعْدَ لَهُ فِي طَرِيقِ الْجِهَادِ فَقَالَ : أَتَجَاهِدُ وَهُوَ جِهَادُ النَّفْسِ وَالْمَالِ

١٤٣ - الشمس : ٧ ، ٨ .

١٤٤ - ق : ١٦ .

١٤٥ - المائدة : ٣٠ .

١٤٦ - الناس : ٤ ، ٥ .

١٤٧ - المجادلة : ١٩ .

١٤٨ - البقرة : ٢٦٨ .

١٤٩ - الأعراف : ١٦ ، ١٧ .

١٥٠ - النساء : ١١٩ .

١٥١ - الأعراف : ٢٠١ .

فُتِقَاتِلْ فَتَنْكَحْ نِسَاءُكَ وَيُقَسِّمَ مَالَكَ فَعَصَاهُ فَجَاهِدْ ﴿١٥٢﴾ . قَالَ ﷺ : ﴿ مِنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَمَاتَ ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ ﴾ .

وروينا إن عثمان بن العاص قال يا رسول الله : حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي ، فقال : ﴿ ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَقَالَ لَهْ خَنْزَبٌ إِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهُ وَأَتْفَلُ عَنْ يَسَارِكَ ثَلَاثًا ﴾ ، قَالَ فَفَعَلْتَ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ .

وقال ﷺ : ﴿ إِنْ فِي الْوُضُوءِ شَيْطَانًا اسْمُهُ الْوَلْهَانُ فَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ مِنْهُ ﴾ .

وقال ﷺ : ﴿ إِنْ الشَّيْطَانُ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ ﴾ .

وقال ﷺ : ﴿ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ شَيْطَانٌ ﴾ . قَالُوا وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : ﴿ وَأَنَا إِلَّا إِنْ اللَّهُ تَعَالَى أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ ﴾

قال ابن مسعود رضي الله عنه وروينا عن طريق مسند : فِي الْقَلْبِ لِمَتَانِ لِمَةٌ مِنَ الْمَلِكِ إِيْعَادٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ ، وَلِمَةٌ مِنَ الْعَدُوِّ إِيْعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ وَنَهْيٌ مِنَ الْخَيْرِ .

قال ﷺ : ﴿ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ فَدَعِهِ وَالْإِثْمَ حَزَا زِ الْقُلُوبِ ﴾ . يَعْنِي مَا يُوْثِّرُ فِيهَا لِرَقَّتِهَا وَصَفَائِهَا وَلِينِهَا وَلَطْفِهَا .

وقال ﷺ لِلرَّجُلِ الَّذِي سَأَلَهُ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ وَهُمَا أَصْلَا أَعْمَالُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ : ﴿ اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمَفْتُونُ ﴾ .

وروينا عن الحسن البصري رضي الله عنه إِنْهُ قَالَ : إِنَّمَا هُمَا هَمَانٌ يَجُولَانِ فِي الْقَلْبِ ، هَمٌّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَهَمٌّ مِنْ عَدُوِّهِ فَرَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا وَقَفَ عِنْدَهُمَا ، فَمَا كَانَ لِلَّهِ أَمْضَاهُ وَمَا كَانَ مِنْ عَدُوِّهِ يَجَاهِدُهُ .

وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ ^(١٥٢) . قَالَ هُوَ مَنْبَسِطٌ عَلَى قَلْبِ الْإِنْسَانِ فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى حَنَسَ وَانْقَبَضَ وَإِذَا غَفَلَ انْبَسَطَ قَلْبُهُ .

وقال جرير بن عبدة العدوي شكوتُ إلى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال : إنما مثل ذلك مثل النقب الذي تمر به اللصوص فإن كان فيه شيء عاجلوه والا مضوا وتركوه .

قال أبو طالب المكي رحمه الله : وقلب المؤمن فيه منور بالإيمان تنظر به أو ينطق به حكم الله تعالى الباطن من علم القلب الباطن الذي هو حقيقة الإيمان ومنفعته لأهل العلم الباطن . ولا يصلح أن يرد رسول الله ﷺ سائلاً إلا إلى فقيهه فلولا أن علم القلب هو علم العلم . إذ جعله الرسول ﷺ قاضياً على المفتين بالحكم وصار عالم الباطن هو عالم العلماء إذ لم يسعه تقليد العلماء . وفي حديث آخر : ﴿ البر ما اطمأن إليه القلب وسكنت إليه النفس وإن أفوتك أفوتك ﴾ .

فهذا وصف القلب مكاشف بالذكر ونعت نفس ساكنة بمزيد السكينة والبر كما وصف من قلوب المؤمنين في صريح الكلام وفي دليل الخطاب فأما صريحه فقلوه تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (١٥٣) . وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ (١٥٤) .

وأما الدليل من الكلام الذي يشهد بالتدبر فقلوه تعالى في وصف قلوب أعدائه المحجوبين : ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ (١٥٥) . وفي مثله : ﴿ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴾ (١٥٦) . وفي تدبر معناه أن أولياءه المستحبين له سامعون منه مكاشفون بذكره ناظرون إلى غيبه ، وقال تعالى في مثله : ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ ﴾ (١٥٧) . هذا فريق المتبعين للصراط المستقيم ، وقال تعالى : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ (١٥٨) . ﴿ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (١٥٩) . وقال ﷺ في مجمل صفة القلب : ﴿ التقوى هاهنا ﴾ وأشار إلى القلب . وقال تعالى في ذكر القلوب المقفلة بالذنوب : ﴿ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ (١٦٠) . وقال تعالى في فض

١٥٣ - الرعد : ٢٨ .

١٥٤ - الفتح : ٤ .

١٥٥ - الكهف : ١٠١ .

١٥٦ - النجم : ٣٥ .

١٥٧ - هود : ٢٤ .

١٥٨ - هود : ٢٠ .

١٥٩ - ق : ٣٧ .

١٦٠ - الكهف : ١٠٠ .

طابعها بالتقوى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا ﴾ (١٦١) . ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ (١٦٢) .

وقد ورد في الخبر : إذا أراد الله بعبدٍ خيراً جعل الله له زاجراً من نفسه وواعظاً من قلبه .

وروي في الخبر : من كان له من قلب واعظ كان عليه من الله حافظ .

وقال في تحقيق العمى للقلب : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (١٦٣) . فأهل القلوب يتعضون بلا واعظ من خلق ويزدجرون بلا زاجر في ظاهر . والقلب خزانة الله تعالى من خزائن الغيب وهذه المعاني جنود الله تعالى مقيمة حول القلب يخفي منها ما يشاء ويظهر ويبدئ منها ما يريد ويعيد ويبسط القلب بما يشاء منها ويقبضه فيما يشاء عنها وكل قلب اجتمعت فيه ثلاث معان لم تفارقه خواطر اليقين ولكن يضعف الخاطر ويفي لضعف المعاني ودقتها ويقوي اليقين ويظهر بقوتها لأن هذه الثلاثة مكان اليقين .

أحدها الإيمان وموضعه من اليقين مكان حجر النار والثاني العلم ومكانه موضع الزناد والثالث العقل وهو مكان الحراق ، فإذا اجتمعت هذه الأسباب قدح خاطر اليقين في القلب ومثل القلب في قوته بقوة مدده وفي صفائه بجودة عدده مثل المصباح في القنديل إلى مكان العقل منه والزيت موضع العلم به وهو روح المصباح ويمدده يكون ظهور اليقين والفتيلة مكان الإيمان منه وهو أصله وقوامه الذي يظهر بها .

وكان أبو الدرداء يقول : المؤمن ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق والله إنه للحق يقذفه الله تعالى في قلوبهم ويجريه على ألسنتهم .

وقال بعض العلماء : (ظن المؤمن كهانة) ، أي كأنه سحر من نفاذه وصحته .

وقال : يد الله تعالى على أفواه الحكماء لا ينطقون إلا بما هيأ الله ﷻ لهم من الحق .

وقال آخر : لو شئت لقلت أن الله ﷻ يُطلع الخاشعين على بعض سره .

وكتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى أمراء الأخبار : احفظوا ما تسمعون من المتعظين فإنهم

ينجلي لهم أمور صادقة .

١٦١ - المائدة : ١٠٨ .

١٦٢ - البقرة : ٢٨٢ .

١٦٣ - الحج : ٤٦ .

وقيل في تفسير : ﴿ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾^(١٦٤) . يعلمه علماً بغير تعليم ويفطنه بغير تجربة أي بالشاهد الصحيح والحق الصريح .

قال ﷺ : ﴿ من عمل بما علم أورثه الله تعالى علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ﴾ .

قال بعض العارفين رحمهم الله : (لي قلب إذا عصيته عصيت الله تعالى) يعني انه لا يقذف فيه إلا طاعة ولا يقر فيه إلا حق فقد صار رسوله إليه فإذا عصاه فقد عصي الرسل .

قال ﷺ : ﴿ المؤمن ينظر بنور الله فمن نظر بنور الله كان على بصيرة من الله تعالى ﴾ .

وسئل بعض العلماء عن علم الباطن أي شيء فقال : سر من سر الله تعالى يقذفه في قلوب أحبائه لم يطلع عليه ملكاً ولا بشراً .

وقد جاء إلى النبي ﷺ فقال : علمني من غرائب العلم ؟ فقال : ﴿ هل عرفت الرب ﴾ فأخبره أن غرائب العلوم بالمعرفة .

تقسيم الخواطر

- ١ . الإلهام : هو ما وقع في القلب من عمل الخير .
- ٢ . الوسواس : هو ما وقع في القلب من عمل الشر .
- ٣ . الخناس : هو ما وقع في القلب من المخاوف .
- ٤ . النية : هو ما كان من تقدير الخير وتأمله .
- ٥ . الأمنية : هو ما كان من تدبير الأمور المباحات وترجيها والطمع فيها .
- ٦ . التذكر والتفكر : هو ما كان من تذكرة الآخرة والوعد والوعيد .
- ٧ . المشاهدة : وهو معاينة الغيب بعين اليقين .
- ٨ . الهمم : هو تحدث النفس بمعاشرها وتصريف أحوالها .
- ٩ . اللمم : هو من خواطر العادات ونوازع الشهوات .

وتسمى كل هذه خواطر لأنها من خطورة همة النفس أو خطورة عدو يحسد أو خطورة ملك يهمس .

الإلهام

قال تعالى في كتابه مخاطباً مريم عليها السلام بالإلهام : ﴿ وَهَئِذَا إِلَيْكَ بِجُذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴾ (١٦٥).

قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية : إن ذلك كان على سبيل النفث في الروح والإلهام والإلقاء في القلب كما كان في حق أم موسى عليها السلام في قوله : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ ﴾ . وكذلك أخبرنا عن أم موسى عليها السلام حينما ضاق بها الحال من أمر أبنها عليها السلام وداهمها جنود فرعون لقتله ، فألهمها وأوحى إليها بلا واسطة فقال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٦٦).

هذه امرأة مؤمنة وولية وليست بنبية وتلك مريم عليها السلام في أمة إسرائيلية فما بالك بالامة المحمدية التي شهد الله لها الخيرية على سائر الأمم . فقال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (١٦٧).

وقال تعالى : ﴿ تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ (١٦٨).

وقال العلامة الألوسي رحمه الله تعالى مفسراً تنزيل الملائكة في هذه الآية : تميدونهم فيما يعن ويطراً لهم من الأمور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريقة الإلهام .

وقال تعالى : ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ .

١٦٥ - مريم : ٢٥ ، ٢٦ .

١٦٦ - القصص : ٧ .

١٦٧ - آل عمران : ١١٠ .

١٦٨ - فصلت : ٣٠ ، ٣١ .

من بشاراتها في الدنيا : أي أعونكم في أموركم ، فلهمكم الحق ، ونرشدكم إلى ما فيه خيركم وصلاحكم .

وقال الإمام الرازي رحمه الله في تفسير هذه الآيات :

ثم انه تعالى أخبر عن الملائكة إنهم قالوا للمؤمنين نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ومعنى كونهم أولياء للمؤمنين ، أن للملائكة تأثيرات روحية في الأرواح البشرية بالإلهامات والمكاشفات اليقينية والمقامات الحقيقية ، كما أن للشياطين تأثيرات في الأرواح بإلقاء الوسوس فيها وتخيل الأباطيل إليها .

ولقد سمي الصوفية العلم الناتج من الإلهام علماً لدنياً حاصلاً بمحض فضل الله وكرمه بغير واسطة .

سئل الإمام الغزالي عن الإلهام فقال : الإلهام ضوء من سراج الغيب يسقط على قلب صاف لطيف فارغ . كل هذا يدل على إمكان الكشف وهمة الإلهام .

إذا كان القلب صافياً فارغاً من علائق الدنيا وهمومها ومن صدئ الذنوب وظلماتها ، فالشياطين الظلمانية لا تقع إلا على القلوب العفنة كما يقع الذباب على الأواني الوسخة فتحجب القلوب عن مطالعة ما حجب عنه . قال رسول الله ﷺ : ﴿ لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء ﴾ .

وتصرف وسوستها عن تلك القلوب بذكر الله تعالى ومراقبته ، إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإن ذكر الله تعالى خنس وإن نسي التقم قلبه .

لأن القلب إذا اعتاد الوسوسة والغفلة عن ذكر الله تعالى مرض ، وأما إذا اعتاد الذكر وسقي بأنواره وسطعت عليه شمس تجليات الله تعالى حيي وكان في عداد الأطباء . يقول ﷺ : ﴿ مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت ﴾ .

تأثير الخواطر

قال النورسي : كما إن صورة الحية في المرآة لا تلدغ وانعكاس النار فيها لا يحرق وضل النجس فيها لا ينجس ، كذلك ما ينعكس على مرآة الخيال والفكر من صور الكفر والشرك

وظلال الضلالة وخيالات الكلمات النابية والشتم لا تفسد العقيدة واليقين ولا تغير الإيمان ولا تثلم أدب التوقير والاحترام ذلك إن تخيل الشتم ليس شتماً وتخيل الكفر ليس كفراً وتصور الضلالة ليس ضلالة وهذه من القواعد المشهورة .

أما مسألة الشك في الإيمان فإن الاحتمالات الناشئة عن الامكان الذاتي لا ينافي اليقين ولا يخل به . وهذه أيضاً القواعد المقررة في علم أصول الدين وهي بالامكان الذاتي لا ينافي اليقين العلمي . (لا عبرة للاحتمال غير الناشئ عن دليل) .

لا يكون الاحتمال الذاتي الذي لم ينشأ من اشارة أمكاناً ذهنياً فلا أهمية له كي يوجب الشك فيمثل هذه الامكانات والاحتمالات الذاتية يظن المسكين المبتلى إنه قد فقد يقينه بالحقائق الإيمانية فيخطر بباله مثلاً خواطر كثيرة من الامكان الذاتي ولا شك أنها لا تخل بيقينه وجزمه الإيماني ولكن ظنه إن هذا يضر هو الذي يسبب له الضرر .

وأحياناً أخرى تلقي لمة الشيطان على القلب كلاماً لا يليق بجلال الله ﷻ فيظن صاحبه إن قلبه هو الذي فسد فصدر عنه هذا الكلام فيضطرب ويتألم والحال أن اضطرابه وخوفه وعدم رضاه دليل على أن تلك الكلمات لم تكن صادرة من قلبه . وإنما هي لمة الشيطان يخيلها له ويذكره بها .

وكذلك فإن هناك من اللطائف الإنسانية وهي بضع لطائف لا ترسخ للإرادة والاختيار ولا تدخل تحت وطأة المسؤولية فتتحكم أحياناً وتسيطر أن تنصت لنداء . وتلج في أمور خاطفة ، وعندئذٍ يلقي الشيطان في روح هذا الإنسان المبتلى أن فطرتك فاسدة لا تنسجم مع الإيمان والحكمة ألا ترى إنها تلج بلا إرادة .

في مثل هذه الأمور الباطلة ؟ إذن فقد حكم عليك قدرك بالتعاسة وقضي عليك بالشقاء فيهلك ذلك المسكين في هذا اليأس المدمر .

فدفع هذه الوسوس بالاستعاذة والبسملة ومواصلة الورد لان طبيعة الوسوس أنها تكبر وتضخم كلما زاد الاهتمام بها ، فالسنة المحمدية للمؤمن إنما هي البلسم الشافي لمثل هذه الحركات الروحية .

الخوف

حقيقة الخوف

قال الإمام الغزالي : اعلم أن حقيقة الخوف هو تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في المستقبل وقد يكون ذلك من جريان ذنوب . وقد يكون الخوف من الله تعالى لمعرفة صفاته التي توجب الخوف لا محال . وهذا أكمل وأتم ، لأن من عرف الله خافه بالضرورة .

ثم يترقى الصوفي في الخوف فيتحلى بأشرف ما يتحلى به المقربون ، وعندئذ تنتقل مظاهر الخوف من عالم الجسم إلى عالم الروح ، فتكون للعارف أشجان ، لا يدركها إلا أهل الصفاء .

وفي هذا المقام يصف الإمام الشعراي رحمته الله السيدة رابعة العدوية بأنها كانت كثيرة البكاء والحزن ، وكانت إذا سمعت ذكر النار غشي عليها زماناً ، وكان موضع سجودها كهيئة الحوض الصغير من دموعها ، وكأن النار ما خلقت إلا لها ولأجلها . وسر ذلك الخوف هو الاعتقاد بأن كل بلاء دون النار يسير ، وإن كل خطب دون البعد عن الله تعالى هين .

ويرى الصوفية أن المحب لا يسقى كأس المحبة إلا بعد أن ينضج الخوف قلبه .

دليله من الكتاب والسنة

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (١٦٩) .

لأن من عرف الله خافه بالضرورة والعلماء العارفون هم أكثر الناس خشية لله تعالى لأنهم أكثر معرفة به .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا يَاقُوتُ فَارَهُبُونَ ﴾ (١٧٠) .

وقد دعا تعالى عباده إلى الخوف منه وحده ، فالذي يخاف منه لا يخاف سواه .

قال تعالى : ﴿ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٧١) .

حيث جعل الله تعالى الخوف من شرط الإيمان وكماله .

١٦٩ - فاطر : ٢٨ .

١٧٠ - البقرة : ٤٠ .

١٧١ - آل عمران : ١٧٥ .

وقال تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ﴾ (١٧٢).

ووعده الله من خاف مقامه جنتين ، جنة المعارف في الدنيا ، وجنة الزخارف في الآخرة .

وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (١٧٣).

حيث جعل الله تعالى الجنة مأوى من خاف مقام ربه وجاهد نفسه وهواها . لأن جهاد النفس يولد الخوف والرجوع إلى الله تعالى واللجوء إلى جنابه الكريم .

قال تعالى : ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ (١٧٤).

قال تعالى : ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ (١٧٥).

من أحاديث الرسول ﷺ في الخوف

١ . قال ﷺ : ﴿ من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا أن سلعة الله غالية ألا أن سلعة الله غالية ﴾ .

٢ . قال ﷺ : ﴿ لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ﴾ .

٣ . قال ﷺ : ﴿ رأس الحكمة مخافة الله تعالى ﴾ .

٤ . قال ﷺ : ﴿ سبعة يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله تعالى ، ورجل قلبه معلق بالمساجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وافترقا عليه ، ورجل دعتة امرأة ذات حسب وجمال فقال إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ﴾ .

٥ . وقال ﷺ : ﴿ لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى حتى يلج اللبن في

١٧٢ - الرحمن : ٤٦ .

١٧٣ - النازعات : ٤٠ ، ٤١ .

١٧٤ - السجدة : ١٦ .

١٧٥ - الأنبياء : ٩٠ .

الضرع ﴿٦﴾ .

٦ . قال ﷺ : ﴿ لا تدخل النار عين غضت عن محارم الله ولا تدخل النار عين بكت من خشية الله ﴾ .

أقوال وحكايات العارفين في الخوف

• قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ ، فلما بلغ : ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ خر مغشياً عليه .

• سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه قارئاً يقرأ في سورة الطور فوقف فلما بلغ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴾^(١٧٦) . استند إلى حائط ساعة وذهب إلى منزله فمرض شهراً والناس ما يدرون ما سبب مرضه .

• ولما نزل قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^(١٧٧) . صاح سلمان الفارسي صيحةً ووضع يده على رأسه وهام على وجهه ثلاثة أيام .

• وجاءت مولاة لعمر بن عبد العزيز فقصت عليه أنها رأت في المنام كأن الصراط قد مد على جهنم وهي تزفر على أهلها وذكرت أنها رأت رجالاً مروا على الصراط فأخذتهم النار قالت ورأيتك يا أمير المؤمنين وقد جيء بك ، فوقع مغشياً عليه وبقي زماناً يضطرب وهي تصيح في أذنه رأيتك والله قد نجوت .

• وكان الشيخ الحسن البصري رحمه الله إذا جلس كأنه أسير قُدم ليضرب عنقه ومكث أربعين سنة لم يضحك .

• وكان الشيخ حبيب العجمي رحمه الله يقول : من حُتم له بلا اله إلا الله دخل الجنة ثم يبكي ويقول ومن لي بأن يختم لي بلا اله إلا الله .

• وكان الفضل يوماً يمشي فقيل له إلى أين ؟ قال : لا ادري وكان والهاً من الخوف .

• وكان علي الخواص يبكي ويقول : الهى كبرت وضعف جسمي عن خدمتك فاعتقني

١٧٦ - الطور : ٨ ، ٧ .

١٧٧ - الحجر : ٤٣ .

- قال أبو الحسن الثوري رحمته الله : الخائف الذي يهرب من ربه إلى ربه .
- وقال الجنيد البغدادي رحمته الله : الخوف توقع العقوبة مع مجاري الأنفاس .
- وقال إبراهيم بن شيبان رحمته الله : إذا سكن الخوف في القلب أحرق مواضع الشهوات منه وطرده رغبة الدنيا عنه .

قال بعضهم : الخائف الذي لا يخاف غير الله .

وأنشد بعضهم :

أما والله لو علم الأنام لما خلقوا ، لما غفلوا وناموا

لقد خلقوا لما لو أبصرته عيون قلوبهم ماجوا وهاموا

مات ثم قبر ثم حشر وتويخ وأهوال عظام

ليوم الحشر قد عملت رجال فصلوا من مخافته وصاموا

ونحن إذا امرنا أو نهينا كأهل الكهف أيقاظ نيام

- حكى إن الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله قال : سألت ربي عز وجل أن يفتح عليّ باباً من الخوف ففتح خوفاً فخفت على عقلي فقلت يا رب على قدر ما أطيق ، فسكن ذلك .

• وقال أبو علي الدقاق رحمه الله :

أحسن ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسلمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

• قال الشاه الكرمانى : علامة الخوف الحزن الدائم .

- وقال أبو القاسم الحكيم : من خاف من شيء هرب منه ومن خاف من الله تعالى هرب

إليه .

وقال بشر الحافي : الخوف ملك لا يسكن إلا في قلب معتق .

الرجاء

حقيقة الرجاء

تعلق القلب بمحسوب سيحصل في المستقبل كما أن الخوف تألم القلب بسبب توقع مكروه أو فوات محبوب في المستقبل ، والفرق بين الرجاء والتمني : أن التمني يورث صاحبه الكسل ولا يسلك طريق الجهد والجد ، وبعبكسه صاحب الرجاء فالرجاء محمود والتمني معلول .
وإن العبد مقبلاً على ربه سالكاً طريق قربة فعلية أن يجمع بين مقامي الخوف والرجاء ، لا يغلب الخوف على الرجاء حتى يقنط من رحمة الله تعالى وعفوه ، ولا يغلب الرجاء على الخوف حتى يسترسل في مهاوي المعاصي والسيئات .

قال تعالى : ﴿ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ (١٧٨).

وقال تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (١٧٩).

وقال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ﴾ (١٨٠).

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٨١).

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٨٢).

وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (١٨٣).

قال ﷺ : ﴿ لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش أن رحمتي سبقت غضيبي ﴾ .

١٧٨ - الزمر : ٥٣ .

١٧٩ - الأعراف : ١٥٦ .

١٨٠ - العنكبوت : ٥ .

١٨١ - الزمر : ٥٣ .

١٨٢ - البقرة : ٢١٨ .

١٨٣ - الكف : ١١٠ .

وقال ﷺ حاكياً عن قول الله ﻋَﻠَﻴْكَ : ﴿ وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال : لا اله إلا الله ﴾ .

وقال ﷺ : ﴿ والذي نفسي بيده لو لم تذبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم ﴾ . رواه مسلم .

وقال ﷺ : ﴿ قال الله تعالى : يا ابن آدم ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ﴾ . رواه الترمذي .

وقال ﷺ : ﴿ الله ارحم بعبده المؤمن من هذه بولدها ﴾ . رواه البخاري ومسلم .

وقال ﷺ : ﴿ من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار ﴾ .

وقال تعالى في الحديث القدسي : ﴿ أنا عند ظن عبدي بي ﴾ .

قال الشيوخ في الرجاء

قال الشاه الكرمانى : الرجاء حسن الطاعة .

قال أبو عبد الله بن خفيف رحمه الله : الرجاء ارتياح القلوب لرؤية كرم المرجو .

وقال أبو علي الروزباري رحمه الله : الخوف والرجاء هما كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطائر وتم طيرانه وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص وإذا ذهب صار الطائر في حد الموت .

ومن حكايات أهل الرجاء

• حكى أن بعض الفقهاء ممن اعرفه وكان من الوكلاء على باب القاضي ، وكنت أراه كثيراً ما يضع القرآن في المصحف ويمسح به وجهه ثم حج في آخر عمره ومات بمكة رآه بعض الصالحين في المنام ، فقال له ما فعل الله بك ؟ فقال : ﴿ يا شبيه ألو جئتني بالذنوب الموبقات ﴾ ، فقلت يا رب ما هكذا بلغني عنك ، قال ما بلغك عني ؟ قلت : الكرم قال : ﴿ أذهب فقد غفرت لك ﴾ .

• وحكى عن إبراهيم بن أدهم ؑ قال : كنت انتظر مدة من الزمان أن يخلو المطاف

لي ، حتى إذا كانت ليلة ظلماء شديدة المطر خلا المطاف ، فدخلت للطواف وكنت أقول : اللهم اعصمني ، فسمعت هاتفاً يقول : يا ابن أدهم أنت تسألني العصمة وكل الناس يسألون العصمة فإذا عصمتكم فلمن ارحم . وفي رواية : فعلى من أتكرم .

• وقيل إن مجوسياً استضاف إبراهيم الخليل عليه السلام فقال له : إن أسلمت أضفتك ، فقال المجوسي : إذا أسلمت فأني منة تكون لك عليّ ، فمر المجوسي ، فأوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام : يا إبراهيم لم تطعمه إلا بتغيير دينه ، نحن منذ سبعين سنة نطعمه على كفره ، فلو أضفته ليلة ماذا عليك . فمر إبراهيم عليه السلام خلف المجوسي وأضافه فقال له المجوسي : أين كان السبب في الذي بدا لك فذكر له ذلك ، فقال له المجوسي : اهكذا يعاملني ، ثم قال اعرض عليّ الإسلام فأسلم .

• قال الشيخ أبو علي الدقاق : رأى الأستاذ أبو سهل الصعلوكي أبا سهل الزجاج في النوم وكان يقول وجدنا الأمر أسهل مما توهمنا .

قال بكر بن اشكيب : رأيت أبا سهل الصعلوكي في المنام على هيئة حسنة لا توصف فقلت له يا أستاذ بم نلت هذا ؟ فقال : بحسن ظني بري .

• ورؤي مالك بن دينار في المنام ف قيل له ما فعل الله بك ؟ فقال : قَدِمْتُ عَلَى رَبِّي وَجَّكَ بِذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ مَحَاها عَنِّي حَسَن ظَنِّي بِهِ تَعَالَى .

• قيل كان ابن المبارك يقاتل عالج مرة فدخل وقت صلاة العالج فأستلهمه فأملهه ، فلما سجد للشمس أراد ابن المبارك أن يضربه بسيفه فسمع من الهواء قائلاً يقول : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ ^(١٨٤) . فامسك فلما سلم المجوسي قال له : لم أمسكت عما هممت به فذكر له ما سمع فقال له المجوسي : نعم الرب رب يعاقب وليه في عدوه فأسلم وأحسن إسلامه .

الصدق

لقد ذهب العلماء في تقسيم الصدق إلى مذاهب شتى فمنهم أسهب في التفصيل والتفريغ ومنهم من سلك مسلك الاقتضاب والإيجاز .

فقد ذكر حجة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله تعالى للصدق معاني ستة فقال : اعلم أن لفظ الصدق يستعمل في ستة معان : صدق في القول ، وصدق في النية والإرادة ، وصدق في العزم ، وصدق في الوفاء بالعزم ، وصدق في العمل ، وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها ، فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق .

الصدق في الكتاب والسنة

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (١٨٥).

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١٨٦).

وبهذا أمر الله تعالى المؤمنين أن يلازموا أهل الصدق ليستفيدوا من حالهم وينتفعوا من صدقهم .

وقال تعالى : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ ﴾ (١٨٧).

فوصفهم بالقلة وإنهم الفئة المختارة من المؤمنين .

وقال الشيخ معروف الكرخي رحمته الله مشيراً إلى قلة الصادقين : ما أكثر الصالحين وأقل الصادقين بالصالحين .

وقال تعالى : ﴿ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ (١٨٨).

وقال تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ (١٨٩).

١٨٥ - النساء : ٦٩ .

١٨٦ - التوبة : ١١٩ .

١٨٧ - الأحزاب : ٢٣ .

١٨٨ - محمد : ٢١ .

١٨٩ - المائدة : ١١٩ .

قال عليه السلام : ﴿ إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يُكتب عند الله صديقاً ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً ﴾ .

وقال عليه السلام : ﴿ دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة ﴾ .
وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : ﴿ يا داود من صدقي في سريره صدقته عند المخلوقين في علانيته ﴾ .

قال أبو القاسم القشيري : أقل الصدق استوى السر والعلانية والصادق من صدق في أقواله والصديق من صدق في جميع أقواله وأفعاله وأحواله .

قال العلامة القرطبي رحمه الله : حق على كل من فهم عن الله تعالى أن يلزم الصدق في الأقوال والإخلاص في الأعمال والصفاء في الأحوال ، فمن كان كذلك لحق بالأبرار ووصل إلى رضا الغفار .

وقال الشيخ الجنيد البغدادي رحمته الله : الصادق يتقلب في اليوم أربعين مرة والمرائي يثبت على حالة واحدة أربعين سنة .

قال الواسطي رحمه الله : الصدق صحة التوحيد مع القصد .

قال سهل بن عبد الله رحمه الله : لا يشم رائحة الصدق عبد داهن نفسه أو غيره .

وقال الشيخ الجنيد البغدادي رحمته الله : حقيقة الصدق أن تصدق في مواطن لا ينجيك منها إلا الكذب .

قال ذو النون المصري رحمته الله : الصدق سيف الله ما وضع على شيء إلا قطعه .

وقال سهل رحمه الله : أول خيانة الصديقين حديثهم مع أنفسهم .

وسئل فتح الموصل عن الصدق فأدخل يده في كير الحداد وأخرج الحديد المحمأة ووضعها على كفه وقال : هذا هو الصدق .

وسئل الحارث المحاسبي رحمه الله عن علامة الصدق فقال : الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج على قدر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه ، ولا يحب إطلاع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله ولا يكره أن يطلع الناس على السيئ من عمله . فأن كراهته لذلك دليل

على أنه يجب الزيادة عندهم وليس هذا من أخلاق الصديقين .

وقد نال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ذروة سنام الصديقية وشهد الله تعالى بذلك فقال :
﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ (١٩٠).

ولا يعلو مقام الصديقية إلا مقام النبوة فمقام الصديقية مقام الولاية الكبرى والخلافة العظمى وهذا المقام مترادف فيه الفتوحات وتعظم التجليات وتتم المشاهدات والكشوفات لكمال النفس وحسن صفائها .

وإن من يعمر باطنه بالصدق والإخلاص تجري حركاته وسكناته على حسب ما في قلبه فيظهر الصدق في أحواله وأقواله وأعماله لأن من أسر سريرة ألبسه الله رداءها .

فعليك أيها المريد بالصدق في عهدك مع مرشدك ودليلك إلى الله تعالى حتى يكون ذلك عوناً لك على تزيك وسرعة وصولك .

وكن صادقاً في موافقتك لربك أمراً ونهيّاً وفي إتباعك لرسوله صلّى الله عليه وآله حتى تتحقق بالعبودية لله تعالى فهي أمنية السالكين في جميع مراتبهم ومقاماتهم .

حكايات الصالحين

حكى عن أبي عمر الزجاجي أنه قال : ماتت أمي فورثت منها داراً فبعتها بخمسين ديناراً وخرجت إلى الحج ، فلما بلغت بابل استقبلني واحد من القافلة ، وقال لي أيش معك ؟ فقلت في نفسي الصدق خير ثم قلت خمسون ديناراً . فقال ناولنيها . فناولته الصرة فعدها فإذا هي خمسون ديناراً فقال خذها فلقد أخذني صدقك . ثم نزل عن الدابة وقال اركبها ، فقلت لا أريد ، فقال لابد فألح عليّ فركبتها ، وقال وأنا على أثرك ، فلما كان العام المستقبل لحق بي ولازمي حتى مات .

حكى عن الشيخ أحمد بن أبي الحواري رضي الله عنه أنه عاهد شيخه أبا سليمان الداراني رضي الله عنه لما صحبه أن لا يخالفه في شيء فلما كان ذات يوم جاء وهو مشغول القلب فقال له : يا أستاذ قد

حمي التنور ، فلم يكلمه فكرر عليه ذلك مراراً فلما أكثر عليه وهو في شغل عنه قال له : اذهب فادخل فيه ، فذهب من عنده ودخل في التنور ، فلما كان بعد ساعة قال الشيخ أبو سليمان : الحقوا أحمد فإنه عاهدني أن لا يخالفني في شيء ، فجاءوا إليه وأخرجوه من التنور ولم تضره النار .

قلت لم تضره النار لأنه دخل فيها وهو مشتمل برداء الصدق الواقى من مكروه النار .

الإخلاص

تعريفه

تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين ، وهو من فرائض الدين وبه يتم الإيمان للمؤمنين ، وهو معروف في شريعة المسلمين . وهو لباب الأعمال ومنال ذي الجلال ، والعمل بغير إخلاص كالجوز بلا لباب ، والجسم بلا روح ، كالشجر بلا ثمر ، وكالغيم بلا مطر ، وكالمولود بلا نسب ، وكالبذر بلا نبت .

والجوز بلا لباب لا يصلح إلا للعب الصبيان ، والجسم بلا روح لا يصلح إلا للدفن في القبور ، والشجر بلا ثمار لا يصلح إلا للحرق بالنار .

فلو إن جسماً ملاً الدنيا تعبداً من شرقها إلى غربها ولم يكن فيه روح لم يؤنس بقربه . ولم ينتفع به ولا ترجى بركته ، ويتغير بطول المدة وتزدحم عليه الكلاب ، وتطمع فيه الهوام والطيور ولا يجعل له من القيامة ذرة ولا حبة .

والخالص : هو الذي لا باعث إلا بطلب القرب من الله تعالى . وهذا لا يتصور إلا من محب لله مستهتر بالله مستغرق الهم بالآخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرار حتى لا يحب الأكل والشرب ، بل تكون رغبته فيه كرغبته في قضاء الحاجة لأنه ضروري ، فلا يشتهي الطعام لأنه طعام بل لأنه يقويه على عبادة الله تعالى ويتمنى أنه لو كفي شر الجوع حتى لا يحتاج إلى الأكل فلا يبقى في قلبه حظ من الفضول الزائد على الضرورة .

أهمية الإخلاص في الكتاب والسنة

قال تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ (١٩١).

وقال تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ (١٩٢).

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (١٩٣).

١٩١ - الزمر : ٣ .

١٩٢ - النساء : ١٤٦ .

١٩٣ - الكهف : ١٠٤ .

ولما كان قبول الأعمال موقوفاً على وجود الإخلاص فيها أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بالإخلاص في عباداته تعليمياً لهذه الأمة فقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴾ (١٩٤).
 وقال تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي ﴾ (١٩٥).
 وقال ﷻ : ﴿ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ (١٩٦).
 كما أمر الله تعالى خلقه أن تكون جميع عباداتهم القولية والفعلية والمالية خالصة له تعالى ، بعيدة عن الرياء .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (١٩٧).
 وأوضح الحق سبحانه إن السبيل إلى لقاء الله تعالى يوم القيامة لقاء رضا وأنعام ، هو العمل الصالح الخالص لوجه الله السليم من ملاحظة الخلق فقال تعالى :
 ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (١٩٨).
 وجاءت الأحاديث الشريفة توجه العبد إلى الإخلاص في جميع أعماله وتحذره أن يقصد بعبادته ثناء الناس ومدحهم ، وتبين أن كل عمل لم يتصف بالإخلاص لله تعالى فهو مردود على صاحبه وتوضح أن الله تعالى لا ينظر إلى ظاهر العبد بل ينظر إلى ما في قلبه من النوايا والمقاصد لأن الأعمال بالنيات والأمر بمقاصدها .

وقد سمى الرسول ﷺ الرياء شركاً أصغر تارة وسماه شرك السرائر تارة أخرى ، واخبر الله تعالى سوف يتبرأ من المرائي يوم القيامة ويحيله إلى الناس الذين أشركهم في عبادته .
 وهذه بعض الأحاديث الشريفة التي تبين أهمية الإخلاص وتوضح المعاني المذكورة .

• عن أبي إمامة قال : جاء رجل إلى رسول ﷺ فقال : أرايت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ما له ؟ فقال رسول الله ﷺ : ﴿ لا شيء له ﴾ ، فأعادها ثلاث مرات ، ويقول رسول الله ﷺ : ﴿ لا شيء له ﴾ . ثم قال : ﴿ إن الله ﷻ لا يقبل من العمل إلا ما كان له

١٩٤ - الزمر : ١١ .

١٩٥ - الزمر : ١٤ .

١٩٦ - الزمر : ٢ ، ٣ .

١٩٧ - البينة : ٥ .

١٩٨ - الكهف : ١١٠ .

خالصاً ، وابتغى به وجهه ﴿ .

• عن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم ﴾ .

• عن شداد بن أوس ؓ أنه سمع النبي ﷺ يقول : ﴿ من صام يرائي فقد أشرك ومن صلى يرائي فقد أشرك ومن تصدق يرائي فقد أشرك ﴾ .

• وعن محمود بن لبيد قال : خرج النبي ﷺ فقال : ﴿ يا أيها الناس إياكم وشرك السرائر ﴾ قالوا : يا رسول الله وما شرك السرائر ؟ قال : ﴿ يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهداً لما يرى من نظر الناس إليه ، فذلك شرك السرائر ﴾ .

• وعن أبي سعيد بن أبي فضالة ؓ وكان من الصحابة ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿ إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد : من أشرك في عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عنده ، فان الله أغنى الشركاء عن الشرك ﴾ .

• قال ﷺ : ﴿ إنما نصر الله ﷻ هذه الأمة بضعفائها ودعوتهم وإخلاصهم ﴾ .

• قال ﷺ : ﴿ يقول الله تعالى الإخلاص سر من سري استودعته قلباً من أحببت من عبادي ﴾ .

• قال الإمام علي كرم الله وجهه : لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فإن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل : ﴿ أخلص العمل يحزك منه القليل ﴾ .

• قال ﷺ : ﴿ ما من عبد يخلص لله تعالى العمل أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ﴾ .

ولا يتخلص العبد من الشيطان ووسوسته إلا بالإخلاص من حيث قال تعالى عن كلام اللعين : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴾ (١٩٩) .

فمن رأى نفسه مخلصاً لا إخلاص له . لأن النظر إلى الإخلاص عجب وهو من جملة الآفات والخالص من صفا من جميع الآفات .

أقوال العلماء في أهمية الإخلاص

- قيل لسهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى : أي شيء أشد على النفس ؟ قال : الإخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب .
- قال ابن عطاء الله السكندري رحمه الله : الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها .
- قال أبو سليمان الداراني رحمه الله : إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوسواس والرياء .
- وكان الشيخ معروف الكرخي رحمته الله يقول لنفسه بعد أن يضربها : يا نفس إخلصي تخلصي .
- وقال يعقوب المكفوف : المخلص يكتم حسناته كما يكتم سيئاته .
- وقال بعضهم : طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا الله تعالى .
- وكان مطرف يقول : من صفا صفي له ومن خلط خلط عليه .
- قال السوسي : مراد الله من عمل الخلائق الإخلاص فقط .

مراتب الإخلاص

- قال ابن عجيبة رحمه الله تعالى : الإخلاص على ثلاث درجات إخلاص العوام ، وإخلاص الخواص ، وإخلاص خواص الخواص .
- فإخلاص العوام : هو إخراج الخلق من معاملة الحق مع طلب الحظوظ الدنيوية والأخروية كحفظ البدن والمال وسعة الرزق والقصور والخور .
- إخلاص الخواص : طلب الحظوظ الأخروية دون الدنيوية .
- وإخلاص خواص الخواص : إخراج الحظوظ بالكلية لعبادتهم تحقيق العبودية والقيام بوظائف الربوبية محبة وشوقاً إلى رؤيته كما قال ابن الفارض :
- ليس السؤال من الجنان نعيماً
غير إني أحبها لأراكا

وقال : والحاصل لا يمكن الخروج من النفس والتخلص من دقائق الرياء من غير شيخ أبداً
والله تعالى اعلم .

وأسمى مقاصد الصوفية أن يرتقوا بإخلاصهم إلى ارفع الدرجات ويعبدوا الله مبتغين وجهه
دون أن يقصدوا ثواباً :

فما مقصودهم جنات عدنٍ ولا الحور الحسان ولا الخياما
سوى نظر الجليل وذا مناهم وهذا مقصد القوم الكراما
وليس معنى هذا أنهم لا يحبون الجنة ولا يرغبون في البعد عن النار كما فهم بعض الحمقى
من أعداد التصوف .

فهم يكرهون النار ويخافونها لأنها مظهر سخط الله وغضبه ونقمته ويحبون الجنة ويطلبونها
لأنها مظهر حب الله ورضاه وقربه ، كما قالت آسيا زوجة فرعون : ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي
الْجَنَّةِ ﴾^(٢٠٠) . فهي قد طلبت العندية والقرب قبل أن تطلب الجنة ، طلبت الجوار قبل الدار .

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا
وهكذا عندما ترتفع همة العبد وتسمو غاياته يترفع عن ملاحظة لذائذه البدنية ومنافعه
الشخصية سواء كانت دنيوية أم أخروية ، ويبتغي من جميع عباداته الحب والقرب ، والتحقق
بالعبودية الخالصة فعلى قدر همة العبد يكون مطلبه .

شوائب الإخلاص في أعمال السالك

قد تدخل على السالك آفات كثيرة تشوب إخلاصه ، وما هذه الآفات إلا حجب تعرقل
سيره إلى الله تعالى لذا كان من الضروري الإشارة إليها وتحذير السالكين من مخاطرها ، ثم بيان
طريق الخلاص منها حتى تكون أعمال السالك خالصة لوجهه تعالى .

الحجاب الأول : رؤيته لعمله وإعجابه به وحجابه عن المعمول له وبالعبرة عن المعبود ،
فالذي يخلصه من رؤية عمله علمه بفضل الله تعالى عليه وتوفيقه له وأنه مخلوق هو وعمله لله

تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾^(٢٠١). إلا إن له نسبة الكسب فقط . وإذا دقق في صفات النفس وعلم أنها كما وصفها الله تعالى : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾^(٢٠٢). أدرك أن كل خير يصدر منه هو محض فعل الله تعالى ومنة . وعندئذ يتذوق معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ ﴾^(٢٠٣). فتخلص العبد من رؤية أعماله وإعجابه بما يكون بمعرفة نفسه ومعرفة دخائلها فليجتهد الإنسان في تحصيل هذه المعرفة .

الحجاب الثاني : طلبه العوض لعمله ، إما أن يكون في الدنيا أو في الآخرة ، أما الذي يكون في الدنيا فطلبه الشهوات المتنوعة ومنها شهوة السمعة والشهرة وحب الظهور وغير ذلك طلبه للأحوال والمقامات والمكاشفات والمعارف .

ويقول الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله : لو كنت صادقاً ما التفت إلى شهوة أو عبادة ولا مقام ولا مكاشفة ، ولأفردت القصد إليه تعالى وحده دون جميع ما عداه ، ولجردت العزم والهمة فيه تعالى وتركت ما سواه .

قال الشيخ أبو العباس المرسى رحمته الله : لن يصل الولي إلى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول إلى الله تعالى .

ويقول بعضهم ناصحاً لمن هذا حاله :

ومهما ترى كل المراتب تجتلي عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا

ويقول ابن عطاء الله السكندري : ما أرادت همة سالك أن تقف عندما كشف لها إلا نادته هواتف الحقيقة الذي تطلب أمامك .

وطلب العبد لهذه المقامات وغيرها شهوة خفية وذلك إما أن ينالها فيطمئن إليها ويحجب بها عن المقصود ، وإما أن لا ينالها عندما سار إليها ، إلا أنه جعلها غاية والله تعالى وسيلة . فيجتهد لتحصيلها فلا يصل ، فيفتر عزمه ويقنط ويئأس وعندئذ يرجع القهقري . إلا إذا لاحظته العناية بإرشاد المرشدين فيمكن التخلص من هذه الورطة والا دام منقطعاً وانقلب على وجهه

٢٠١ - الصفات : ٩٦ .

٢٠٢ - يوسف : ٥٣ .

٢٠٣ - النور : ٢١ .

خاسراً .

وإما طلب العوض في الآخرة : فدخل الجنة والنجاة من النار .

وتصحیح سيره بأن يعتقد أن دخول الجنة برحمة الله تعالى لا بعمله .

فقد روي عنه عليه السلام : ﴿ لن يدخل أحدكم الجنة بعمله ﴾ ، قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟

قال : ﴿ ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته ﴾ .

فالذي يخلص العبد من طلب العوض على عمله علمه بأنه عبد محض وأنه لا ينال دخول

الجنة والنجاة من النار إلا بفضل الله تعالى . والعبد لا يملك مع سيده شيئاً ، إذ عبادته لله تعالى

لمحض العبودية فما يناله من الأجر والثواب تفضل وإحسان من الله تعالى في الدنيا والآخرة .

وكذلك توفيقه للعبادة ، فإذا شهد هذا التوفيق من جملة نعم الله تعالى عليه يسارع في شكر الله

تعالى على هذه النعم عندئذٍ يخلص من طلب العوض لعمله .

الحجاب الثالث : رضاه من أعماله واعتزازه بها ، وتخليصه وإنقاذه من رضاه عن عمله

يكون بشيئين :

١ . إطلاعه على عيوبه في أعماله فليس من الأعمال إلا وللشيطان فيه نصيب وللنفس

فيه حظ إلا القليل .

أما نصيب الشيطان فقد أرشدنا إليه عليه السلام عندما سئل عن التفات الرجل في صلاته فقال

: ﴿ هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد ﴾ .

٢ . علم العبد بما يستحقه الرب جل جلاله من حقوق العبودية وآدابها الظاهرة والباطنة وشروطها

فلو اجتهد العبد بالليل والنهار لرأى نفسه مقصراً تجاه الله تعالى ، وأين العبد العاجز الضعيف

من خالق الأكوان ، لهذا بين حضرة الباري عز وجل موقف خلقه من التقصير ، فقال : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ

اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ (٢٠٤) .

الصبر

تعريفه

قال ذو النون المصري رحمه الله : الصبر هو التبعاد عن المخالفات والسكون عند تجرع غصص البلية وإظهار الغنى عند حلول الفقر بساحة المعيشة .

وقال السيد الجارجاني في تعريف الصبر : الصبر هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله ويفهم من معنى السيد إن الشكوى لله تعالى لا تنافي الصبر ، إنما ينافيه شكوى الله إلى غيره .

كما رأى بعضهم رجلاً يشكو إلى آخر فافقه وضرورة فقال : يا هذا أتشكو من يرحمك إلى ما لا يرحمك ، ثم انشد :

وإذا اعترتك بلية فاصبر لها صبر الكريم فإنه بك أعلم
وإذا شكوت إلى ابن آدم تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم
دليل الصبر من الكتاب

قال تعالى حكاية عن لقمان يوصي ابنه : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (٢٠٥).

وقال تعالى : ﴿ وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (٢٠٦).

وقال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (٢٠٧).

وقال تعالى : ﴿ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ﴾ (٢٠٨).

وقال تعالى : ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ

٢٠٥ - لقمان : ١٧ .

٢٠٦ - العصر : ١ ، ٢ ، ٣ .

٢٠٧ - البقرة : ١٥٥ ، ١٥٦ .

٢٠٨ - الأعراف : ١٢٨ .

هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٢٠٩﴾.

وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (٢١٠).

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٢١١).

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢١٢).

وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (٢١٣).

وقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾ (٢١٤).

وقال تعالى : ﴿ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ (٢١٥).

وقال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ (٢١٦).

دليله من السنة

ولقد جاءت الأحاديث النبوية الكثيرة مؤكدة فضل الصبر وما له من أثر عميق في سعادة المؤمن وتلقيه صدمات الحياة ونوائب الدهر .

وكما تواتر الأخبار المستفيضة عن صبر رسول الله ﷺ وتحمله صنوف الأذى وأنواع الشدائد ، وحياة الرسول ﷺ كلها صبر وجهاد وتضحية .

وهذه نبذة يسيرة من الأحاديث الشريفة :

• عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ﴿ ما أعطي أحد من عطاء خيراً وأوسع من الصبر ﴾ .

• عن صهيب بن سنان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته

٢٠٩ - البقرة : ١٧٧ .

٢١٠ - آل عمران : ١٤٦ .

٢١١ - البقرة : ١٥٣ .

٢١٢ - الزمر : ١٠ .

٢١٣ - السجدة : ٢٤ .

٢١٤ - القصص : ٥٤ .

٢١٥ - المزمل : ٩ ، ١٠ .

٢١٦ - الطور : ٤٨ .

ضراء صبر فکان خيراً له ﴿١٠﴾ .

• قال ﷺ : المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم .

• قال ﷺ : ﴿ ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده ، حتى يلقي الله وما عليه خطيئة ﴾ .

• دخل رسول الله ﷺ على الأنصار فقال : ﴿ أؤمنون أنتم ؟ ﴾ فسكتوا ، فقال عمر رضي الله عنه : نعم يا رسول الله . قال : ﴿ وما علامة إيمانكم ؟ ﴾ قال : نشكر في الرخاء ونصبر في البلاء ونرضى بالقضاء . فقال ﷺ : ﴿ مؤمنون ورب الكعبة ﴾ .

تحقق الصالحين بالصبر ودعوتهم إليه

تتبع الصحابة رضي الله عنهم أثر رسول الله صلوات الله عليه وآله ، وورثوا عنه الصبر جادين في نشر الإسلام بإيمان لا يعرف اليأس وعزيمة لا تعرف الخدر ، وثبات لا يتطرق إليه الوهن .

ثم أخذ التابعون عنهم هذه الروح الإيمانية الصابرة ، وهكذا انتقلت هذه الروح في كل عصر وزمان إلى يومنا هذا حيث قال ﷺ : ﴿ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون ﴾ .

• قال سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما مات ولده الصالح : إن الله أحب قبضه وإني أعوذ بالله أن تكون لي محبة في شيء من الأمور يخالف محبة الله .

• ومن أروع الصبر ما وقع للإمام مالك رحمته الله حين لدغته عقرب وهو يحدث ست عشرة مرة ، فصار يصفر ويتلوى حتى تم المجلس ولم يقطع كلامه تعظيماً لحديث رسول الله صلوات الله عليه .

• ودخل ذو النون المصري على مريض يعود فيه فينما كان يكلمه أن أَنَّهُ فقال له ذو النون :
ليس بصادقٍ في حبه من لم يصبر على ضربه ، فقال المريض : بل ليس بصادقٍ في حبه من لم
يتلذذ بضربه .

• وكان ابن شبرمة إذا نزل به البلاء قال : سحابة ثم تنقشع .

وللصوفية في الصبر كلام عجيب ، ومنطق طريف فقد سئل الشبلي عن الصبر فتمثل بقوله :

صابر الصبر فاستغاث به الصبر ر فصاح المحب بالصبر صبرا

فله در الصوفية فهم لله والى الله . ولذا كانوا جديرين بأن يوفيههم ربهم أجرهم بغير حساب ولنعم أجر الصابرين : ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٢١٧).

إن مثلهم الأعلى وقدوتهم في الصبر هو رسول الله ﷺ الذي تعرض لصنوف الابتلاء وشتى المحن فلم يزد إلا صبراً وثباتاً ، وهذه سنة الأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام . قال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (٢١٨).

• قال ابن عجيبة رحمه الله تعالى : الصبر حبس القلب على حكم الرب .

• قال سهل بن عبد الله : الصبر انتصار الفرج .

• قال الشيخ الجنيد البغدادي رحمه الله : الصبر تجرع المرارة من غير تعبيس .

• قال الإمام علي رضي الله عنه : لا إيمان لمن لا صبر له .

• قال أبو الدرداء رضي الله عنه : ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر .

• قال ابن عطاء الله السكندري رحمه الله تعالى : الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الآداب

ذكر العلماء للصبر تقسيمات متنوعة وكلها ترجع إلى هذه الأنواع الثلاثة : صبر على

الطاعات ، صبر عن المعاصي ، وصبر على المصائب .

فالصبر على الطاعات :

هو الاستقامة على شرع الله والمثابرة الدائمة على العبادات المالية والبدنية والقلبية ومواصلة

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ما يعترض ذلك من أنواع الابتلاء وصنوف المحن

لأن من ورث عن رسول الله ﷺ دعوته وجهاده لا بد أن يصيبه ما أصاب رسول الله ﷺ من

تكذيب ومحاربة وأذى .

والصبر عن المعاصي :

هو مجاهدة النفس في نزواتها ومحاربة انحرافها وتقويم اعوجاجها وقمع دوافع الشر والفساد

الذي يثيره الشيطان فيها ، فإذا ما جاهدتها وزكاهها وردّها عن غيها وصل إلى الهداية التامة ، قال

٢١٧ - البقرة : ١٥٧ .

٢١٨ - الاحقاف : ٣٥ .

تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢١٩).

والصبر على المصائب :

بما إن الحياة الدنيا دار امتحان وابتلاء فإن الله تعالى يختبر إيمان عبده وهو اعلم بأنواع المصائب ويمحص المؤمنين بصنوف المحن كي يميز الخبيث من الطيب والمؤمن من المنافق .

• قال تعالى : ﴿ أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتَزَكَّوْا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ (٢٢٠).

سواء أكانت هذه المصائب في المال أو في البدن أو في الأهل .

• قال تعالى : ﴿ لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾ (٢٢١).

• قال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (٢٢٢).

والصبر نصف الإيمان وسر سعادة الإنسان ومصدر العافية عند البلاء ، وعدة المؤمن حين تذهم الخطوب وتحقق الفتن وتتوالى المحن ، وهو سلاح السالك في مجاهدته لنفسه وحملها على الاستقامة على شرع الله تعالى وتحصينها من الانزلاق في مهاوي الفساد والضلال ولعظيم أهميته ورفيع مقامه ذكره الله تعالى في نحو تسعين موضعاً .

• وحكى عن بعض المريدين أنه قال لشيخه : أشتهي أن أعرف صفة الطريقة بمثال ، فجعل الشيخ عسلاً في إناء وجعل فوقه صبراً وقال أشرب هذا ، فشرب الصبر وصبر على مرارته وأكره النفس على ذلك ولم يزل يشربه مع مقاساة شدة المرارة وتململ النفس وتحميلها ما لا تطيق إلى أن نفذ الصبر وانتهى إلى العسل فلما ذاقه أراد الشيخ أن يأخذ الإناء منه ، فقال له المريد : يا سيدي من شرب المر شرب الحلو ، فقال الشيخ : صدقت وتركه حتى شربه جميعه .

• وحكى إن الشبلي حبس وقتاً في المارستان فدخل عليه جماعة فقال : من أنتم ؟ فقالوا :

٢١٩ - العنكبوت : ٦٩ .

٢٢٠ - العنكبوت : ١ ، ٢ .

٢٢١ - آل عمران : ١٨٦ .

٢٢٢ - البقرة : ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ .

أحبابك جاءوك زائرين ، فأخذ يرميهم بالحجارة وأخذوا يهربون فقال : يا كذبة لو كنتم أحبائي لصبرتم على بلائي .

• وحكى عن بعض الأولياء أنه كان في بعض الجبال الباردة وكان يقاسي من شدة البرد في ليالي الشتاء وليس عليه من اللباس ما يدفع عنه شدة البرد فصبر على ذلك مدة حتى قبض الله ﷻ له بعض الأسود كان يأتيه إذا اشتد عليه البرد فيبرك عليه حتى يدفأ فصبر في ذلك الجبل سنين حتى فتح الله تعالى عليه فظهر له آيات عظيمة وأحوال سنيات .

الرضا

تعريف الرضا

الرضا : سرور القلب بمُّرّ القضاء .

وقال ابن عجيبة رحمه الله تعالى : الرضا تلقي المهالك بوجه ضاحك .

فضله

هو أسمى مقاماً ورافع رتبة من الصبر ، إذ هو السلام الروحي الذي يصل بالعارف إلى حب كل شيء في الوجود يرضي الله تعالى حتى أقدار الحياة ومصائبها ، يراها خيراً ورحمة ويتأملها بعين الرضا فضلاً وبركة .

من الكتاب

قال تعالى : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ (٢٢٣).

وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ (٢٢٤).

وقال تعالى : ﴿ وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (٢٢٥).

من السنة

* قال ﷺ : ﴿ إن عظم الجزاء على عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط ﴾ .

* قال ﷺ : ﴿ ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً ﴾ .

* قال ﷺ : ﴿ اتق المحارم تكن أعبد الناس وأرض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً ، ولا تكثر

٢٢٣ - المائدة : ١١٩ .

٢٢٤ - الزمر : ٧ .

٢٢٥ - التوبة : ٧٢ .

الضحك فإن كثرة الضحك تमित القلب ﴿ ١ ٠

* قال ﷺ : ﴿ من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له ومن شقاوة ابن آدم تركه استخاره الله تعالى ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله تعالى له ﴿ ١ .

* قال ﷺ : ﴿ من قال إذا أصبح وأمسى : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً كان حقاً على الله أن يرضيه ﴿ ١ .

* وقيل كتب عمر بن الخطاب ؓ إلى أبي موسى الأشعري ؓ : أما بعد ، فإن الخير كله في الرضا ، فإن استطعت أن ترضى والا فاصبر .

* وقيل للحسين بن علي عليهما السلام : إن أبا ذر يقول : الفقر أحب إليّ من الغنى والسقم أحب إليّ من الصحة ، فقال : رَحِمَ الله أبا ذر ، أما أنا فأقول : من اتكل على حسن اختيار الله تعالى لم يتمن غير ما اختار الله تعالى له .

ما قاله الشيوخ في الرضا

* قال أبو الحسن النوري رحمه الله : الرضا سرور القلب بمر القضاء . (وقد أشرت في هذا القول فيما تقدم) .

* وقال أبو عبد الله بن خفيف رحمه الله : الرضا سكوت القلب إلى أحكامه سبحانه وموافقة القلب بما رضي واختار .

* وسُئِلت رابعة العدوية ؓ : متى يكون العبد راضياً ؟ فقالت : إذا سرته المصيبة كما سرته النعمة .

* وقال مُجَدِّدُ بن رُويم رحمه الله : الرضا استقبال الأحكام بالفرج .

* وسُئِلَ أبو سعيد الخراز ؓ هل يجوز أن يكون العبد راضياً ساخطاً ؟ قال : نعم يجوز أن يكون راضياً عن ربه ساخطاً على نفسه .

* قال أبو علي الدقاق رحمه الله : ليس الرضا أن تحس بالبلاء ، إنما الرضا إن لا تعترض على الحكم والقضاء .

* وقال الإمام القشيري رحمه الله : اختلف العراقيون والخراسانيون في الرضا ، فأهل خراسان قالوا : الرضا من جملة المقامات ، وهو نهاية التوكل ، ومعناه يئول إلى أن يتوصل العبد باكتسابه ، وأما العراقيون فأثم قالوا : الرضا من جملة الأحوال وليس ذلك كسباً للعبد ، بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الأحوال . قال : ويمكن الجمع بين اللسانين فيقال بداية الرضا مكتسبة للعبد وهو من المقامات ونهاية من جملة الأحوال وليست بمكتسبة .

* وقال شهاب الدين السهروردي رحمه الله : الرضا يحصل لانشرح القلب وانفساحه ، وانشرح القلب من نور اليقين : قال الله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ ﴾^(٢٢٦) . فإذا ما تمكن النور من الباطن اتسع الصدر وانفتحت عن البصيرة ، وعان حسن تدبير الله تعالى ، فينتزع السخط والتضجر لأن انشرح الصدر يتضمن حلاوة الحب ، وفعل المحبوب بموقع الرضا عند المحب الصادق ، لأن المحب يرى أن الفعل من المحبوب ، مراده واختياره في لذة رؤية اختيار المحبوب عن اختيار نفسه .

* قال الشيخ الحسن البصري رحمته الله : ما قضى الله للمؤمن من قضاءٍ قط أحبه أو كرهه إلا كان له خيراً .

* قال بشر الحافي رحمه الله : الرضا عن الله إذا ابتلاه في بدنه لم يحب العافية فإن عافاه لم يحب أن ينقله حتى هو الذي يحوله ، وإن أغناه لم يحب أن يفقره ، وإن أفقره لم يحب أن يغنيه ، وإن يرضى ما يرضاه ويهوى ما يهواه .

* وقال الفضل بن عياض رحمه الله : استخيروا ولا تحيروا فكم من عبد تخير لنفسه أمراً كان هلاكه فيه .

* وقال أبو سليمان الداراني : إذا سلم القلب من الشهوات فهو راضٍ .

* وقال سهل بن عبد الله رحمه الله : خلق الله الخلق وجعل حجابهم تدبيرهم فأتروك تدبيرك إلى مولاك ووليك يركاك ويحفظك .

* وقال أبو عثمان النيسابوري : أنا منذ أربعين سنة ما أقامني الله تعالى في حال فكرته ،

ولا نقلني إلى غيره فسخطته .

وقال أيضاً : الرضا سرور القلب على مر القضاء .

* وسئل الشبلي رحمته الله في حال الرضا ، هل يسأل الجنة أو يستعيز من النار ؟ فقال :
الراضي لا يسأل الجنة ولا يستعيز من النار لأنهما جرم آمن منهما .

تصحيح الأفكار في موضوع الرضا

هناك شبهات أثارها بعض الجهلة حول موضوع الرضا وما سببها إلا جهلهم وعدم تذوقهم لهذا المقام الرفيع والإنسان عدو ما جهل أو يكون مردها أنهم رأوا أناساً من أذعياء التصوف ، فاعتبروا أحوالهم الفاسدة ومفاهيمهم المنحرفة حجة على التصوف دون أن يفرقوا بين السادة الصوفية الذين تحققوا بالإيمان والإسلام والإحسان وبين الدخلاء من أعداء التصوف واليك

بعض هذه الشبهات مع الرد عليها :

أولاً : أنكر جماعة الرضا من أصله فقالوا : لا يتصور الرضا بما خالف الهوى وإنما يتصور الصبر فقط ، فهل يعقل أن الإنسان لا يحس بألم المصائب ولا يشعر بوقع الخطوب ؟.

والجواب : الراضي قد يحس بالبلاء ويتألم للمصيبة بحكم الطبع ، لكن يرضى بهما بعقله وإيمانه لما يعتقد من عظم الأجر وجزالة الثواب على البلاء فلا يعترض ولا يتضجر .

قال أبو علي الدقاق : ليس الرضا أن لا تحس بالبلاء ، وإنما الرضا أن لا تعترض على الحكم والقضاء .

ومن ناحية أخرى :

إن الراضي قد يحس بألم المصيبة بحكم الطبع ولكنه يرضى بها حين يرجع إلى إيمانه بلطف الله تعالى وحكمته ، وإن وراء كل فعل من أفعاله تعالى حكماً خفية ولطائف دقيقة كما قال تعالى : ﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (٢٢٧).

ومن جهة الثالثة :

إن المؤمن الذي عمرت محبة الله قلبه وأخذت عليه مجامع لبه لا يحس بوقع المصيبة ولا يشعر بألمها .

ولا شك أن المحبة لا يحس بها إلا من ذاقها :

لا يعرف الوجد إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيتها

قال عامر بن قيس : أحببت الله حباً هون عليّ كل مصيبة ورضائي بكل بلية فلا أبالي مع حيي إياه علام أصبحت وعلام أمسيت .

ثانياً : تسرع قوم فقالوا : إن الرضا يورث في المؤمن قبولاً لأعمال الفاسقين واستحساناً لأوضاع العاصين ، وهذا يؤدي إلى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

والجواب : إن هذا الفهم خطأ ظاهر ، وجهل بين ، فهل يعقل أن يهدم المؤمن حكماً من أحكام ربه ، وركناً من دعائم دينه وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع العلم أن الله تعالى لا يرضى عن المؤمن إلا إذا أقام دينه واتبع شريعته وهل يتصور أن يرضى المؤمن بأفعال الكافر مع أن الله تعالى لا يرضى بها كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾^(٢٢٨) . والحقيقة أنه لا تعارض بين الرضا بالله تعالى وإنكار المنكر لأن المؤمن يرضى بأفعال الله تعالى من حيث أنها صدرت من حكيم عليم ، وأنها بقضائه ومشيئته ، ولا يرضى بأفعال العصاة من حيث أنها فعلهم وكسبهم ، ولأنها دلالة على أنهم ممقوتون من الله تعالى .

ثالثاً : ظن قوم خطأ أن من آثار الرضا بالله تعالى أن يترك الإنسان التضرع والدعاء ويهمل اتخاذ الأسباب لجلب الخير ودفع البلاء ويتعد عن استعمال الدواء عند حصول الداء .

والجواب : إن هذا فهم غير صحيح إذ في الحقيقة أن من جملة الرضا بالله تعالى أن يعمل المؤمن أعمالاً يتوصل بها إلى رضا محبوبه سبحانه وإن يترك كل ما يخالف أمره ويناقض رضاه ، ثم أن ترك الأسباب مخالف لأمر الله تعالى ومناقض لرضاه . فالله تعالى أمر بالعمل ، فقال : ﴿ وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾^(٢٢٩) . ودعا إلى السعي في طلب الرزق ،

٢٢٨ - الزمر : ٧ .

٢٢٩ - التوبة : ١٠٥ .

فليس من الرضا للعطشان أن لا يمد يده للماء نزاعماً إنه رضي بالعطش الذي هو في قضاء الله
وحكمه وإرادته أن يزال العطش بالماء . وحين أراد سيدنا عمر رضي الله عنه أن يمنع جيش المسلمين من
دخول الشام حذراً من الطاعون قال له سيدنا أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه :
أفراراً من قدر الله ؟ فأجابه سيدنا عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ! نحن نفر من قدر الله
تعالى إلى قدره .

الشكر

تعريفه

أورد العلماء للشكر تعاريف كثيرة وأهمها ما ورد عن بعضهم :
الشكر : هو عكوف القلب على محبة المنعم والجوارح على طاعته وجريان اللسان بذكره
والثناء عليه .

دليله من الكتاب المبين

- قال تعالى : ﴿ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ (٢٣٠) .
وقال تعالى : ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٢٣١) .
وقال تعالى : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ (٢٣٢) .
وقال تعالى : ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٢٣٣) .
وقال تعالى : ﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ واشْكُرُوا لي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (٢٣٤) .
وقال تعالى : ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَنْتُمْ ﴾ (٢٣٥) .
وقال تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ﴾ (٢٣٦) .
وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (٢٣٧) .

٢٣٠ - لقمان : ١٤ .

٢٣١ - آل عمران : ١٤٤ .

٢٣٢ - إبراهيم : ٧ .

٢٣٣ - الزمر : ٦٦ .

٢٣٤ - البقرة : ١٥٢ .

٢٣٥ - النساء : ١٤٧ .

٢٣٦ - آل عمران : ١٢٣ .

٢٣٧ - النمل : ٧٣ .

دليل الشكر من السنة

قال عليه السلام : ﴿ إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها ﴾ .

وقال عليه السلام : ﴿ أول ما يُدعى إلى الجنة الحامدون الله على كل حال ﴾ .

وقال عليه السلام : ﴿ الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر ﴾ .

وقال عليه السلام لمعاذ بن جبل رضي الله عنه : ﴿ أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ﴾ .

وقيل أن داود عليه السلام قال : إلهي كيف أشكرك وشكري لك نعمة من عندك فأوصى الله إليه قد شكرتني .

وتكلم الشيوخ في الشكر

قال الشيخ أبو بكر الشبلي رحمته الله : الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة .

قال الشيخ الجنيد البغدادي رحمته الله : الشكر أن لا يستعان بشيء من نعم الله سبحانه على معاصيه .

وقال أبو القاسم الصقلي رحمه الله : حقيقة الشكر أن لا ينفق النعمة في معصية ، ولا يدخرها عن طاعته وحده ومعرفة النعمة من المنعم .

وقال أبو عثمان رحمه الله : شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخواص على ما يرد على قلوبهم من المعاني .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : الشكر نصف الإيمان .

وقال العلامة بن علان الصديقي رحمه الله تعالى : الشكر الاعتراف بالنعمة ، والقيام بالخدمة فمن كثر ذلك منه سمي شكوراً . ومن ثم قال عليه السلام : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ (٢٣٨) .

ولا يخفى أن نعم الله تعالى على عباده أعظم من أن تحصى وأكثر من أن تعد ، قال تعالى

: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٣٩).

ويمكن تقسيم النعم إلى ثلاثة أقسام رئيسية :

دنيوية : كالصحة والعافية والمال الحلال .

ودينية : كالعمل والعلم والتقوى والمعرفة بالله تعالى .

وأخروية : كالثواب على العمل الصالح القليل بالعتاء الجزيل .

وأجل النعم الدينية التي يتأكد الشكر عليها نعم الإسلام والإيمان والمعرفة بالله تعالى . ومن شكرها اعتقاد أنها منة من الله تعالى بلا واسطة ولا حول ولا قوة .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (٢٤٠).

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴾ (٢٤١).

ومن نعم الله تعالى للعبد نعم يسوقها الله تعالى بواسطة عباد الله تعالى كما أجرى إحسان الله إلينا على يد رسول الله ﷺ . وكما ساق خيره لنا بواسطة الدينا ومربينا من المرشدين العارفين بالله تعالى . فعلى المؤمن أن يشكر الله تعالى لأنه المنعم الحقيقي الذي سخر الناس لجلب الخير إليه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ (٢٤٢).

ولقد دعانا الله ﷻ إلى شكره وشكر الدينا اللذين جعلهما سبباً في إيجادنا وسوق كثيراً من النعم إلينا بواسطتهما ، فقال : ﴿ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ (٢٤٣). أقسامه

١ . شكر اللسان : فهو التحدث بنعم الله تعالى امتثالاً لقوله ﷻ : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (٢٤٤).

وتطبيقاً لقوله ﷻ : ﴿ التحدث بنعمة الله تعالى شكر ﴾ . وقيل من كتم النعمة فقد

٢٣٩ - النحل : ١٨ .

٢٤٠ - الحجرات : ٧ .

٢٤١ - النور : ٢١ .

٢٤٢ - النحل : ٥٣ .

٢٤٣ - لقمان : ١٤ .

٢٤٤ - الضحى : ١١ .

كفرها ومن أظهرها ونشرها فقد شكرها .

٢ . شُكر الأركان : فهل العمل لله تعالى مشيراً إلى أن الشكر هو العمل : ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ﴾^(٢٤٥). وقد أوضح ذلك رسول الله ﷺ عملياً حين كان يقوم الليل كما روت السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتورم قدماه فقلت له : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : ﴿ أفلا أكون عبداً شكوراً ﴾ .

٣ . شُكر الجنان : فهو أن تشهد أن كل نعمة بك أو بأحد من العباد هي من الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾^(٢٤٦). فلا تحجبك رؤية النعم عن رؤية المنعم ، وقد نبّه رسول الله ﷺ إلى هذه الحقيقة حيث قال : ﴿ من قال حين يُصبح : اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر ، فقد أدى شكر يومه ، ومن قال ذلك حين يُمسي فقد أدى شكر ليلته ﴾ .

٢٤٥ - سبأ : ١٣ .

٢٤٦ - النحل : ٥٣ .

الزهد

تعريفه

قال ابن الجلاء : الزهد : هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال لتصغيرها في عينيك فيسهل عليك الإعراض عنها .

وقيل : الزهد عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف .

وقال الشيخ الجنيد البغدادي رحمته الله : الزهد : استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب .
فالزهد تفرغ القلب من حب الدنيا وشهواتها ، وامتناعها بحب الله ومعرفته ، وعلى قدر تخلص القلب من تعلقاته وقطع علائقه بشهوات الدنيا يكون زهده فيها ، وبقدر هذا الزهد وإخراجها من قلبه ومحو آثارها وصفاتها وصورها الجميلة فيها والمستقبحة حتى يصفو قلبه وتتمكن أنوار الحق بقدر ما أدبر منها ، فخلو القلب من الدنيا بدايته تكلفاً ووسطه طبعاً وآخره ورعاً وزهداً .

مشروعيته

نفى بعضهم وجود الزهد في الإسلام نفياً قاطعاً ، واعتبر الزهد بدعة دخيلة على الدين ، تسربت إليه عن طريق الرهبنة النصرانية أو النسك الأعجمي ، ولا شك أن موقفهم هذا تسرع في الحكم مع جهل بحقيقة الإسلام ، فلو رجع هؤلاء المنكرون إلى أحاديث الرسول صلوات الله عليه لوجدوا أنه صلوات الله عليه يدعو إلى الزهد صراحةً ، ويعتبر الزهد وسيلة لنيل محبة الله تعالى .

في كتاب الله تعالى

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ (٢٤٧) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا هُوَ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا

يَعْلَمُونَ ﴿٢٤٨﴾ .

وقال تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمْلاً ﴾ (٢٤٩) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (٢٥٠) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (٢٥١) .

ومن الحديث الشريف

* قال ﷺ : ﴿ ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما أيدي الناس يحبك ﴾ .

* وقال ﷺ : ﴿ إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله تعالى مستخلفكم فيها ، فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ﴾ .

* وقال ﷺ : ﴿ كُنْ في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ﴾ .

* وقال ﷺ : ﴿ لو كانت الدنيا تعدل عند الله تعالى جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء ﴾ .

* وقال ﷺ : ﴿ إذا رأيتم الرجل قد أوتي زهداً في الدنيا ومنطقاً فاقربوا منه فإنه يُلْقَن الحكيم ﴾ .

* وقال ﷺ : ﴿ الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ﴾ .

* وقال ﷺ : ﴿ ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال : بيت يسكنه وثوب يوارى عورته ، وجلف الخبز والماء ﴾ .

* وقال ﷺ : ﴿ لا تأخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا ﴾ .

٢٤٨ - العنكبوت : ٦٤ .

٢٤٩ - الكهف : ٤٦ .

٢٥٠ - الكهف : ٧ .

٢٥١ - طه : ١٣١ .

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير ، فقام وقد أثر في جنبه ، فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : ﴿ ما لي وللدنيا ، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها ﴾ .

أقوال الصحابة والتابعين في الزهد

* عن نافع قال : سمعت ابن عمر رضي الله عنه يقول : والله ما شمل النبي صلى الله عليه وسلم في بيته ولا خارج بيته ثلاثة أثواب ، غير أني كنت أرى كساهم إذا احرموا كان لكل واحد منهم مئزر ومشمل لعلها كلها بثمن درع أحدهم ، والله لقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يرقع ثوبه ورأيت أبا بكر تخلل بالعباءة ورأيت عمر يرقع جبته برقاع من آدم وهو أمير المؤمنين ، واني اعرف في وقتي هذا من يجيز المائة ولو شئت لقلت ألفاً .

* وقالت حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمر : يا أمير المؤمنين لو لبست ثوباً هو ألين من ثوبك وأكلت طعاماً هو ألين من طعامك ، وقد وسع الله من الرزق وأكثر من الخير . فقال : إني سأخصمك إلى نفسك ، ألا تذكرين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقي من شدة العيش ؟ فما زال يذكرها حتى أبكاها فقال لها : أما والله لئن استطعت لشاركهما في مثل عيشهما الشديد لعلني أدرك معهما عيش الرضا .

* وعن قتادة رضي الله عنه إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبطأ على الناس يوم الجمعة ، قال : ثم خرج فاعتذر إليهم في احتباسه وقال : إنما حبسني غسل ثوبي هذا كان يغسل ولم يكن لي ثوب غيره .

قال الصوفية في الزهد

* قال عمر بن عثمان المكي : أعلم أن رأس الزهد وأصله في القلوب هو اختصار الدنيا واستصغارها والنظر إليها بعين القلة وهذا هو الأصل الذي يكون منه حقيقة الزهد .

* وقال سيدي الغوث الأعظم الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله : أخرج الدنيا من قلبك ، وضعها في يدك فأنت لا تضرك . وفي هذا المعنى قال بعض العارفين : ليس الزهد أن تترك الدنيا ،

- من يدك وهي في قلبك ، وإنما الزهد أن تتركها من قلبك وهي في يدك .
- * ولهذا عرف ابن عجيبة الزهد بقوله : هو خلو القلب من التعلق بغير الرب .
- * قال الشيخ السري السقطي رحمته الله : إن الله تعالى سلب الدنيا عن أوليائه ، وهمها عن أصفیائه ، وأخرجها من قلوب أهل وداده لأنه لم يرضها لهم .
- * وقال الشيخ الجنيد البغدادي رحمته الله : الزهد خلو اليد من الملك ، والقلب من التبع .
- * وقال أبو علي الدقاق رحمه الله : الزهد أن تترك الدنيا كما هي لا تقول ابني رباطاً أو أعمّر مسجداً .
- * وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله : الصوف علم من أعلام الزهد فلا ينبغي أن يلبس صوفاً بثلاثة دراهم وفي قلبه خمسة أو ما قال رغبة في خمسة .
- * وقال الإمام الشافعي رحمه الله : إذا أوصى إنسان بمالٍ لأعقل الناس صرف إلى الزهاد في الدنيا .
- * وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : الزهد على ثلاثة أوجه : ترك الحرام وهو زهد العوام ، والثاني ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص ، والثالث ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى وهو زهد العارفين .
- * وقال سهل بن عبد الله رحمه الله : أعمال البر كلها في صحائف الزاهدين .

أنواع الزهد

١ . الزهد في المطعم :

- والدرجة العليا في أن يقتصر على ما يدفع الجوع عنه ضرر منه من أدنى ما وجد ، ولا يدخر ، ولا يتقيد بغداءٍ أو عشاءٍ ، والدرجة الثانية أن يتقيد بالغداء أو بالعشاء فقط ولكن لا يدخر ، والدرجة الثالثة أن يدخر قوت يوم ، والدرجة الرابعة أن يدخر قوت أسبوع . والدرجة الخامسة أن يدخر قوت شهر ، والدرجة السادسة أن يدخر قوت أربعين يوماً .
- * وحكي إن الشيخ داود الطائي رحمته الله ورث عشرين ديناراً فأمسكها وأنفقها في عشرين

سنة ، فهذا لا يقدر بالزهد إلا عند من جعل التوكل شرطاً فيه .

* أما من حيث قدر الطعام فأعلى الدرجات فيه الاقتصار على لقيمات يقمن صلبه ،
والدرجة الثانية نصف رطل في يوم وليلة والدرجة الثالثة رطل منهما وما زاد تنعم .

* وأما من حيث الجنس فأعلى الدرجات فيه ما يقوت من خبز النخالة ومن نبات الأرض
أو نحو ذلك ، والدرجة الثانية خبز الشعير والذرة ونحوه ، والدرجة الثالثة وهي أسفل الدرجات
البر المنخول وأن نخل قليل يخرج عن حد الزهد ويدخل في حد التنعيم .

* وأما الأدم فأعلى الدرجات فيه الملح والبقل والخل ونحوه ، والدرجة الثانية : الزيت
واليسير من الأدهان ، والدرجة الثالثة : وهي السفلى اللحم في الأسبوع مرة أو مرتين فأن زاد
على ذلك فقد قيل إنه يخرج من حد الزهد في البطن ويدخل في حد التنعيم .

٢ . الزهد في الملبس :

الدرجة العليا فيه ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة من كساء أو ثوب واحد يغطي به ،
والدرجة الثانية : قميص وقلنسوة ونعل ، والدرجة الثالثة : منديل وسراويل يزيد عن الثانية وما
زاد على هذا يخرج عن حد الزهد .

٣ . الزهد في المسكن :

وأعلى الدرجات فيه أن يقنع بزوايا المساجد ونحوها ولا يطلب مسكناً خاصاً لنفسه ،
والدرجة الثانية : أن يطلب موضعاً خاصاً منه سعف أو خوص أو ثماما ونحو ذلك ، والدرجة
الثالثة : أن يكون بحجارة بشراء أو أجارة ويكون على قدر حاجته من غير زيادة ولا زينة ولا
مرتفع سقفه أكثر من ستة أذرع ولا قيل أنه يخرج عن الزهد في المسكن لأن الغرض منه دفع
الحر والبرد والأعين والأيدي وقدر الحاجة في ذلك معلوم وما زاد فهو من فضول الدنيا .

٤ . أثاث البيت :

وأعلى الدرجات فيه أن يقتصر على ما تدعو إليه الضرورة وتحصل به الكفاية من آنية
الخزف ونحوه ، والدرجة الثانية : أن يكون الأثاث بقدر الحاجة صحيحاً ليس فيه تلف أو كسر
ويستخدم الآلة الواحدة في أشياء كثيرة كالقصعة يأكل فيها ويشرب ويحفظ متاعه ، والدرجة
الثالثة : وهي السفلى في يدك وهي أن يكون له بعد كل حاجة آلة الجنس الدون ، فإن زاد في

العدد أو نفاسة الجنس أو كان مزيناً فقد قيل له يخرج بذلك من الزهد إلى الرغبة في فضول الدنيا .

٥ . التزوج :

وهذا مما اختلف فيه فقال قائلون لا معنى للزهد في أصله ولا في كثرته ، ونقل بعض العلماء أن سهل بن عبد الله رحمه الله ممن ذهب إلى ذلك وقال : قد حبن إلى سيد الزاهدين عليه السلام فكيف يزهد فيهن ؟ يعني النساء .

وكان سفيان بن عينية رحمه الله يقول : كثرة النساء ليس من الدنيا لأن علياً عليه السلام كان ازهد أصحاب رسول الله ﷺ وكان له أربع نسوة وبضع عشرة سرية وروي بضع وعشرون سرية . وكان ابن عباس يقول : خير هذه الأمة أكثرها نساء . وكان الشيخ الجنيد رضي الله عنه يقول : إني احتاج إلى الزوجة كما احتاج إلى الطعام .

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول : لو لم يبق من عمري إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج ولا ألقى الله تعالى أعزب .

وقد اختلف العلماء في ذلك فمنهم من حبه ومنهم من كرهه ونقل بعض أقوالهم . فأما علماء الظاهر فقالوا : إن احتاج إلى النكاح ووجد أهبطه استحبه له ، وإن عدم الحاجة والاهبة معاً كره له ، وإن وجد الحاجة وعدم الاهبة كسر نفسه بالصوم أو استعان بالله وتزوج ، وإن وجد الاهبة ولم يجد الحاجة فأن كان مشغولاً بعلم أو عبادة كره له التزوج وإن لم يكن مشغولاً بواحد منها استحبه له أن يتزوج ليكن آتياً بالسنة .

وأما علماء الباطن فقالوا :

التجرد عن الأزواج والأولاد أعون على الوقت للفقير وأجمع لهمه وألذ لعيشه ، ويصلح له في ابتداء أمره قطع العلائق ومحو العوائق والتنقل في الأسفار وركوب الأخطار والتجرد عن الأسباب والخروج عما هو من جملة الحجاب ، قالوا : والتزوج انحطاط من العزيمة إلى الرخص والرجوع من التروح إلى النغص ، وتقيد بالأزواج والأولاد ودوران حول فطان الاعوجاج والتفات إلى الدنيا بعد الزهادة ، وانعطاف على الهوى بمقتضى الطبيعة والعادة ، لذا لا يصلح له التزوج حتى تنصلح النفس .

وقد روي إن الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمته الله قال له بعض الصالحين تزوجت ؟ فقال :
ما تزوجت حتى قال لي رسول الله ﷺ تزوج . وقال أيضاً : كنت أريد الزوجة مدة من الزمان
ولا أتجرأ على التزوج خوفاً من تكدير الوقت . فلما صبرت بلغ الكتاب أجله ، ساق الله ﷻ إليّ
أربع أزواج ما فيهن إلا من تنفق على إرادة ورغبة (يعني باختيار ومحبة) .
وقالوا : من صبر من الصوفية على العزوبة حتى يبلغ الكتاب أجله تنتخب له الزوجة
انتخاباً ويهيئ الله تعالى له أعواناً وأسباباً ، وينعم برفق يدخل عليه وبرزق يساق إليه .
قال أبو سليمان الداراني : الزهد في النساء أن تختار المرأة الدون أو اليتيمة على المرأة
الجميلة الشريفة .

الورع

تعريفه

* قال السيد الجرجاني رحمه الله تعالى : هو اجتناب الشبهات خوفاً من الوقوع بالمحرمات .

* قال ابن عجيبة رحمه الله تعالى : الورع كف النفس عن ارتكاب ما تكره عاقبته .

ولتوضيح معنى الورع نبين مراتبه التي يسعى طالب الكمال أن يتحقق بها :

فورع العوام : هو ترك الشبهات حتى لا يتأذى في حمأة المخالفات إتباعاً لإرشاد رسول

الله ﷺ في قوله : ﴿ إن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتهيات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ﴾ .

وورع الخواص : ترك ما يكدر القلب ويجعله في قلق وظلمة ، فأهل القلوب يتورعون عما

يهجس في قلوبهم من الخواطر وما يحيك في صدورهم من الوسوس ، وقلوبهم الصافية أعظم منبه لهم حتى يترددون في أمر أو يشكون في حكم كما أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ : ﴿ دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ ﴾ .

وورع خاصة الخاصة : رفض التعلق بغير الله تعالى وسد باب الطمع في غير الله تعالى ،

وعكوف الهم على الله تعالى وعدم الركون إلى شيء سواه وهذا هو ورع العارفين .

ومن السنة الشريفة

* قال ﷺ : ﴿ لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به

بأس ﴾ .

* وقال ﷺ : ﴿ فضل العلم خير من فضل العبادة وخير دينكم الورع ﴾ .

* وقال ﷺ : ﴿ ثلاث من كن فيه استوجب الثواب واستكمل الإيمان ، خلق يعيش به

في الناس ، وورع يحجزه عن محارم الله ، وحلم يرد به جهل الجاهل ﴾ .

* عن انس رضي الله عنه إن النبي ﷺ وجد ثمرة في الطريق ، فقال : ﴿ لولا إني أخاف أن تكون

من الصدقة لأكلتها ﴿ ١٠٠ ٠

* عن أبي هريرة ؓ قال : أخذ الحسين بن علي ؓ ثمرة من ثمر الصدقة فجعلها في فيه ، فقال النبي ﷺ : ﴿ كخ ، كخ أرم بها أما علمت إنا لا نأكل الصدقة أو إنا لا نحل لنا الصدقة ﴾ .

* وقال ﷺ : ﴿ من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ﴾ .

وإن السادة الصوفية إذ يتحققون بمراتب الورع المتسامية إنما يحيون لنا ذكر الصحابة والتابعين ؓ .

* قال إبراهيم ابن أدهم : الورع ترك كل شبهة وترك ما لا يعني .

* قال الشيخ أبو بكر الشبلي ؒ : الورع أن تتورع عن كل ما سوى الله .

* قال إسحاق بن خلف رحمه الله تعالى : الورع في المنطق أشد منه في الذهب والفضة

* وقال أبو عثمان رحمه الله : ثواب الورع خفة الحساب .

* وقال يحيى بن معاذ رحمه الله : الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل .

ثم قال : الورع على وجهين ورع الظاهر وهو أن لا يتحرك إلا بالله تعالى وورع الباطن وهو أن لا يدخل قلبك سواه تعالى .

* قال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى : من لم يصحب الورع أكل رأس الفيل ولم يشبع .

* قال أبو سفيان الثوري رحمه الله تعالى : ما رأيت أسهل من الورع ما حاك في نفسك تركته .

* وقال الشيخ معروف الكرخي ؒ : احفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الدم .

* قال أبو هريرة ؓ : جلساء الله تعالى غداً أهل الورع والزهد .

حكايات في الورع

* فقد روي إن الصديق ؓ أكل طعاماً أتاه به غلامه ، ثم أخبره الغلام أن فيه شبهة ،

فما وسع الصديق ؓ إلا أن ادخل يده في فمه فقاء كل شيء في بطنه .

وكان يقول : كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام .

* وحمل إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مسك من الغنائم فقبض على مشايخه وقال : إنما ينتفع بهذا بريجه ، وأنا أكره أن أجد ريجه دون المسلمين .

* وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : اشتريتُ إبلاً وسقتها إلى الحمى ، فلما سمعت قدمت بها ، فدخل عمر رضي الله عنه السوق فرأى إبلاً سمناً . فقال : لمن هذه ؟ فقيل لعبد الله بن عمر . فجعل يقول : يا عبد الله ! بخ بخ ... ابن أمير المؤمنين وقال : ما هذه الإبل ؟ قلت إبل أنضاء (هزيلة) اشتريتها وبعثت بها إلى الحمى ابتغي ما يبتغي المسلمون . فقال : ادعوا إبل ابن أمير المؤمنين اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين ! يا عبد الله بن عمر خذ رأس مالك وأجعل الريح في بيت مال المسلمين .

وقصته مع زوجته معروفة يوم اقتصدت لتشتري الحلوى وطالبته بالشراء ، فقال : من أين لك ثمن الحلوى ؟ قالت : اقتصدت . قال : رديه لبيت المال فلو احتجت ما اقتصدت وهو الذي كان يجوع لتشبع رعيته .

* وجاءت أخت بشر الحافي إلى أحمد بن حنبل رضي الله عنه وقالت : إنا نغزل على سطوحنا فتمر بنا مشاعل الظاهرية ويقع الشعاع علينا ، فيجوز لنا الغزل في شعاعها فقال أحمد : من أنتِ عافاك الله ؟ فقالت : أخت بشر الحافي ، فبكى أحمد وقال : من بيتكم يخرج الورع الصادق لا تغزلي في شعاعها .

* وقال علي العطار : مررت بالبصرة في بعض الشوارع فإذا مشايخ قعود وصبيان يلعبون فقلت : أما تستحون من هؤلاء المشايخ ؟ قال صبي من بينهم : هؤلاء المشايخ قلّ ورعهم فقلت هيبتهم .

* وقال كهمبس رحمه الله تعالى : أذنبت ذنباً أبكي عليه منذ أربعين سنة وذلك إنه زارني أخ لي فاشتريت بدائق سمكة مشوية فلما فرغ أخذت قطعة طين من جدار جار لي حتى أغسل يده ولم استحلّه .

* حكى إن رابعة العدوية خاطت شقاً في قميصها في ضوء شعلة سلطان ففقدت قلبها زماناً حتى تذكرت فشقت قميصها فوجدت قلبها .

* وكان حسان بن سنان لا ينام مضطجعاً ولا يأكل سمناً ولا يشرب ماءً بارد سنين ،
فرؤي في المنام بعد موته ف قيل ما فعل الله بك ؟ فقال خيراً إلا إني محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها
فلم أردھا .

ومر عيسى بن مريم عليه السلام بمقبرة فنأدى رجلاً منها فأحياء الله تعالى فقال : من أنت ؟ فقال
: كنت حمالاً أنقل للناس . فنقلت يوماً لإنسانٍ خطباً فكسرت منه خللاً ، تخللت به فأنا
مطالب به منذ مت .

* وتكلم أبو سعيد الخراز في الورع قمر به عباس بن المهدي ، فقال يا أبا سعيد
أما تستحي تجلس تحت سقف أبي الدوانق وتشرب من بركة زبيدة وتعامل بالدرهم وتتكلم في
الورع .

التوكل

- قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (٢٥٢).
- وقال تعالى : ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ﴾ (٢٥٣).
- وقال تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٢٥٤).
- وقال تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٥٥).
- * قال ﷺ : ﴿ لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتعود بطاناً ﴾ .
- * قال ﷺ : ﴿ من توكل وقنع كفي الطلب ﴾ .
- * قال ﷺ : ﴿ من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده ﴾ .
- * قال عيسى بن مريم عليه السلام : لا تحبوا طعاماً لغدٍ فان غداً يأتي ومعه رزقه .
- * قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ حسب من يتوكل ومن لا يتوكل أن الله ﷻ كافي الخلق جهلوا أم علموا ، لأنه خالفهم ولا يملك كفايتهم غيره .
- * قال الشيخ الحسن البصري رحمه الله : من توكل وقنع ورضي أتاها الشيء بلا طلب .
- وقال أيضاً : من اتكل على حسن الاختيار من الله فالواجب عليه أنه لا يتمنى أنه في غير حاله الذي اختاره الله له .
- * قيل للشيخ الحبيب العجمي رحمه الله : لم تركت التجارة ؟ فقال : وجدت الكفيل ثقة .
- * قيل لأبي عثمان رضي الله عنه : من أين تأكل ؟ فقال : إن كنت مؤمناً فأنت مستغن عن هذا السؤال وإن كنت جاحداً فلا خطاب معك ، ثم تلا : وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها .

٢٥٢ - الطلاق : ٣ .

٢٥٣ - إبراهيم : ١٢ .

٢٥٤ - آل عمران : ١٢٢ .

٢٥٥ - المائدة : ٢٣ .

فجعل التوكل عليه حقيقة الإيمان .

أول مقام التوكل أن يكون العبد بين يدي الله ﷻ كالميت بين يدي الغسال يقلبه كيف يشاء .

علامات المتوكل ثلاث : لا يسأل ، ولا يرد ، ولا يحبس .

التوكل حال النبي ﷺ والكسب سنته فمن بقي على حاله فلا يترك سنته .

من طعن في الحركة طعن في السنة ومن طعن في التوكل فقد طعن بالإيمان .

* سئل ذو النون المصري رحمه الله تعالى عن التوكل فقال : خلع الأرباب وترك الأسباب .

* قال الشيخ الجنيد البغدادي رحمه الله : اعتماد جواهر القلوب على الله بإزالة الأطماع عما

سواه .

* قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى : التوكل أن يستوي عندك أفخاخ السباع والمتكي

على الحشايا .

* وقال أبو علي الدقاق رحمه الله تعالى : التوكل رد العيش إلى يوم واحد وإسقاط هم

الغد .

وقال أيضاً : التوكل صفة المؤمنين والتسليم صفة الأولياء والتفويض صفة الموحيين .

* وقال إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى في التوكل : أن يكون سكونه إلى ما في الغيب

كسكونه إلى ما في اليد ، لأن ما في اليد تحدث عليه الحوادث وما عند الله باقي يأتي به في أوقاته .

وقال أيضاً : إن المتوكل على الله لو جاء الأسد من خلفه والتفت إليه خرج من التوكل

وقال : لقيني الخضر عليه السلام فسألني الصعبة فخشيت أن يفسد عليّ توكلي بسكوني إليه

ففارقتة .

قيل : الرزق ثلاثة : رزق العوام من الحركة ورزق الخاص من القسمة ورزق خاص الخاص

من القدرة .

* قال الشيخ أبو بكر الشبلي رحمه الله : أن تكن لله كما لم تكن فيكون الله لك كما لم يزل .

* قال أبو يعقوب النهرجوري : التوكل موت النفس عن ذهاب حظوظها من أسباب

الدنيا والاخرة .

* سئل حاتم الأصم : على ماذا بنيت أمرك من التوكل على الله ؟ فقال أربع خصال : علمت إن رزقي لا يأكله غيري فأطمئنت به نفسي . وعلمت أن عملي لا يعمل به غيري فأنا مشغول به . وعلمت أن الموت يأتي بغتة فأنا أبادره . وعلمت إني لا أحيد من عين الله تعالى حيث كنت ، فأنا استحي منه .

* وسئل أبو بكر الخراساني عن التوكل فلم يجب ف قيل له في ذلك فقال : في بيتي أربع دوانق حتى أذهب وأخرجها فأنا أستحي من الله تعالى أن أتكلم في التوكل وفي بيتي أربع دوانق . * قال سفيان الثوري رحمه الله : لو أن السماء لم تقطر والأرض لم تنبت ثم اهتممت بشيء من رزقي لظننت إني كافر .

* وقال عامر بن عبد قيس : والله ما اهتممت برزقي منذ أن قرأت : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (٢٥٦).

* قال رجل لحاتم الأصم رحمه الله تعالى : من أين تأكل ؟ فقال : ﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٢٥٧).

* سئل يحيى بن معاذ : متى يكون الرجل متوكلاً ؟ فقال : إذا رضي بالله تعالى وكيلاً . * جاء رجل إلى الشبلي رضي الله عنه يشكو إليه كثرة العيال فقال : ارجع إلى بيتك فمن ليس رزقه على الله فأطرده عنك .

قال أبو علي الروزباري رحمه الله تعالى : إذا قال الفقير بعد خمسة أيام أنا جائع فألزموه السوق وأمره بالعمل والكسب .

وقيل أبو تراب النخشي إلى صوفي مد يده إلى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة أيام فقال له : لا يصلح لك التصوف ألزم السوق .

حكى عن عثمان بن تزداد قال : سمعت أبا سعيد الخراز يقول : قطع البادية مراراً على التجرد فكنت أساكن الواردين من خلفي ، ثم خرجت اعتقدت فيها اعتقاداً وعاهدت الله عهداً

٢٥٦ - هود : ٦ .

٢٥٧ - المنافقون : ٧ .

وسأله التوفيق أن لا أسكن مستقبلاً ولا مستديراً ولا التففت يمينا ولا شمالاً فخرجت بهذه النية ، فلما صرت في بعض سواد العراق ، كنت أسير يوماً بين الصلاتين في موضع سبع ، فسمعت خلفي حساً فطالبتني نفسي بالالتفات . فذكرت العقد بيني وبين الله فبقيت على حالتي ثم اشتد الحس فمشيت على حالتي ، وسكنت نفسي على الفزع حتى قرب المشي وحسست بمشي الأسد وزئيره ، ومشيت على حالي فإذا خده على كتفي الأيمن وخداً آخر على كتفي الأيسر ، فثبت الله جناني فلمسا خدي ثم رجعا في طريقهما ومشيت أنا على حالتي ورجوت إنه قد صح التوفيق فيما اعتمدته .

* قال إبراهيم الخواص : كنت في طريق مكة فرأيت شخصاً وحشياً فقلت جني أو أنسي ؟ فقال : جني . فقلت : إلى أين ؟ فقال : إلى مكة . فقلت : بلا زاد ؟ فقال : نعم فينا أيضاً من يسافر على التوكل . فقلت : أيش التوكل . فقال : الأخذ من الله تعالى .

* وعن بعضهم قال : كنت في البادية فتقدمت القافلة فرأيت قدامي واحداً فتسارعت حتى أدركته ، فإذا هي امرأة بيدها عكاز تمشي على التؤدة ، فظننت أنها أعيت فأدخلت يدي في جيبها فأخرجت عشرين درهماً فقلت خذها وامكثي حتى تلحقك القافلة فتكثري بها ثم ائتين الليلة حتى أصلح أمرك . فقالت بيدها هكذا في الهواء فإذا في كفها دنانير فقالت : أنت أخذت الدراهم من الجيب وأنا أخذت الدنانير من الغيب .

* وقيل : دخل جماعة على الشيخ الجنيد رضي الله عنه فقالوا أين تطلب الرزق ؟ فقال : إن علمتم أي موضع هو فاطلبوه . قالوا : فنسأل الله تعالى في ذلك ؟ فقال : إن علمتم أنه ينساكم فذكروه . قالوا : ندخل البيت ونتوكل ؟ فقال : التجربة شك فقالوا : فما الحيلة ؟ قال : ترك الحيلة .

* قال أبو حمزة الخراساني : حججت سنة من السنين فبينما أنا أمشي في الطريق إذ وقعت في بئر ، فنزعني نفسي أن استغيث فقلت لا والله لا استغيث فما استممت هذا الخاطر حتى مَرَّ رأس البئر رجلاً فقال أحدهما للآخر تعالى حتى نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيه أحد ، فأتوا بقصب وبارية وطموا رأس البئر فهممت أن أصبح ثم قلت في نفسي أصبح من هو أقرب منهما

وسكنت ، فبينما أنا بعد ساعة إذ أنا بشيء جاء وكشف عن رأس البئر وأدلى رجله وكان يقول لي : تعلق بي مهمة له كنت اعرف ذلك منه ، فتعلقت به فأخرجني فإذا هو سبع قمر وهتف بي هاتف يا أبا حمزة أليس هذا أحسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت .

* سمعت أن حذيفة المرعشي وقد خدم إبراهيم بن أدهم وصحبه ، قيل له : ما أعجب ما رأيت منه ، فقال : بقينا في طريق مكة حرسها الله تعالى ، أياماً لم نجد طعاماً ثم دخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجد خراب فنظر إليّ إبراهيم وقال : يا حذيفة أرى بك أثر الجوع فقلت : هو ما رأى الشيخ ، فقال عليّ بدواة وقرطاس فجئت به وكتب بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

أنت المقصود إليه بكل حال ، والمشار إليه بكل معنى :

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر	أنا جائع أنا نائح أنا عاري
هي ستة وأنا الضمين لنصفها	فكن الضمين لنصفها يا باري
مدحي لغيرك لهب نار خفتها	فأجر عبيدك من دخول النار
والنار عندي كالسؤال كما	ترى أن لا تكلفني دخول النار

ثم دفع إلي الرقعة وقال : اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقعة إلى أول من يلقاك فخرجت فأول من لقيني رجل كان على بغلة فدفعتها إليه فأخذها وبكى وقال : ما فعل صاحب هذه الرقعة في المسجد الفلاني ، فدفع إلي صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلاً آخر فقلت : من صاحب هذه البغلة ، فقالوا : هو نصراني فجئت إلى إبراهيم بن أدهم وأخبرته بالقصة ، فقال : لا تمسها فإنه يجيء الساعة فلما كان بعد قال وافي النصراني وأكب على رأس إبراهيم بن أدهم وأسلم .

حكم السفر والقعود على المشايخ

لابد من لزوم عدة آداب عند السفر والقعود على المشايخ تفصلها فيما يلي :

فمنها قبل السفر :

أولها : الاستخارة ومراجعة القلب ، روى البخاري عن جابر رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يُعلمنا الاستخارة كما يعلمنا الفاتحة ، وقال ﷺ : ﴿ ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ﴾ .

ثانيها : الاستشارة يجب أن يستشير خليفته أو جماعته إذا لم يوجد الخليفة الذي سلك على يده العهد أو الذي تحت تربيته .

ثالثها : النية الصالحة فلا يسافر بقصد الدنيا أو النزهة وبقدر نيته يحصل الخير .

رابعها : التماس صاحب وفي بعض الآثار : التمسوا الرفيق قبل الطريق .

وقد نهى ﷺ عن السفر وحده وقال : ﴿ الراكب شيطان ، والراكبان شيطانان ، والثلاثة ركب ﴾ . ولا يصحب إلا من يريد به إلى ربه .

خامسها : قضاء الديون ورد الودائع ، فإذا لم تحل وتعذر تعجيلها وكيلاً يؤدي عنه .

سادسها : حمل السجادة والسواك وما يحتاجه من الطريق كالزاد والماء والإبرة والخيط والعصا أو ما يستعين به .

سابعها : يطوف على إخوانه ويبلغهم سفره ، ويودعهم ويستحب تشييعه والسير معه ولو لمسافة قصيرة .

ومنها أثناء الشروع :

١ . يستغفر الله العظيم ويصلي على النبي ﷺ ويذكر الله تعالى مهلاً ويستمد من همة شيخه .

٢ . يلتفت إلى مشييعه عدة مرات ويرفع يده لوداعهم كل مسافة قصيرة حتى يتوارى عنهم .

٣ . إذا مر في قرية أو مدينة فيها مسجد يقصدها وقت صلاة لأدائها أو تحديد وضوء أو

استراحة فلا بأس .

ومنها بعد الوصول إلى تكية الشيخ :

- ١ . إذا قربوا التكية رفعوا أصواتهم بالتهليل والذكر فلا يزالون كذلك حتى يدخلوا التكية .
- ٢ . انتظار خروج الشيخ بلا نداء عليه ولا رسول إليه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٢٥٨) .

٣ . ومنها تقبيل يد الشيخ ورجله إن جرت ذلك عادة الفقراء فهو من حسن التعظيم ، وهو من التربية والآداب والمهابة في ذلك ، وفي ذلك قال الشاعر :

يا من يريد خمرة المحبة خذوها عني هي حلال
ومن يرد يسقي منها غباً خذْ يضع لأقدام الرجال
رأسي حططت لكل شيخ هم الموالي سقوني زلال
من آداب المريد في مجلس الشيخ :

قال الشيخ محمد بن عجيبة رحمته الله في كتابه (شرح المباحث الأصلية) .

- ١ . جلوسهم على يديه على نعت السكينة والوقار خافضين أصواتهم ناكسين رؤوسهم غاضين أبصارهم فلا يكلمونه حتى يبدؤهم بالكلام .
- قال الشيخ زروق : ثم إن طلب أحدهم بالكلام فإن كان الكلام عادياً أتى به منخفضاً وإن كان في العلوم والحقائق نظر فأن حضرته نفسه ترك ، والا تكلم بأقل ما يمكن من الكلام في ذلك لأن الكلام في حضرة الأستاذ مقت .

ثم قال : ومن أعجب ما شهدته في بعض الناس أنهم يدخلون على رجال من أهل الكمال لقصد الانتفاع بهم ثم يبسطون ألسنتهم بالكلام في وجوه من صور الحقائق ويظنون أنهم بذلك متقربون لقلوبهم ومتحبيون لهم ولا أدري هل ذلك لظنهم خلوصهم مما يآلونه أو لرؤيتهم إن ذلك مما يقربهم إليهم أو لبروهم إنهم يفهمون ويدوقون ، هذه كلها جهالات أعادنا الله منها .

٢ . ولا يعارضه في كلامه فأن لم يفهم كلام الشيخ أو رآه مخالفاً لرأيه أو لما عند غيره يقول يا سيدي ما فهمته وقد ظهر لي كذا على وجه الاستفهام لا على وجه التعارض فإن ظهر خلاف ما ظهر للشيخ فليسكت .

وقال الشيخ محمد بن عجيبة رحمته الله في قصيدته العينية في الآداب :
مع الشيخ آداب إذا لم تكن له فإنه في وادي القطيعة راتع
خضوع وهيبة وصدق ومحبة وعقل كمال فيه انه جامع
فلا ترفعن صوتاً إذا كان حاضراً ولا تضحكن فالضحك فيه فجائع
ولا تعترض أصلاً عليه فإنه بنو شهودٍ للبصيرة تابع
ولا ترفعن عيناً إلى ماء غيره فترمى كسيراً في المعاطش ضائع
ولا تخرجن من عش تربية غدت تمدك بالأنوار منها تتابع

٣ . أن لا يخطر على باله وهو في مجلس الشيخ خاطر دنيا من مال أو ولد أو نساء أو غير ذلك بل يحفظ قلبه عن مثل هذه الخواطر والوسواس بطردها إذا ما وجدت بالاستغفار والرابطة مع الشيخ .

٤ . أن لا يتمايل ويتحرك أثناء سماع القصائد والأشعار إلا أن طرق عليه حال أخرجه إرادته .

٥ . أن لا يجلس المريد في مجلس الشيخ مع أهل الدنيا لما فيه أذى لقلبه ولا يقترب لسمع من كلامه معهم أو كلامهم معه فرما يؤدي ذلك قلبه ويخرجه من حاله .

٦ . لا يأكل ولا يشرب ولا يتكلم مع أحد في مجلس الشيخ ذلك يُشتت قلبه ويفقد وارده القلبي الفاض عليه من قبل الشيخ .

٧ . لا تُسَلَّم على أحد في مجلس الشيخ أو تُصافح أحداً فإن ذلك يضيع على قلوب المريدين ترقبهم واستكانتهم الذي فيه ربحهم .

٨ . لا تخرج مسبَحَتَكَ في مجلس الشيخ وتعمل بوردك ، فسكون ظاهرك وباطنك في مجلس الشيخ أفضل كما قالوا : يكون كالميت بين يدي الغسال .

التكية بيت الذكر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾

بما أن التكية مكان الذكر والصلاة فأن لها قدسية عظيمة حيث يأوي إليها عدد من الفقراء لتأدية شعائر الطريقة ، ويعتكف بها محبو العبادات . فهي مدرسة تعلم المريدين ممارسات شعائرهم الدينية ابتداء من الطهارة والوضوء والصلاة وآداب الذكر وكيفية أدائه . وبعد أحكام البدايات تعلم السلوك من رياضات ومجاهدات وتبين أحكامها ومدارجها . ثم بعد هذه الممارسات تدخل إلى عالم القلب لتفسير الخواطر وأسلوب تنقيتها والمذاقات الروحية . فيخرج منها المتصوفة والأولياء الصالحون والزاهدون في الدنيا غير راغبين فيها طالبين رضاء الله مشتاقون للقاءه . ولما لها من دور عبادي فاعل وعلى قدر دورها هذا تكون قدسيتها ، فهي مجمع أرواح الأولياء والروحانيين ونظر الأصفياء والملائكة المقربين مكان التجلي الإلهي على عباد الله المخلصين الذاكرين كما قال عز من قائل : ﴿ أنا جليس من ذكرني ﴾ . فمأواها وخبرها وملحها دواء لأهل الأسقام وترابها تبرك لأهل العقائد والإيمان . يلجأ إليها المضطرون يتوسلون ببركة أهلها فيكشف عنهم الضر ويرتادها أهل الأسقام فيبرؤون من أسقامهم ببركة شيخها صاحب الذكر والتلقين والمدد الروحي فإن شرف المكان بالمكين .

لذلك لها شروط وآداب يجب على المريد أن يحكمها ، وخلاف ذلك أمر مرفوض لما يعقبها من أضرار تصيب المريدين فيحرمون من بركتها .

آداب التكية

- ١ . أن يدخل التكية بنية طلب البركة ورضاء الرب ﷻ بالصلاة والذكر ومجالسة الفقراء والاستماع للإرشاد والطاعة ، وان لا يجادل ولا يكذب ولا ينافق ولا يغتب أحداً .
- ٢ . أن يدخل طاهر البدن والثياب ويحافظ على وضوئه ما زال فيها .
- ٣ . أن لا يحلف يمينا صادقا ولا كاذبا ولا يمازح أحداً جاداً ولا هازلاً ولا يضحك داخل التكية وأن ندر هذا وضع أصابعه على فمه حتى لا يظهر بياض أسنانه .

- ٤ . أن لا يتكلم بكلام الدنيا أو بكلام أهلها داخل التكية .
- ٥ . أن لا يخلق شعره ولا يقلم أظافره ولا يمشط رأسه ولا يبصق ولا يتمخط ولا يفرقع أصابعه داخل حرم التكية ، ويعتني بنظافة المكان وطهارته ، ولا ينام فيها إلا على غلبة .
- ٦ . أن لا يرفع صوته أثناء كلامه في غير ذكر الله تعالى وإذا جلس جلس في المكان الفارغ ولا يزاحم أحداً .
- ٧ . أن لا يشتري فيها ولا يبيع ولا يخاصم ولا ينشد فيها ضالة .
- ٨ . أن يكون حريصاً كل الحرص على شعائر التكية من صلاة وذكر وأوراد ويقضي فيها كل وقته ولا يتركها .
- ٩ . أن يستمع للإرشاد من الخلفاء المكلفين من قبل الشيخ ولا يعصي لهم أمراً في حدود الشريعة والطريقة .
- ١٠ . أن يدخلها المريد طالباً لا يدخلها عالماً مهما كان ، فيفسد طبعه ولا ينتفع بأهلها (فُرت جاهل في بعض الأحكام مخلص خير من عالم في الأحكام غير مخلص عند الله) .
- ١١ . أن يخدم التكية بكل ما أمكنه من خدمة الفقراء والمرضى والعباد الذين أثقلتهم العبادات والاعتناء بأواني وفرش التكية ونظافتها واستقبال الضيوف وخدمتهم فأن في هذه الخدمة أجراً عظيماً لا يعرف بركته إلا أهله .
- ١٢ . إذا خص المريدون ببعض العلوم الروحية نتيجة مجاهداتهم وإخلاصهم فإنهم غير مسموح لهم بإيصال ما توصلوا إليه إلى عامة المريدين لأنهم هم خصوا بذلك لينتفعوا به وحدهم لأن المريد مطالب أن يصل إلى تخصصه بنفسه ولا يتعلمه من أحد ، ولا يقلد أحداً في حاله خصوصاً لأن الأمور الروحية غير قابلة للتقليد .
- ١٣ . يجب مراعاة المريدين المبتدئين صغاراً أو كباراً والصبر على بعض تصرفاتهم لحين تطبعهم وعدم جرهم إلى علوم أرقى من مرحلتهم أو مطالبتهم بالرياضات والسلوك في بداياتهم خشية نفورهم وتراجعهم القهقري .

من آداب المرید مع أحبائه

١ . أن لا ينظر لهم أبداً إلى عورةٍ ظهرت ولا إلى زلةٍ سبقت ، إذ هو معرض للوقوع بمثلها وعليه أن يدلّه على من يصلح حاله وزلته لأنه ليس هو مُعدّ لإصلاح غيره وإنما هو مشغول بإصلاح نفسه فقط ليخرجها عن رعوتها .

قال الشيخ الحسن البصري رحمته الله : والله لقد أدركنا أقواماً لا عيوب لهم فتجسسوا على عيوب الناس فأحدث الله لهم عيوباً .

وكان يقول : إذا بلغكم عن أحد زلة ولم تثبت عند حاكم فلا تعيروه بذلك وكذبوا من أشاعها عنه إن لم يثبت ذلك عند حاكم لاسيما أن كان هو ينكر ذلك ، ثم إن ثبت حقاً فإياكم أن تعيروه أيضاً فلربما عافاه الله وابتلاككم .

قال أحدهم : إذا رأيتم الفقير يتتبع عورات الناس - الفقراء - في التكية فهو من أهل السوء ويجب على الشيخ إخراجه إن لم يتب لئلا يتلف حال الفقراء .

قال الإمام الشعراني رحمته الله في (الأنوار القدسية)

٢ . وعليه أن ينفق على نفسه وعلى إخوانه كلما فتح الله تعالى به عليه من الحلال أولاً فأول ولو كانت فجلة أو خيارة ولا يعود نفسه الاختصاص بشيء عن إخوانه مطلقاً فأن من أثر نفسه على إخوانه في الشهوات لم يفلح أبداً . وقد أجمع الشيوخ على أن المرید من آخر نصفاً واحداً على اسم حوائجه المستقبلية مع حاجة أحد من إخوانه إلى ذلك خرج عن طريق الفقراء بالإجماع .

٣ . وينبغي لمن قام متعبداً أن لا يرى نفسه على أحد من إخوانه الذين ينبههم وقت السحر بل يرى نومهم أخلص من عبادته . فأن القلم مرفوع عن النائم دون القائم .

٤ . وأجمع الأشياخ كلهم على انه يجب على العبد أن يرى نفسه دون كل جليس من المسلمين ومن لم ير نفسه كذلك كان من المتكبرين والمتكبرون في جهنم .

قال أحدهم : من أراد أن يصير الوجود كله يمدّه بالخير فليجعل نفسه تحت الخلق كلهم في الدرجة لأن المدد الذي في الخلق كالماء لا يجري إلا في المواضع المنخفضة دون العالية أو المساوية . فمن رأى نفسه مساوياً لجليسه فمدده لا يجري إليه بل واقف أو أعلى منه فلا يصعد

إليه ذرة من مدده .

ومن وصية سيدي الشيخ أحمد الرفاعي ^{رحمته} لأصحابه وهو محتضر : مَنْ تمشيخ عليكم فتتلمذوا له فأن مد لكم يده لتقبلوها فقبلوا رجله وكونوا آخر شعرة في الذنب فأن الضربة أول ما تقع بالرأس . وضرب مثلاً نخلة البلح وثمارها وشجرة اليقطين لما وضعت خدها على الأرض ولو حملت مهما حملت لا تحس بثقله تذكرة لأولي الأبصار وكان كثيراً ما يقول من لم يكن له خد يُداس لم يكن له يد تُباس .

٥ . ومن شأنه أن يراعي غفلة إخوانه عن الذكر في التكية فيذكر الله تعالى وحده في وقت غفلتهم لتنزل الرحمة على إخوانه فيحسن إليهم بذلك ويكتب له أجر عظيم .

٦ . ولا ينبغي للمريد التخلف عن حلق الذكر أو عن صلاة الجماعة وليس له أن يقيم الحجج على إخوانه إذا لاموه على ذلك ، فأن فيه مجادلة عن النفس بالباطل بل الذي ينبغي له المبادرة إلى الاستغفار وقوله لهم جزاكم الله عني خيراً وهذا دليل على شدة محبتكم وإنكم أشفق على ديني مني .

٧ . ومن شأنه أن يتظاهر بعبادة من عادى أحداً من إخوانه بغير حق قياماً بواجب حقوقهم ، فلا يجوز له عداوته بالباطل إلا أن كان من أهل الكشف وكشف له من شقاوته بالآخرة والعياذ بالله تعالى ، وعدم مصافاة ومصالحة من وقع في فساد وأخرج من التكية وعدم العزومة عليه بالأكل أو الجلوس معه إذا دخل التكية لصلاةٍ أو غيرها .

٨ . ومن شأنه ترغيب إخوانه وتشويقهم في ذكر الله ومتابعة أورادهم وعدم الغفلة .

٩ . الامتناع عن غيبة من دخل التكية بنية ثم خرج منه بفساد النية وذكر واقعته لكل داخلٍ وخارج وربما قطعوا في عرضه على سبيل الغيبة والتشفي منه فيعودون أفسق منه وأسوأ حالاً وربما يبتلون عن قريب بما ابتلي هو به .

١٠ . ومن شأنه أن يراقب قلبه من جهة إخوانه فمهما رأى عنده تغيير وتشويش من أحد من المسلمين فليرجع على نفسه باللوم وليسع في إزالة ذلك من قلبه ويقدم العذر لأخيه فيما وقع معه قياماً بواجب حق الإخوة .

قال أبو بكر الكتاني رحمه الله : صحبت رجلاً وكان على قلبي ثقيلاً فوهبت له شيئان بنية

أن يزول ثقله من قلبي فلم يزل فخلوتُ به يوماً وقلت له ضع رجلك على خدي فأبى فقلت له لابد من ذلك فزال ما كنت أجده في باطني .

آداب المريد في حضور الطعام

يقول حضرة شيخنا رحمته الله : إن كل ما يستعان به على العبادة فهو عبادة . وورد : إن نوم العارف عبادة ونفسه تسبيح . فتناول الطعام أصل كبير يحتاج إلى علوم كثيرة لاشتماله على المصالح الدينية والدنيوية وتعلق أثره بالقلب وبالقلب وبه قوام البدن بإجراء سنة الله تعالى بذلك ، والقلب مركب القلب وبهما عمارة الدنيا والآخرة . والقلب بمفرده على طبيعة الحيوانات يستعان به على عمارة الدنيا ، والروح والقلب على طبيعة الملائكة يستعان بهما على عمارة الآخرة وباجتماعهما صلحاً لعمارة الدارين والله تعالى ركب الآدمي بلطيف حكمته من اخص جواهر الجسمانيات والروحانيات .

آداب الطعام

- ١ . غسل اليدين قبل الطعام . قال صلوات الله عليه : ﴿ الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر ﴾ . لأن في ذلك استقبال النعمة بالأدب .
- ٢ . أن يُسمى بالله تعالى على طعامه لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ ^(٢٥٩) . فأن نسي أن يقول في أوله فليقل بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ في أوله وآخره ، كي لا يبقى للشيطان من نصيب ويقول في نهاية الأكل أو الشرب الحمد لله .
- ٣ . حضور القلب في الطعام وكان أحدهم يقول : (أنا آكل واصلي) . ويشير إلى حضور القلب في الطعام .
- ٤ . أن يبدأ بالملح وينتهي به منه ، وأنه صلوات الله عليه قال للإمام علي عليه السلام : ﴿ يا علي أبدأ طعامك بالملح واختم بالملح فإن الملح شفاء من سبعين داء منها الجذام والجنون والبرص ، ووجع

البطن ووجع الأضراس ﴿٥﴾ .

٥ . يستحب الاجتماع على الطعام وهو سنة الصوفية في التكية إذ قال ﷺ : ﴿ من أحب الطعام إلى الله ما تكاثرت عليه الأيدي ﴾ .

٦ . يُستحب الأكل على السفر وليس في الأواني الضيقة .

٧ . تصغير اللقمة وإجادتها بالمضغ .

٨ . ينظر بين يديه ولا يطالع وجوه الآكلين .

٩ . يقعد على رجله اليسرى وينصب اليمنى .

١٠ . لا يبدأ بالطعام حتى يبدأ من هو أكبر منه سناً أو ارفع علماً .

١١ . قال ﷺ : ﴿ ليأكل أحدكم بيمينه وليشرب بيمينه وليأخذ بيمينه وليعطي بيمينه فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله ويأخذ بشماله ويعطي بشماله ﴾ .

١٢ . أن لا يأكل من ذروة الأكل . قال ﷺ : ﴿ إذا وضع الطعام فخذوا من حاشيته وذروا وسطه فإن البركة تنزل في وسطه ﴾ .

١٣ . ولا الطعام ، روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط . أن اشتهاه أكله والا تركه .

١٤ . وإذا سقطت اللقمة يأكلها . قال ﷺ : ﴿ إذا سقطت لقمة أحدكم فليمتط عنها الأذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان ﴾ .

١٥ . ويلعق أصابعه فقد روى جابر عن النبي ﷺ : ﴿ إذا أكل أحدكم الطعام فليمتص أصابعه ، فإنه لا يدري في أي طعامه يكون البركة ﴾ .

١٦ . أمر ﷺ بلحس القصعة ونهى عن النفخ بالطعام إذ قال : ﴿ النفخ بالطعام يُذهب البركة ﴾ .

١٧ . ولا يتنفس في إناء إذا شرب بل يُبعد الإناء ثم يتنفس ويعود إلى الشرب .

١٨ . الخل والبقل على السفرة من السنة . دخل رسول الله ﷺ على عائشة رضي الله عنها فقال :

﴿ هل من غداء ﴾ ؟ فقالت : عندنا خبز وتمر وخل . فقال ﷺ : ﴿ نعم الأدم الخل ، اللهم بارك في الخل فإنه كان أدام الأنبياء قبلي ، ولم يفقر بيت فيه خل ﴾ .

- ١٩ . ولا يصمت على الطعام فإنه سيرة الأعاجم .
- ٢٠ . ولا يقطع اللحم والخبز بالسكين ففيه نهي ولا يكف يده على الطعام حتى يفرغ الجمع . قال ﷺ : ﴿ إذا وضعت المائدة فلا يقوم رجل حتى ترفع المائدة ولا يرفع يده وإن شبع حتى يفرغ القوم ﴾ .
- ٢١ . أن لا يأكل إلا بعد جوع ويُمسك بالطعام قبل الشبع . قال ﷺ : ﴿ ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ﴾ .
- ٢٢ . أن يلقم الخادم من الطعام إذا لم يجلس مع القوم لأنه سنة . قال ﷺ : ﴿ إذا جاء أحدكم خادمه بطعام فإن لم يجلس معه فليتناوله أكلة أو أكلتين فإنه ولي حره ودخانه ﴾ .
- ٢٣ . وبعد الفراغ من الطعام يقول : الحمد لله الذي أطعنا وسقانا وجعلنا مسلمين .
- ٢٤ . غسل اليدين بعد الفراغ من الطعام . قال ﷺ : ﴿ من بات وفي يده غمر لم يغسل فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه ﴾ .
- ٢٥ . يُستحب مسح العين ببلل اليد . قال ﷺ : ﴿ إذا توضأتم فاشربوا أعينكم الماء ولا تنتفضوا أيديكم فإنها مراوح الشيطان ﴾ . قيل لأبي هريرة في الوضوء وغيره ؟ قال : نعم في الوضوء وغيره .
- ٢٦ . أن لا يستحقر ما يُقدم له من طعام فأن خير الطعام ما ليس فيه تكلف ويكره أكل المباهاة والتكلف للأعراس والتعازي .
- ٢٧ . الأكل مع الإخوان أفضل من الأكل مع العيال .

فوائد

- ١ . لا يجوز للمريد الأكل في المطاعم أو عند أصحاب الباعة المتجولين للطعام بكافة أنواعه إن لم تكن ضرورة ملحة .
- ٢ . لا يجلس في المقاهي أو يشرب أو يأكل فيها فأنها موضع الشبهات .
- ٣ . لا يأكل ولا يشرب واقفاً .
- ٤ . لا يجوز شرب المشروبات عند بائعيها في الشارع أو في أماكن أخرى إلا حسب الضرورة .

نوم المريد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

فإذا أردت النوم فابسط فراشك مستقبلاً القبلة ونم على يمينك كما يضجع الميت في لحده ، واعلم أن النوم مثل الموت واليقظة مثل البعث ، ولعل الله تعالى يقبض روحك في ليلتك ، فكن مستعداً للقائه ، وتذكر أنك ستضجع باللحد كذلك وحيداً فريداً ليس معك إلا عملك ولا تجزى إلا بسعيك . فإن النوم تعطيل الحياة إلا إذا كانت يقظتك وبالأعلى عليك فنومك سلامة لدينك وعليك مراعاة ما يلي :

آداب المريد في النوم

- ١ . أن تنام على طهارة كاملة من وضوء وسواك .
- ٢ . أن تنام تائباً من جميع الذنوب مستغفراً عازماً أن لا تعود إلى معصية .
- ٣ . لا تستجلب النوم تكلفاً بل تم على غلبة .
- ٤ . وعليك أن لا تنام على الفرش الوثيرة والأغطية الثقيلة حال أهل الدنيا . بل يكون فراشك بسيطاً قريباً من صلابة الأرض وان يكون حلالاً ليس فيه شبهة فأن حكمة حكم الطعام اللباس .
- ٥ . عليك أن تودع الدنيا وتعفو عمن ظلمك ولا تنم حاقداً أو حاسداً أو متحسراً . وتنم بقلب سليم وتذكر أن الدنيا فانية وعسى أن تكون نومتك هذه أول رحلة من رحلات الآخرة .
- ٦ . لا تأكل ولا تشرب قبل النوم مباشرة فأنها تُثقل القيام .
- ٧ . أن تنام وأنت في أسلوب الرابطة مع الشيخ كي يكون أنيسك القلبي في سفر النوم ، وهذه من أقوى الآداب للمريد وتحتني ثمارها في وقتها .
- ٨ . فلا يكون نومك في اليوم الواحد أكثر من ست ساعات كي لا يضيع عمرك هباءً .

- ٩ . انوي القيام جزءاً من الليل الأخير أو على القيام قبل الصبح : ركعتان في جوف الليل كنز من كنوز البر فاستكثر من كنوزك ليوم فقرك .
- ١٠ . أن تنام مشغولاً بذكر الله ﷻ وعلى طهارة تامة فمن فعل ذلك عرج بروحه إلى العرش وكتب مصلياً إلى أن يستيقظ .
- ١١ . إن استيقظ خلال نومه عليه أن ينهض ويعيد وضوءه وينام كي لا ينام إلا على طهارة .

آداب الاستيقاظ :

- ١ . اجتهد أن تستيقظ قبل طلوع الفجر وليكن أو ما يجري على لسانك وقلبك ذكر الله تعالى فقل عند ذلك : (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما اماتنا وإليه النشور) .
- ٢ . إذا استيقظت إياك أن تسوف في النهوض فأن التسويف أداة إبليس ليأخذك رويدا حتى طلوع الشمس .
- ٣ . انفض والبس ثيابك وأنو امتثال أمر الله تعالى في ستر عورتك واقصد بيت الماء استعداداً للطهارة والصلاة .

آداب المجلس والجلوس وآداب الطريق

- قال ﷺ : ﴿ ما من قوم يقومون من مجلسٍ لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان لهم حسرة ﴾ .
- ١ . أن يختار المرید المجلس الصالح فإنه كبائع المسك وان يبتعد عن جليس السوء فهو كنافخ الكير .
- قال شيخنا ﷺ : إن الماء في القدر يتلون بلون القدر فإن كان القدر مصنوعاً من زجاج ابيض فالماء يظهر لونه ابيض ، وإن كان الزجاج أحمر فإن الماء يبدو أحمر وكذلك هما جليس السوء والجليس الصالح .

- ٢ . أن يكون المجلس مخصصاً لذكر الله والصلاة على النبي ﷺ والاستماع والتعلم والإقلاع عن الدنيا وما شابه ذلك . لا تمازح لبيباً فيحقد عليك أو غير لبيبٍ فيتجراً عليك .
- ٣ . إذا دخلت المجلس فالآداب فيه البداية بالتسليم وترك التخطي لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث يكون اقرب إلى التواضع وان تحيي بالسلام من قرب منك عند الجلوس .
- ٤ . إذا جلست فلا تستوفز وتحقق من تشبيك أصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك وتحليل أسنانك وإدخال إصبعك في انفك وكثرة بصاقتك وتنخمك وكثرة التمطي في وجوه الناس وليكن مجلسك هادئاً وحديثك منظوماً مرتباً .
- ٥ . أن المرید إذا قام له رجل من مجلسه لم يجلس فيه ولا يجلس بين رجلين إلا باذنهما وان لا تجلس وسط الحلقة .
- ٦ . من بلي بمجلس بمزاح أو لغطٍ فليذكر الله عند قيامه .
- قال ﷺ : ﴿ من جلس في مجلسٍ فيه فكثُر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك ... إلا عُفِر له ما كان في مجلسه ذلك ﴾ .
- ٧ . أصغ إلى الكلام الحسن ممن حدّثك من غير إظهار تعجب مفرط ولا تسأله إعاداته واسكت عن المضاحك ولا تُحدّث عن إعجابك بشيء يخصك ، وإذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك . وتجنب عجلتك وتفكر في حجتك ولا تكثر الإشارة بيدك ولا تكثر الالتفات إلى ورائك وإذا هدأ غيظك فتكلم .
- ٨ . لا تجلس على الطريق ، فإن جلست فأدبه : غض البصر ، ونصرة المظلوم ، وإغاثة الملهوف ، وعون الضعيف ، وإرشاد الضال ، ورد السلام ، وإعطاء السائل ، والارتياح لموضع البصاق ولا تبصق في جهة القبلة .
- ٩ . ومن آداب الطريق أيضاً : إفشاء السلام ولقاء الصديق والعدو بوجه الرضا والتوقر من غير تكبر والتواضع من غير مذلة والقصد في المشي وخفض الصوت وعدم النظر في عطفك وأن لا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات .

آداب المريد في اللباس

- ١ . يجب أن يكون اللباس من وجه حلال لأنه ورد في الخبر أن الرسول ﷺ قال : ﴿ من اشترى ثوباً بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم من حرام لا يقبل الله له صرفاً ولا عدلاً ﴾ . أي لا فريضة ولا نافلة .
- ٢ . يجب أن يكون الثوب طاهراً : لان طهارة الثوب شرط في صحة الصلاة .
- ٣ . إذا حدث وشق ثوبه فعليه باخاطته أو رقعته ولبسه مرة أخرى ولا يسمح له برمييه أو تبديله . فأن في ذلك إسراف وتبذير إذ كان السلف قسم يستأجرون الثياب .
- ٤ . الإقلاع قدر الامكان عن لبس الناعم ولبس الخشن من الثياب هو الأحب والأولى والأسلم للعبد والأبعد من الآفات فقد روي عن رسول الله ﷺ إنه قال : ﴿ تَوَرَّوا قُلُوبَكُمْ بلباس الصوف فإنه مذلة في الدنيا ونور في الآخرة ﴾ .
- ٥ . على المريد أن يعلم أن الله عزير وأعزنا بالإسلام لا بالثياب لقوله : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٦٠) .

طهارة فيما يحدث في البدن من الأجزاء :

- ١ . شعر الرأس : لا بأس بحلقه لمن أراد التنظيف ولا بأس بتركه لمن يدهنه ويرجله .
 - ٢ . شعر الشارب : يندب قص ما طال عن الشفة منه ولا بأس بترك السبالين .
 - ٣ . شعر الإبط : تستحب إزالته كل أربعين يوماً فأقل .
 - ٤ . شعر العانة : تستحب إزالته بالحلق أو بالنورة في المدة المقدمة .
 - ٥ . الأظافر : تقليمها مستحب لشناعة صورتها إذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ .
- تشميت العاطس :
- قال ﷺ في العاطس : ﴿ يقول الحمد لله على كل حال ، ويقول الذي شتمته يرحمكم الله ويرد عليه العاطس فيقول : يهديكم الله ويصلح بالكم ﴾ . ويستحب إذا عطس أن يغض صوته ويخمر وجهه وإذا تئأب أن يضع يده على فمه .

أعلام التصوف في القرن الحالي أو المعاصرون

الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان قدس سره (محيي الطريقة القادرية)

نسبه :

تنتمي أسرة الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان قدس سره إلى الروضة العلية المحمدية ويرتفع نسبه الأعلى إلى الإمام زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم . وقد هاجر أجداده إلى الشمال الأقصى من بلاد الإسلام في موجات الهجرة التي جاءت بعد الاضطهاد الذي لاقته هذه العائلة الشريفة ، فاختارت المناطق النائية من الدولة الإسلامية ، وكانت لهذه الهجرة ادوار كبيرة في حياة الناس والمسلمين .

حيث قادت الأمة الإسلامية قيادة روحية وخدمت الدين بكل وسيلة ، وقد كان من بين هؤلاء السادة الذين تركوا الجزيرة العربية وهاجروا إلى أرض الله الواسعة السيد أبو يوسف الذي لقب بالهمداني لأنه استقر في مدينة همدان ، وكان رجلاً عالماً متصوفاً ، زاهداً وفقيحاً تقياً في الشريعة الغراء ، اشتهر أبو يوسف بتقواه والتف حوله آلاف من الناس يتلقون العلوم الدينية والتصوف على يده . وكان له ابن اسمه السيد بابا علي الهمداني ، وكان السيد بابا علي ولدان السيدان موسى وعيسى ، اللذان انتقلا إلى شمال العراق وسكنا في قرية برزنجية بمحافظة السليمانية ولقبا بالبرزنجي نسبة إلى القرية المذكورة وقد توفي السيد موسى بدون أن يترك ذرية ، وبقي السيد عيسى البرزنجي الذي ينتسب إليه جميع السادة البرزنجية بفروعهم المنتشرة وبضمنهم العائلة الكسنزانية موضوع البحث .

وان اشهر رجال هذه العائلة من المتصوفين هو السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزان الملقب (بشاه الكسنزان) محيي الطريقة القادرية . لقد قدمت أسرته خدمات عظيمة لمآثر التصوف والزهد حتى أصبحت شعلة متقدة تضيء الطريق أمام السالكين والمحبين وانتفع بها خلق غفير .

مولده

ولد السيد الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان في عام ١٢٣٥ هـ الموافق ١٨١٥ م في قرية كسنزان التابعة لناحية قره داغ في محافظة السليمانية ، وكان والده الشيخ حسين رجلاً صوفياً

زاهداً ، وكان السيد الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان مولعاً بالتصوف وذا خلقٍ عظيم . يحب الفقراء ويعطف عليهم ويقوم على خدمتهم ، وكان محبوباً لدى الناس الكل يحبه ويحترمه تزوج من إحدى قريباته وأنجبت له طفلين ، كان في بداية عهده يذهب كل يوم إلى الصيد في الجبل ، فأتاح له تواجده في الطبيعة بين الجبال العظيمة فرصة التفكير بعظمة الخالق ، حيث ينفرد مع خالقه على القمم الشاخنة ويرى نفسه صغيراً فوق كبير والكبير الحق فوق كل عظيم ، فكلما صعد إلى قمة جبل كان يرى نفسه مبتعداً عن الدنيا وأهلها ويعرج منها إلى الفضاء .

هكذا كانت بداية رحلته نحو السمو الروحي من حيث يعلم ومن حيث لا يعلم .

بدايته بالتصوف

كان يخشى من حدوث طارق ما لشدة حبه للاعتكاف في الجبل ولطول فترات مكوثه فيه ، وتمر الأيام ويحدث ما كان يخشى ويتوقع ، لقد رأى في أحد الأيام غزالاً فتحرك نحوه ليصطاده وما زال يتقرب منه حتى أصبح على مقربة كبيرة والغزال ثابت لا يتحرك ، وليس بينهما حاجز فأوجس في نفسه خيفة وارتعد لأن الأمر لم يكن مألوفاً لديه وإذا بالغزال يتقرب منه ويكلمه بلسان الحال ويقول له : (ما خلقت للصيد أيها الصياد) . وانصرف الغزال عنه .

وعاد إلى بيته وقد حلّ به ما حل فحاول كتمان أمره كي لا يُتهم بالجنون ، وأحبّ أن لا يُفشي لأحد فسافر في اليوم التالي إلى خاله الشيخ عبد القادر قازان قايه الذي كان آنذاك شيخاً للطريقة القادرية ، ولما استقر به المجلس ، واقترب منه أحد الدراويش من ذوي الأحوال وهمس في أذنه جاء دورك ... بدأ دورك ، فأشعره بأمر اطمأن له قلبه وكتمه في نفسه ، ولما أعاد الشيخ عبد القادر حكاية الغزال أخذته الدهشة والاستغراب ، فتبسم خاله الشيخ وقال : (خذ بالإشارة يا ولدي) ، وكان ذلك إيذاناً بأخذ العهد على يد خاله ثم التجأ إلى جبل (سركرمة) إلى كهف في وسط غابة في قمة ذلك الجبل يعتكف فيه لعبادة الله ، ولم يكن ذلك المكان آنذاك يصله أي إنسان إلا نادراً لوعورة مسالكه ، وانقطع عن الناس فيه ، أما أهله فقد فتشوا عنه في كل مكان ولم يجدوا له خبراً وأقروا أخيراً بأن الحيوانات المفترسة لا بد أن تكون قد فتكت به فأقاموا له مجلس الفاتحة وانتهى كل شيء . وهكذا بقي أمره غير معروف ومنذ ذلك الحين اشتهر

بلقب كسنزان . علماً بأن معنى كسنزان باللغة العربية (لا أحد يدري) . استمر على التبعيد والمجاهدة في الكهف لمدة سنتين وكان غذاؤه خلالها ورق الثبات وقطع الطين ، وانفرد لمناجاة ربه جل وعلا حتى فتح له ما فتح للعارفين الكاملين قُدرت أسرارهم ، فأعاده الله تعالى إلى الخلق كي يأخذ بأيديهم إلى طريق الحق والهداية وذلك بعد أن رآه أحد أخوته في المنام وهو يخبره عن مكان وجوده في الكهف المعين في قمة الجبل ولما استيقظ أخوه ذهب مع إخوته وعدد من أهالي القرية إلى الكهف الذي أخبر عنه في المنام فوجدوه نائماً على التراب ، فانهمرت منهم دموع الفرح بلقائه وانكر بعضهم عليه حالته وقالوا له : هل أنت مجنون ؟ ما هذه الحالة التي أنت فيها ؟ فيجيبهم بهدوء العارف المحقق إنما أنا في خدمة الباري ﷻ . ثم نقلوه إلى بيته وبعدها جاء إلى قرية كربجنة حيث قام فيها وبني الجامع الكبير الذي يعتبر الآن من الأماكن الأثرية من حيث البناء والتصميم وجلس على سجادة المشيخة بأجازه الشيخ عبد القادر قازان قايه .

صفاته

كان السيد الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان رحمته الله رجلاً تقياً متصوفاً كثير الزهد والورع ، وكانت سيرته جهاداً دائماً للنفس وتجريداً للجسد من جميع الصفات المذمومة والتمسك الشديد بسنة الرسول الأعظم صلوات الله عليه فخطى رحمته الله خطوات الأولياء الكبار ممن سبقوه ، فاتخذ المجاهدة بكل وسيلة وأمر مريديه أن ينهجوا نهجه الشريف في المجاهدة والتطهير والصفاء حتى يصبح الواحد منهم كومة من تراب يطأ عليها البر والفاجر وهي لا تنبت إلا الطيب وكان يكرر في قوله حديث الرسول صلوات الله عليه : ﴿ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ﴾ ، ﴿ المؤمن من آمن المؤمنون من لسانه ويده ﴾ . ذلك الهدف الإنساني لدى هذا الصوفي لذاته هو أن لا يبقى من أمانه الناس على أنفسهم وأعراضهم في جسد الدرويش سوى العقل والروح .

مواظله

من مواظله رحمته الله : اعلم يا ولدي إن الدنيا خيال وما فيها إلى زوال ، هم أبناء الدنيا

دنياهم ، وهم أبناء الآخرة آخرتهم ، إياك والدعوى الكاذبة ، ما أكلت تفنيه ، وما لبست تبليه ، وما عملت من خير أو شر تلاقيه .

ومن أقواله : اعلم يا ولدي أن التوجه إلى الله حتماً مقضياً وفراقاً للأحبة ، والدنيا أولها ضعف وفتور وآخرها موت وقبور ، لو بقيت ساكنة ما خربت مساكنها ، فاربط قلبك بالله واعرض عما سواه واجعل سلوكك في طريق الفقراء واستقم على قدم الشريعة واحفظ نيتك من دنية الوسوس وامسك قلبك ولا تأكل لحماً طرياً وعسلاً من غير باب الله ، تمسك يا ولدي بسبب لمعيشتك بطريق الشرع من كسب حلال .

ومن أقواله أيضاً : إياك من كسر قلوب الفقراء ، صل الرحم وأكرم الاقربين ، اعف عمن ظلمك وتواضع لمن تكبر عليك واعلم بأن الله عزيز ذو انتقام .

وكان يقول رحمته الله : يا ولدي لا تتردد على أبواب الملوك والحكام ، وأكثر من زيارة الفقراء ومصاحبتهم ، وأكثر من زيارة القبور ، وبادر لخدمة الأرامل وقم بقضاء حوائج الأيتام وأكرمهم ، فأكثر من زيارة المتروكين من الفقراء ، يا ولدي إذا خالطت الناس فتخير صحبة الصالحين فالمرء على دين خليله .

التصوف عنده

لقد كان رحمته الله من أشد الداعين إلى التمسك بالكتاب والسنة وإتباع الحق فهو يقول : من لم يزن أقواله وأفعاله وأحواله بالكتاب والسنة ومن لم يتهم خواطره لم يثبت عندنا في ديوان الرجال .

كراماته

* بينما كان السيد الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان جالساً في أحد مجالس التصوف ذات يوم ، رأى أحد الطيور الجارحة وهو يهاجم عصفوراً صغيراً ليأكله ، فرفع الشيخ يده وقال للعصفور : تعال أحميك منه ، وإذا بالعصور يلقي بنفسه في يد الشيخ رحمته الله .

* وكان أحد أتباعه درويشاً زاهداً ، إذ طلب مرة من حضرة الشيخ أن يرى الرسول صلوات الله عليه وآله

في المنام لأنه كان في غاية التشوق لرؤيته ، فقال له الشيخ : إن الوصول إلى حضرة الرسول ﷺ ليس بالأمر اليسير ، فاذهب إلى كهف كذا في جبل كذا . فلما دخل الدرويش الكهف رآه مليئاً بالذهب وبالأشياء الثمينة . فقال له الشيخ : إني اعلم بأنك رجل فقير الحال ، خذ من الذهب ما تصبح به غنياً وتنجو من الفقر الذي أنت فيه فهذا مال الله .

فقال الدرويش : إني اشتغلت بمجاهدة نفسي مدة عشرين سنة ولن أبدل الآخرة بالدنيا وإني راض لفقرتي ولا اطلب الغنى .

فقال له الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان قدس سره : نجحت في الامتحان ، نم هذه الليلة فستشرف بحضور سيد الكائنات ﷺ . فنام الدرويش وإذا بحضرة الرسول الأعظم ﷺ يُشرف الدرويش بحضوره ويقول له : ﴿ أدن مني .. لقد انتخبك ابني عبد الكريم لتحظى برؤيتي ﴾ .

* ولما كان القحط قد وقع في سنة من السنين وكان الناس يموتون جوعاً ذهب الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان إلى قرية مجاورة ليشتري حاجته من الشعير وكان معه ابن أخته فقال له : يا خالي لا شك انك من أقطاب دهرك ، فلم لا تطلب من الله أن يغنيننا ويعطينا مالاً في هذه السنة التي يموت فيها الناس من الجوع ؟ فلما سمع الشيخ كلامه أشار بعصاه إلى حجر كبير في الطريق فأنشق الحجر وخرجت منه مجموعة من الليرات الذهبية فقال ابن أخته كفانا يا خالي لقد أصبحنا أغنياء عندئذ ضحك الشيخ وأشار ثانية إلى الحجر فاخفتت بداخله الليرات الذهبية وقال يا بني تكفيننا حقه من الشعير أما الذهب فإنه لأهله وطلابه .

• كان عند الشيخ خادم يخدمه وذات ليلة ذهب الشيخ بعد منتصف الليل إلى الجبل للتعبد وذهب الخادم إليه فرأى الشيخ يصلي والقرب منه حجر كبير يصلي معه فجلس الخادم بالقرب منه وإذا بطائر مثل الحمامة يهبط ببطء أمامه يتكلم بلغة لم يفهمها ، فمسح الشيخ عبد الكريم رأس الطير بيده وأجابه بلغته ، ولما رأى الشيخ خادمه جالساً بجواره قال له لا تفش هذا السر إلا من بعد موتي .

• حكى عن رجل انه قال كنت مصاباً بتشمع الكبد سنة (١٩٦٧ م) فراجعت الأطباء مدة طويلة ولكن دون جدوى وكان والدي أحد مُريدي الشيخ عبد الكريم الكسنزان قد بلغ من

العمر ما يزيد على الثمانين وهو رجل متصوف قال لي يوماً يا ولدي اطلب الاستمداد من روح الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان واقراً له سورة الفاتحة هدية لروحه الطاهرة ففعلت ما أمرني به والدي ونمت في تلك الليلة فرأيت رجلاً يقول لي لم ناديتني يا بني ؟ قلت له من أنت ؟ قال لي أنا الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان ثم مسح بيده على بطني وقال لي قم معافي مشافى بإذن الله فاستيقظت من النوم ولم يبقَ بي من أثر المرض الخطير شيء .

تكايه

كانت للشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان تكايا كثيرة وخلفاء عديدون داخل العراق وخارجه ولا تزال منتشرة تقوم بواجبها حسب توجيه شيخ الطريقة بالإرشاد والأذكار وغيرها من الأمور الروحية .

وفاته :

توفي الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان رحمته الله سنة ١٣١٧ هـ ، ودفن بجانب المسجد الذي بناه في حياته في قرية كربجنة وضريحه الآن مزار للمريدين .

لقد انتقل قطب أقطاب دهره إلى الدار الآخرة بعد أن سلم المشيخة إلى أبنه السيد الشيخ عبد القادر الكسنزان بعد عمر مديد قضاه في خدمة الباري وطالبي طريقه . وقد اعترف بفضله الناس أجمعين وبضمنهم الشيخ كاكا أحمد . فعندما عاد حضرة الشيخ كاكا أحمد من الحج جاء لزيارة الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان للسلام عليه في قرية كربجنة فاستقبله الشيخ عبد الكريم مع حشد غفير من المريدين وقبل انتهاء الزيارة وجّه الشيخ كاكا أحمد خطاباً إلى حشد المريدين في مأثر السيد الشيخ عبد الكريم وقال لهم : إن من لم يمكنه حاله من الذهاب إلى بغداد لزيارة حضرة الشيخ الغوث الأعظم عبد القادر الكيلاني رحمته الله فعليه بزيارة عمي الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان فإنه نائبه وأن زيارته هذه تفي بزيارة الغوث الأعظم .

الشيخ كاكا أحمد هو أحد السادة الأولياء المعروفين ومركده الآن في محافظة السليمانية يزار من قبل عدد كبير من الناس .

السيد الشيخ الغوث عبد القادر الكسنزاني قدس الله سره العزيز

صفاته

كان السيد الشيخ عبد القادر الكسنزان رحمته الله رجلاً زاهداً ومتصوفاً ورعاً في غاية التقوى منذ شبابه بحيث لم يشتغل بأمر من أمور الدنيا منذ صباه ، بل أثر عبادة الله وإرشاد خلقه قبل وفاة والده وبعدها .

وكان رحمته الله محباً للفقراء والمساكين حتى انه لما وقع قحط شديد في زمانه وكان الناس يموتون جوعاً كان يأخذ من قوت عائلته في منتصف كل ليلة ويوزعه على الجياع من الفقراء طيلة زمن القحط .

عداءه للكفار وجهاده

عاصر السيد الشيخ عبد القادر الكسنزان الحرب العالمية الأولى وكان رحمته الله من ألد أعداء الاحتلال البريطاني ضد الإنكليز في خطبه ومواعظه . كان كذلك بمثابة الشرارة التي أضرمت نار المقاومة المسلحة ضد الاحتلال حيث أعلن الجهاد بين المريدين بصورة خاصة وحث المسلمين عليه بصورة عامة ، وقد كان يناشد الناس في خطبه ومواعظه ويقول : (أيها المسلمون هلمّوا لمساعدة المجاهدين في الجنوب ، أخوتكم العرب فأن كل من حمل السلاح ضد الإنكليز أو قتل إنكليزياً أو ساعد المجاهدين بأمواله ولسانه فهو مسلم مجاهد ، شفاعته يوم القيامة واجبة وهو من أهل الجنة) .

وقد كان البريطانيون يعلمون أن لتحريض الشيخ عبد القادر الكسنزان وإعلانه الجهاد ضدهم بين المريدين تأثير كبير لأنه كان يلهب قلوب المسلمين ضد بريطانيا ، وهو الرجل الروحي المحبوب ذو الصوت المسموع والجانب المرهوب مما حدا بقائد الجيش البريطاني في شمال العراق أن يُصرح في مناسبات عديدة بأن الشيخ عبد القادر الكسنزان حجر عثرة أمام زحف بريطانيا ولذلك يجب عليهم الهجوم عليه بكل ما لديهم ومطاردته حيثما كان . وبعد أن سيطرت بريطانيا على شمال العراق قرروا الهجوم على السيد الشيخ عبد الكسنزان . فأمر ابنه السيد

الشيخ السلطان حسين بمهاجمة الجيش البريطاني المؤلف من ألف جندي بالقرب من قرية كرجبنة ، وبعد معركة حامية تم أسر من بقي من الجنود وظابطين مع كامل أسلحتهم وعتادهم ، ونظراً لتلك الضربة الموجهة التي وجهها لهم الشيخ السلطان حسين ثارت ثائرة بريطانيا فأرسلت قوة قوامها عشرين ألف جندي من البريطانيين والمرتزة المحليين ، فحاصروا قرية كرجبنة واحرقوها إلا أن السيد الشيخ عبد القادر الكسنزان كان قد ترك القرية مع أسرته والتجأ إلى الجبال .

لقد أحرق الإنكليز جميع ممتلكات الشيخ عبد القادر وأتباعه وأولاده وحاصروا جبل (سركومة) من كل الجهات لأجل القبض على الشيخ المجاهد ، ولكن هيهات ، هنا نلاحظ قوة معنويات الشيخ المجاهد رحمته الله .

ويروي عالم ديني كان قد اختبأ مع عائلته في كهف مع السيد الشيخ عبد القادر الكسنزان قال : لما بدأ الجيش البريطاني بتمشييط الجبل واقترب الجنود منا ونحن محتبئون في الكهف إذ بدأت طفلي بالبكاء فأخذت السكين لأذبحها . فقال الشيخ ماذا تفعل يا مَلا ؟

قلت : أذبح طفلي كي لا يسمع الكفار صوتها فتتكشف أنت فتقع في قبضة الإنكليز . فقال لي : يا مَلا أما قرأت الآية الكريمة عندما كان الرسول صلوات الله عليه وأبو بكر في الغار : ﴿ ثَانِيْ اٰتْنِيْ اِذْ هُمَا فِي الْغَارِ اِذْ يَقُوْلُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ اِنَّ اللّٰهَ مَعَنَا ﴾ ^(٢٦١) . إن هجرتنا تشبه هجرة الرسول صلوات الله عليه وإن الكهف الذي نحن فيه يشبه الغار الذي اختبأ فيه الرسول صلوات الله عليه ، وأن الكفار الذين يحيطون بنا ككفار قريش ، كن على يقين واعتقاد تام بأن الله يرعانا وينجيننا كما نجي الرسول صلوات الله عليه وأبا بكر من قبل .

وهكذا هاجر الشيخ المهاجر مع أسرته ليلاً إلى إيران وبقي هناك غازياً ومهاجراً وغريباً كما هاجر جده الأعظم صلوات الله عليه من قبل ، وفقى فيها رحمته الله غريباً ومهاجراً في خدمة الدين والتصوف حتى وافاه الأجل .

مواعظه

ومن مواعظه رحمته الله كان يقول أيها المريد البس ثوب التوبة قميصاً نقياً صافياً فمن لم يكن متشرعاً

متحققاً عفيفاً فإنه ليس من مُريدنا فعلى مُريدنا أن يكون ملازماً للشرعية والطريقة والزهد والورع وقلة الطمع .

وقال **إمامنا** : أن من كظم غيظه وعفى عمن ظلمه وآذاه رقه الله إلى مراقي الرجال .

وقال **إمامنا** : إذا أردتم أن تغتابوا أحداً فاغتابوا والديكم فأنها أحق بحسناتكم من غيرهم .

وقال أيضاً : والدعاوى الكاذبة فأنها تسود الوجوه وتعمي البصر ، إياكم أن يدعي أحدكم أنه من الصالحين وهو يقع في الأفعال الرديئة ويأكل من طعام أهل الرشاوى والربا والظلم وأعوانهم إذ لا يكون من الصالحين من يقع في الكذب والغيبة والوقيعه بين الناس في أعراضهم ، وكيف يطلب أن يكون عند الله صادقاً وهو يقع في المتاهات إياك وادعاء المشيخة وأنت تعصي ربك ، فإن الله سيقول لك أما تستحي من دعوة القرب مني وأنت لم تغسل ثيابك المندسة لمجالستي أنت تملأ بطنك من الحرام وتنقل أقدامك إلى الآثام وأنت مدعٍ كاذب .

ورعه

وكان من ورع الشيخ عبد القادر **إمامنا** عندما سكن في إيران في تعود قرية ملكيتها لعائلة فقيرة وقد اغتصبها أحد الإقطاعيين أنه حرم على نفسه حتى الماء من تلك القرية أو استعماله لأي من حاجياته اليومية واكتفى بماء يذاب من الثلج طيلة السنين التي عاشها فيها ، لأنه اعتبر ماء القرية حراماً مغتصباً من صاحبه الشرعي .

كراماته

كان للشيخ عبد القادر الكسنزان **إمامنا** كرامات كثيرة ومشهورة :

• كان أحد الإقطاعيين الظالمين قد اعتدى على رجل من آل بيت الرسول **صلوات الله عليه** ذهب السيد المعتدى عليه إلى الشيخ واشتكى له ظلم الظالم فقال له الشيخ الجليل : مهلاً إن الله يمهّل ولا يهمل وإن الله بالمرصاد لكل الظالمين ستبقى أنت عندنا وسنوصل الشكوى إلى جدنا سيد المرسلين **صلوات الله عليه** وبعد فترة قصيرة بدّل الله جميع مظاهر جسد الظالم إلى جسد امرأة وقد برزت عليه أئدية وتغير صوته وملامح وجهه وقد حاول الرجل معالجة نفسه بشتى الوسائل دون جدوى وأخيراً لم يبق له سوى الالتجاء إلى السيد الشيخ عبد القادر الكسنزاني فجاءه يبكي ويتوسل إليه ويقول هذه ضربة منك يا شيخ عبد القادر لأنني كنت معتدياً على ذلك الرجل ولم يزل يتوسل

إليه حتى قال له الشيخ رحمه الله تب إلى الله توبة صادقة لا رجعة بعدها إلى الظلم فإن الله غفور رحيم ، فتاب توبةً نصوحاً عادت بعدها إليه حالته الطبيعية .

• ومن كراماته أيضاً إن إقطاعياً ظالماً كان قد سلب بقرة من رجل فقير ، فذهب الفقير إلى الشيخ واشتكى فطلب الشيخ من الظالم أن يرد البقرة للرجل ولكن الظالم أبى ، وقال له لا أستطيع رد أموال مثل هؤلاء الذين هم مثل العبيد لنا بالنسبة لنا ، فلما سمع الشيخ كلام الظالم أنكره واحمر محياه من الغضب وقال له أيها الظالم أن الناس سواسية كأسنان المشط لا فرق بين رئيس ومرؤوس لا غني ولا فقير إلا بالتقوى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ ﴾ (٢٦٢) . أما أنت أيها الظالم فلن يصلح حالك حتى يطلع القرن من رأسك وتأكل من فضلات الكلاب ، اذهب والله المنتقم ، ولم تمض فترة طويلة حتى مرض الظالم وظهر على رأسه قرنان كقرون الحيوانات ودُمل رأسه وتعفن من القيح فندم على ما فعل واستغاث قائلاً احملوني إلى السيد الشيخ عبد القادر الكسنزاني إن هي إلا ضربةً منه ، ولما جيء به إلى الشيخ صار يبكي ويتوسل ويقول يا ابن رسول الله عاجني ، فقال له الشيخ تب توبةً لا رجعة بعدها وعاهد الله أن ترد المظالم فستعود مشافى بأذن الله وبعد توبته على يد الشيخ وتعهد بترك الظلم طيلة حياته أصبح مشافى ومعافى .

• رأى أحد الروسيين في جمهوريات الاتحاد السوفيتي حضرة الشيخ عبد القادر الكسنزاني في المنام فحصل لديه الجذب الروحي من قبل حضرة الشيخ فنهض متوجهاً إلى العراق وكان يرى في ريقه إشارات نورانية تهديه إلى الطريق حتى وصل إلى السلিমانيّة فألقي القبض عليه من قبل جماعات الشيخ محمود الحفيد واتهم بالتجسس وحكم عليه بالإعدام وقبل تنفيذ الحكم به رأى الشيخ محمود الحفيد حضرة الشيخ عبد القادر الكسنزاني في المنام فأمره بإطلاق سراحه لكونه أحد المريدين المنجذبين إلى حضرته فأطلق سراحه وأرسل معه رجلين من أتباعه فلما وصل إلى الشيخ قادر اسلم وتاب على يديه فسماه الشيخ قادر سيف الله وأمر بتعليمه أمور الدين والطريقة ولا تزال ذرياته باقية في السلیمانيّة وسجل اسمه في دائرة النفوس باسم سيف الله الشيخ قادر .

• بينما كان الشيخ عبد القادر الكسنزاني ماشياً رأى في طريقه عصفوراً ميتاً وكان معه عدد من مُريديه وأتباعه فأمر أحد مُريديه بجلب ذلك العصفور إليه فلما جيء به إلى حضرته قال هذا ليس بميت وإنما نسي تسايحه فهمس في أذنه ثم نفخ عليه فطار العصفور

• بينما كان أحد الفلاحين عائداً بثيرانه من الحقل بعد انتهاء العمل خرج أحد الثيران من الطريق وتوجه إلى مكان تواجد حضرة الشيخ قادر فلبث فترة مطرقاً رأسه ثم رفعه شاكياً صاحبه بلسان الحال فلما تبعه صاحبه قال الشيخ قادر : إن ثورك هذا يشكو من انك تحمله أكثر من طاقته فأرأف به ، هكذا يجب أن يكون شيخ الطريقة قدوةً في الرحمة والشفقة والرأفة بالحيوان الذي لا حول له أمام الإنسان .

• حين أشدت الخلاف بين سكان مدينة مريوان وعشيرة الهواريين أرسل الشيخ عبد القادر الكسنزان ولده الشيخ عبد الكريم الكسنزاني للإصلاح بينهما وكان شاباً في ذلك الوقت وأثناء جلوس الطرفين للتفاهم والمناقشة حول السبل التي تحقق السلام بينهم اشتد الخلاف بينهما مرةً أخرى واستأنف القتال والتجأ كل طرف إلى سلاحه وحاول إطلاق النار فوجدوا إن بنادقهم لا تعمل فعجبوا من ذلك وعلموا أنها من كرامات الشيخ فأقبلوا يقبلون يد الشيخ عبد الكريم ويطلبون السماح والعفو منه وتم الإصلاح بينهم فأصبحوا إخواناً .

• مما ذكر عن كراماته إن رجلاً متكبراً كان يناصر العداء لمريد فقير كثير الذكر لله وما كان يقول إن هذا المريد ينبح مثل الكلب ، فلما سمع السيد الشيخ عبد القادر الكسنزان هذا الكلام قال : اللهم اجعل هذا الظالم ينبح مثل الكلب وبعد فترة جُن الرجل وصار يعوي وينبح مثل الكلب أمام الناس وبدون إرادة ثم جاء به أهله إلى الشيخ رحمته الله متوسلين إليه فقال له الشيخ الجليل : يا طاغي أيكفيك ما أنت فيه كيف تجرؤ على تمثيل ذكر الله بنباح الكلاب ، هذه إرادة الله المنتقم تب إلى الله واترك الظلم ، فتاب وشفى على أثر توبته ثم أصبح بعد ذلك من المريدين الذاكرين كثيراً ، ومثل هذه الأمور التي تروى عن الشيخ عبد القادر الكسنزاني كثيرة جداً حيث تاب المئات من الطاغين على يده وأصبحوا نادمين على ظلمهم وغدوا رجالاً صالحين .

• كان يسكن في قرية (كرجنة) شرطي تركي الأصل وكان يتردد كثيراً على حضرة الشيخ عبد القادر الكسنزان رحمته الله وحدث أن توفيت زوجته فحزن عليها كثيراً والتجأ إلى الشيخ السلطان

عبد القادر الكسنزان رحمته الله وهو يحمل القرآن الكريم حيث توسل به لدى حضرته قائلاً أنشدك بحق هذا القرآن الكريم يا سلطان عبد القادر أن تدرك زوجتي فقد ماتت وما إن رآه الشيخ على هذه الحال حتى نهض من مقامه مسرعاً حافي القدمين تعظيماً للقرآن وهو يقول أين هي ؟ فسار الرجل أمامه حاملاً القرآن والشيخ يتبعه حتى وصل إلى بيت الرجل فوجدهم يغسلونها فأمر بتغطية جسدها وترك عينيها مكشوفتين ثم تقدم نحوها وأشار إلى وجهها بعصاه المباركة قائلاً إنها ليست ميتة إن شاء الله وكرر ذلك ثلاث مرات ففتحت عينيها بعد ذلك وعادت إلى الحياة وحينما سألوها عن موتها أجابت لقد خرجت روحي وصعدوا بها إلى السماء وإذا بهاتف يهتف أرجعوها إلى جسدها لان الشيخ السلطان عبد القادر الكسنزان رحمته الله يطلبها فما انتبهت إلا وأنا واعية بينكم .

• كان قطع من الماشية يعود من المرعى إلى قرية (كربجنة) وأثناء مرور القطيع داخل القرية انحرفت إحدى البقرات فمدت فمها فتناولت قبضةً من العشب الطري فوق سطح أحد بيوت الأيتام فراها حضرة الشيخ سلطان قادر فصاح عليها بقوة ماذا فعلتِ إنها من مال الأيتام فرمت البقرة ما في فمها بأسرع ما يكون وولت هاربة .

وهكذا كان حضرة الشيخ عبد القادر الكسنزان رحمته الله حريصاً على مال اليتيم وحمائته حتى من قبل الحيوانات لأنه محرم ولا يجوز تناوله : ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٢٦٣).

وفاته

توفي السيد الشيخ عبد القادر الكسنزان بن السيد الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان سنة (١٣٣٩ هـ) الموافق سنة (١٩١٩ م) في إيران غازياً مهاجراً عن وطنه حيث أبعدت ظروف القتال عن العراق على أثر إعلانه الجهاد ضد الإنكليز ، ثم أرجعت جنازته إلى العراق تحت وطأة ضغط الجماهير وإلحاح المريدين ودفن في قرية كربجنة بجانب ضريح والده السيد الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان رحمنا الله ببركة الشيخ المهاجر والمجاهد الغريب في سبيل الله وطيب ثراه وأسكنه فسيح جناته .

السيد الشيخ الغوث السلطان حسين الكسنزاني قدس الله سره العزيز

مولده

ولد السيد الشيخ السلطان حسين الكسنزان قدس سره عام (١٣٠٦ هـ) الموافق (١٨٨٥ م) في قرية (كربجنة) وترى تربيةً دينيةً حيث درس القرآن الكريم وعلوم النحو والفقه في المدرسة الموجودة في قرية كربجنة آنذاك .

بدأ التصوف في حياة والده منذ حداثة سنه ، وترى تربية صوفية حتى خلف والده على سجادة المشيخة فالتف المريدون حوله وباعوه . بدأ الشيخ الخلف بإكمال مهمة والده وجده وسار على نهجهم في التوجه على الله ومخافته وتطهير النفس وتنقيتها ، لقد صفت نفسه قدس سره حتى أصبح متصوفاً عظيماً وعلماً شامخاً من أعلام التصوف وترك ملذات الدنيا وحرّمها على نفسه إلا اليسير من أسباب الحياة .

صفاته

كان قدس سره سخي العطاء منذ شبابه وكان ينفق كل موارده على الفقراء واليتامى والأرامل ، صادف ذات مرة أرملة طلبت منه شيئاً من المال لأيتامها ومن المصادفة أن السلطان حسين قدس سره لم يكن يملك شيئاً في ذلك الوقت فاقتلع أسنانه المصنوعة من الذهب وأعطاهم للأرملة كي تبيعها وتنفق الثمن على أولادها الأيتام .

جهاده

اشترك الشيخ السلطان حسين قدس سره في عدة معارك خاضها ضد الجيش الروسي في الحرب العالمية الأولى والذي كان يهاجم عن طريق إيران ، كما اشترك في عدة معارك ضد الجيش البريطاني في شمال العراق أيام الاحتلال وأسّر بنفسه في إحدى المعارك ثمانين جندياً مع ضابطين وقتل الكثير منهم ، إذ كانت ضربة موجعة وجهها للجيش البريطاني ، أرسلت بريطانيا على أثرها قوة مؤلفة من عشرين ألف مقاتل لمطاردة والده السيد الشيخ عبد القادر الكسنزان وأسرتهم وأعادهم إلى خارج العراق .

جهاده مع نفسه

بدأ عليه السلام بتهديب نفسه حسب عادة وعرف رجال التصوف وكان طعامه لا يزيد على خبز جاف من الشعير مع الحنظل^(٢٦٤) المر وكان كثير ما يترك شرب الماء حتى في الصيف . كان يأمر المريدين أن يدخلوا الخلوة لمدة أربعين يوماً مع الصمت وعدم التكلم إلا بالإشارة وان يذكر كل ما يريد في خلوته ثمانين ألف تسبيحة لكل من هذه التسبيحات .

١ . لا اله إلا الله ، ٢ . الله ، ٣ . يا رحمن ، ٤ . يا رحيم ، ٥ . يا غفور ، ٦ . يا ودود ، ٧ . يا حي ، ٨ . يا قيوم .

وأن لا يزيد ما تناوله الواحد منهم من طعامه طيلة اليوم على رغيف واحد من خبز الشعير طيلة مكوثهم في الخلوة . وكان كثير ما يذهب للتعبد في الجبل بعد منتصف الليل وفي أكثر الليالي يرقد بين الشوك حتى الصباح تهديباً لنفسه وترويضاً لها حتى كان جسده يتجرح وهو مثابر على تعبده ، وقد دخل الخلوة معه عدد كبير من الدراويش يبلغ عددهم ما لا يقل عن ثلاثة آلاف درويش سنوياً . وكان عليه السلام متزوجاً من أربع نساء وكان يقول هن : (إني مطلق هذه الدنيا وتاركها مع ملذاتها ، فمن منكن ترضى بهذه الحالة فلتبق معي ومن منكن تريد غيرها أطلقها باختياري وأسرحها سراحاً جميلاً وتتزوج من تشاء واني راضٍ بذلك) .

لقد سخر الله له من الأموال ما كان يتناثر عليه من كل صوب ولكن المال لم يغيره ولم يغيره ولم يكن يرى فيه جدوى له حيث يقول : (إن هذه الأموال ليست لي لكنها للفقراء ولا يجوز لي أو لعائلي التمتع بها) . وكان قد خصص لأكثر من خمسين عائلة من اليتامى والفقراء مرتبات شهرية ثابتة مع أنه كان لا يأكل سوى خبز الشعير والحنظل وكثيراً ما كان يشتري بعض القرى كاملة ويوزعها إلى فلاحها .

أوراده الخاصة

كان عليه السلام يقرأ القرآن الكريم أكثر ساعات الليل ويكثر الصلاة والنوافل ، وكان يقرأ الأدعية الخاصة بكل من الأقطاب الأربعة ، السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني عليه السلام ، والسيد

٢٦٤ - الحنظل : نبات بري مشهور بمراته اللاذعة .

الشيخ أحمد الرفاعي رحمته الله ، والسيد الشيخ أحمد البدوي ، والسيد الشيخ إبراهيم الدسوقي رحمته الله . وكان رحمته الله يقرأ أسماء الصحابة من المهاجرين والأنصار ويتذرع بهم إلى الله ، ومن صفاته رحمته الله كثير البكاء قليل الضحك يكثر المحاسبة الشديدة لنفسه فكان يحاسب المريدين على ترك الواجبات والفرائض ويطرد المريد إذا ترك فرضاً من الفرائض أو لم يتقيد تقيداً تاماً بتنفيذ أوامر الشريعة ويقول : (إن المريد إذا تخالفت أعماله وأفعاله وأقواله مع أي حم من أحكام الشريعة والقرآن فهو خارج عن طريقتنا) .

بساطته

كان السيد الشيخ السلطان حسين الكسنان رحمته الله يلبس اللباس ويجلس على حصير ويركب الحمير وقد ترك تدخين السجارة واستعمل الغليون وأمر المريدون بترك تدخين السجائر .

مهابته عند الناس

هنا يجب أن نذكر الحديث الشريف : ﴿ مَنْ خَافَ مِنَ اللَّهِ خَافَ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ .
وفحوى هذا الحديث الشريف كانت متمثلة في السيد الشيخ السلطان حسين فقد كان مهاباً رغم نحول جسمه ، إذا لم يبق من جسده شيء سوى الجلد والعظم لكثرة الرياضات التي فرضها على نفسه تطوعاً لله تعالى . وكان الناس على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم يبدون رهبتهم وخوفهم منه كخوفهم من الأسد عندما يجلسون في حضرته خصوصاً أولئك الذين ثقلت ذنوبهم فإنها تُبان لهم وهم في حضرة هذا الرجل العظيم كأنها الأفاعي بأفواهٍ فاغرة . إن الرئيس والمرؤوس والغني والفقير عنده سواء لا يفرق بينهم ولا يميزهم عن بعضهم بشيء إلا بالتقوى ولم يفضل رجل على رجل بسبب مكانته أو غناه . يحمل بشدة على كل من يخالف أوامر الله غير آبه ولا مبال بشكر أو ثناء من قبل الناس وأشد ما يكره الظالمين والمتكبرين ، ولا تأخذه في الله لومة لائم . كثيراً ما كان يقول في مواعظه : (إن الناس سواسية لا فرق بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح) . ويقول رحمته الله : (أيها الناس ليس في الدين رئيس ومرؤوس وطبقات متميزة إلا بالعمل المثمر ، كلنا لآدم وآدم من تراب) . وكان له أتباع ومريدون كثيرون ومحبون داخل العراق وخارجه . ويزوره الآلاف من المسلمين من أتباع الطريقة ومن غير المريدين وأما سكنه الخاص فلم يكن سوى حجرة صغيرة مظلمة تحت الأرض (الخلوة) يخلو فيها مع ربه ولا يخرج منها إلا

ساعات قليلة يواجه فيها الزائرين ولا تزال تلك الخلوة باقية إلى يومنا هذا يزورها الناس .

كراماته

إن لسلطان الأولياء الشيخ حسين عليه السلام كرامات عديدة وأعمال خارقة كثيرة شهدها أناس كثيرون منها :

• أمر الشيخ أحد مُريديه المسمى (عزيز) بالذهاب إلى الموصل من أجل الإرشاد ولكن هذا المريد الفقير تحدث في قلبه مع حضرة الشيخ حسين يتعذر بحاله وضعفه وعدم معرفته باللغة العربية ولا الطريق إلى الموصل ومع ذلك جاء التكليف بالذهاب واصطحب مُريداً آخر معه كان أعرجاً واضعف منه ، مما زاد الأمر تعقيداً وحرَجاً عليه ، لم يكن السفر في ذلك الوقت ميسور الوسائل ولا الطرق معبّدة وإنما سيراً على الأقدام أو ركوباً على الدواب ، ولكنهما وصلا إلى الموصل بسهولة ويسر ، وهكذا أمر الله لمن أراد أن يسير طريق الإرشاد وأخيراً استقر بهم المقام مع رجل فقير في دار خربة وكان جار ذلك الفقير من النصارى فيهم امرأة عجوز مصابة بمرض ألزمها الفراش لأكثر من عشر سنوات ، ولما علموا بقدوم هذين المريدين سألاهما الدعاء لشفاء مريضتهم وان يدفعوا لهم خمسين ليرة ذهبية ، فقالا لهم إنما أعمالنا لوجه الله تعالى ولا نريد جزاءً ولا شكوراً .

وحال جلب العجوز ضربها الخليفة بالعصا طالباً المدد من حضرة الشيخ حسين عليه السلام فقامت في الحال بإذن الله مشافاة . وبعد سماع أهل الموصل به كثر ترددهم فجاء إليه أصحاب الحوائج والمرضى مما أثار حفيظة بعض أصحاب الطرق الأخرى فقدموا إليه طالبين منهما ترك الموصل .

• ومن كراماته عليه السلام إن أكثر الناس كانوا يسمعون صوت الجن حوله وهم يذكرون الله سمعاً واضحاً ولما سُئل عنها عليه السلام قال : أنهم من الجن المسلمين المتصوفين .

• ومن كراماته أيضاً ما حدث لرجل من أهالي اسطنبول في تركيا كان مريضاً بداءٍ لم تنفع معه مراجعة الأطباء في أكثر العواصم الأوربية وفي ذات ليلة جاءه رجل في الرؤيا يقول : تعال إلى (كربجنة) في العراق وعندما تدخل في طريقتنا ستشفى ، وعندما استيقظ في نومه قرر أن يشد رحاله وجاء إلى (كربجنة) ، فلما وصل إليها ورأى حضرة السلطان حسين عليه السلام جالساً مع

مُرِيدِهِ أَنْكَبَّ عَلَى يَدِهِ يَقْبَلُهَا قَائِلًا : أَنْتَ الَّذِي نَادَيْتَنِي فَجِئْتُ ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَقَدْ
أَنْ لَكَ أَنْ تَأْخُذَ الْبَيْعَةَ (الطَّرِيقَةَ) وَتَدْخُلَ الْخُلُوةَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، فَيَسْتَجِيبَ الرَّجُلَ لِكَلَامِ الشَّيْخِ
وَلَمْ تَمُضْ فِتْرَةٌ طَوِيلَةٌ حَتَّى تَمَاطِلَ لِلشِّفَاءِ .

مواعظه

كَانَ السَّيِّدُ الشَّيْخُ السُّلْطَانُ حُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَعْظُ النَّاسَ وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ الصَّادِقِ وَمِنْ
مَوَاعِظِهِ :

• أَيُّهَا الْمُرِيدُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ الْهَمْزَ وَاللَّمْزَ وَالتَّنَابُزَ وَالْغِيْبَةَ وَالْكَفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعَصْيَانَ
فَاجْتَنِبْ هَذِهِ الْمَحْرُمَاتِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَكَعَ وَسَجَدَ فَقَدْ صَلَّى الصَّلَاةَ الَّتِي تَصِفُهَا الْآيَةُ
الْكَرِيمَةُ : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ ^(٢٦٥) . فَأَنْ الْمَصْلِي حَقِيقَةً هُوَ الَّذِي
يَأْتِي الصَّلَاةَ بِكَامِلِ آدَابِهَا . بِهَيْئَتِهَا وَفُرُوضِهَا وَتَسْبِيحِهَا وَتَكْبِيرِهَا وَتَحْلِيلِهَا وَتَحْرِيمِهَا وَوَقَارِهَا
وَخُشُوعِهَا ، فَأَنْ مَنْ حَافِظٌ عَلَى هَذَا الْكُلِّ وَجَمَعَهُ ثُمَّ صَلَّى وَهُوَ يَعْلَمُ صَلَاتَهُ وَيُعِيهَا وَقَدْ طَهَرَ
سَائِرَ أَعْضَائِهِ مِنَ الْحَرَامِ لَا سِوَمَا مَا دَخَلَ قَلْبَهُ وَجُوفَهُ فَقَدْ أَدَّى الصَّلَاةَ عَلَى حَقِيقَتِهَا . وَأَمَّا مَنْ
نَكَحَ الْحَرَامَ وَلَبَسَ الْحَرَامَ وَأَكَلَ الْحَرَامَ وَشَرَبَ الْحَرَامَ كَمَا فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ ^(٢٦٦) .

وَلَكِنْ الَّذِي يَعْطِي الصَّلَاةَ حَقَّهَا يَسْجُدُ حُلَاوَةً وَتَلَذُّذًا فِي عِبَادَتِهِ وَيَحْظِي بِمَا لَا يُمْكِنُ أَنْ
يُصِفَهُ قَلَمٌ وَلَا يَسْتَطِيعُ التَّعْبِيرُ عَلَى لِسَانٍ .

• إِنَّ طَرِيقَتَنَا تَعْتَمِدُ عَلَى الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَحُبِّ الْحَقِّ وَتَهْذِيبِ النَّفْسِ وَالصَّدَقِ وَالصَّبْرِ عَلَى
الْمُكَارِهِ وَالْمَصَائِبِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَعَدَمِ الْفَرْحِ بِمَصَائِبِ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ لَا تُؤْذِي الْجَارَ وَإِنْ تَقَابَلِ
الْإِسَاءَةُ بِالْإِحْسَانِ وَإِنْ تَرَأَفَ وَتَرْحَمَ الْأَيْتَامَ وَتَسْتُرَ الْعُرْيَانَ ، وَتَطْعَمَ الْجَائِعَ وَتَكْسُوَ الْمَعْدَمَ وَتَقْوِيَ
الضَّعِيفَ وَتَبْتَعدَ عَنِ الْمَظَالِمِ .

• وَقَالَ أَيْضًا : أَيُّهَا الْمُرِيدُ ابْتَعدَ عَنِ حُبِّ الدُّنْيَا فَإِنْ حَبَّهَا يَتَلَفُ الْعَابِدُ كَمَا يَتَلَفُ الْحُرُّ
الْعَسَلُ ، يَا مُرِيدِي كُنْ مَعَ الْمَظْلُومِينَ وَلَا تَكُنْ مَعَ الظَّالِمِينَ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَعَ الْكُفْرِ قَدْ تَدُومُ وَلَكِنَّهَا

٢٦٥ - العنكبوت : ٤٥ .

٢٦٦ - الإسراء : ٣٦ .

مع الظلم لا تدوم .

خدمته لأهل العلم والفقهاء

أسس السيد الشيخ السلطان حسين عليه السلام مدرسة دينية في قرية (كربجنة) وعين على نفقته مدرسين دينين وتلامذة يدرسون فيها الحديث الشريف والنحو والفقه وسائر العلوم الدينية ، حيث كان عدد التلاميذ يتلقون العلم في هذه المدرسة أكثر من عشرين تلميذاً ويتخرج في هذه المدرسة سنوياً علماء متخصصون في شتى العلوم .

وفاته

توفي السيد الشيخ السلطان حسين الكسنزان في سنة (١٣٥٨ هـ) الموافق (١٩٣٨ م) ، وكانت لوفاته ضجة كبيرة وأعرق أثر بين المريدين خاصة والمسلمين عامة ، لأن الإسلام فقد بوفاته رجلاً متصوفاً ومصلحاً عظيماً في عصر كان الإسلام فيه بأشد الحاجة لمثل هؤلاء الرجال العظماء الذين خدموا الدين الإسلامي أكبر خدمة ، وهامي نصيحته للمريدين المحبين المخلصين التي يقول فيها :

أيها المرید لازم باب الله ووجه قلبك لرسول الله ﷺ واجعل الاستمداد من بابه العالي بواسطة شيخك المرشد ، وقم بخدمة شيخك بإخلاص واذهب معه لمسلك الآداب واحفظ غيبته وتقيّد بخدمته وأكثر الخدمة في منزله وأقلل الكلام في حضرته ، وقم بنصيحة الإخوان وألف بين قلوبهم وعمر قلبك بالذكر وجمل قلبك بالفكر واستعن بالله واصبر على ما أصابك ، وأكثر من الصلاة على الرسول الأكرم ﷺ واجلس في بيتك ولا تكثر الخروج للأسواق ومواضع الفرح واعتصم بحبل الله ، فمن ترك الدنيا نال الفرح ، وأكرم ضيفك وارحم أهلك وولدك وزوجتك وخادمك واذكر الله في كل أمر واخلص لله في السر والجهر واعمل للآخرة عملاً حسناً .

هذه نصيحتي لك أيها المرید . فما أحوجنا اليوم لل التزام نصيحته عليه السلام وطاب ثراه .

السيد الشيخ الغوث عبد الكريم الكسنزان قدس الله سره العزيز

مولده

ولد السيد الشيخ عبد الكريم بن السيد الشيخ عبد القادر الكسنزان سنة (١٣٣٥ هـ) الموافق (١٩١٥ م) في قرية كربجنة في عائلة دينية ، حيث كان والده شيخ الطريقة والإرشاد ، وعقب والده وأخوه الشيخ حسين فترى على يد شيخين جليلين قدست أسرارهم جميعاً .

ولقد كان منذ نشأته كريم النفس رقيق القلب إذ يروى عنه انه كان في طفولته يطلب من أبيه أن يعطيه خروفاً ليذبحه ويوزعه على أطفال القرية الذين كانوا كلهم أصحابه ولما كان بعض الكبار يتدخل لرده كان والده السيد الشيخ عبد القادر الكسنزان رحمته الله يقول لهم : نفذوا أوامره فأن هؤلاء الأطفال حقاً عليه يراه هو ولا ترونه أنتم ، وكان أكثر ما يحب من أطفال القرية الفقراء والمعدمين ويحب خدمتهم وهو لما يزل دون العاشرة من عمره ويقف إلى جانبهم ويطعمهم من طعامه وكثيراً ما يؤثرهم على نفسه .

ويراه الناس على قدر كبير من الحكمة بالرغم من صغر سنه فكان يتدخل لحل المنازعات بين أصحابه ويصلح ذاتهم مما كان يجلب انتباه الناظرين إليه يتابعونه وينقلون تصرفاته إلى والده الذي كان يرعاه كثيراً ويشجعه .

هكذا كان هذا الغصن اليافع من الشجرة الطيبة تحلق به تلك الروح الملائكية اللطيفة ، وهذه هي بدايته كان يحب أن يكون مثل بقية المريدين في الوقوف بين يدي الشيخ بكل تواضع وأدب حتى أصبحوا هم يقلدون سلوكه ، ولما بلغ أشده مارس التدريب على الفروسية وتحلى بجميع فضائلها فكان يخرج للصيد على جواده وكان في الغالب لا يصحب أحداً لأنه أحب الانفراد والخلوة إلى نفسه ، ولقد تمسك تمسكاً شديداً بالقرآن العظيم وسنة الرسول الأعظم صلوات الله عليه ، فأحب العبادة والاختلاء ومجاهدة النفس حتى نال درجة عالية من الولاية ، لقد كان السيد الشيخ السلطان حسين الكسنزان رحمته الله يحبه حباً شديداً لما كان يرى فيه من عظمة وتواضع وقابلية في خدمة الدين الحنيف ، وكان كثيراً ما يصطحبه معه عندما كان يذهب ليلاً إلى الجبل ليتعبد فيه فيمكث معه أياماً وليالي وكان هو الشخص الذي يرافقه في خلوته ويقوم على خدمته

حتى أصبح في أواخر أيام الشيخ الوسيلة التي تربط بين شاه الخلوة المعتكف والمريدين في الخارج فكان يقول له السلطان حسين عليه السلام : أنت مكلف بشؤون المريدين ، وبذلك أجلسه على سجادة المشيخة وهو مازال على قيد الحياة وأمر المريدين بالاتجاه نحو شيخهم الجديد واخبرهم بان جميع أمور الطريقة والإرشاد منوطة بالسيد الشيخ عبد الكريم عليه السلام وأما هو فقد ظل مستمراً على الخلوة والاعتكاف حتى وافاه الأجل وذهب لملاقاة ربه ، وهكذا استمر المريدون يجتمعون عند الشيخ عبد الكريم عليه السلام الذي تولى أمرهم وقام بشؤونهم خير قيام .

وكان السيد الشيخ السلطان حسين الكسنزاني قدس الله سره قد أوصى قبل وفاته قائلاً : أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام وأشار بأن استخلف أخي السيد الشيخ عبد الكريم مقامي .

صفاته

إن مثالية السيد الشيخ السلطان حسين ووالده وجده ممثلة في شخصية السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزاني عليه السلام ، لقد كان الشيخ عبد الكريم كما ذكرنا يحب الفروسية وكان كريماً وشجاعاً قوي البنية شديد المراس عليه علامات الهيبة والوقار وإلى جانب ذلك كان صبوراً لا يحقد ولا يغضب على أحد إلا في حدود ما شرع الله كما كان صريح البيان ويحب الإيجاز في الحديث ، إذا تحدث في الله فرح ولان وإذا نصح صرح وهان ، ومجالسته ترد القلوب بالود إلى علام الغيوب كريم الخلق للفقراء ، إذا جلسوا عنده مازحهم ولاطفهم وتودد إليهم ، يحبهم ويقربهم في مجلسه .

يعطف على الأيتام والأرامل وينفق عليهم بسخاء لا يخاف في الله لومة لائم ، شديد على الظالمين والمتكبرين فلا يدخل مجلسه من كانت فيه إحدى هاتين الخصلتين خوفاً من صراحته إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً ، وقد خطى الخطوات التي خطاها أخوه ووالده وجده من قبل في تدبير شؤون الطريقة والوعظ والإرشاد .

ويهتم كثيراً بتطبيق تعاليمهم بين المريدين لأنه المرجع الأعلى والأصيل للطريقة القادرية الكسنزانية .

وكان يفرغ العلم الروحي والأحوال على المريدين ما يأخذ المرید بالهمة تدريجاً للصفاء الروحي وكثيراً ما كان يوصي بحسن الخلق وقوة العقيدة .

سماحته

لقد كان يحب التائب ويفرح به ويدعو له ، وهو ذو رأفة بالمريدين يأخذهم باللين والسماحة ويشوقهم إلى الله وَيُطَمِّنُهُمْ به ويُفَرِّج قُلُوبَ الْفُقَرَاءِ ، كثيراً ما يسامح المعتدين وإذا ما جاءه شك صبره وقال له : إن الله يرانا ويراهم فأصبر واحتسب نسأله الهداية لهم ، فما أن يصل كلامه إلى آذان المعتدين والظالمين حتى ترق قلوبهم فتشدهم إليه شداً ، فنراهم في اليوم التالي قد تابوا وأصلحوا لأنه رَبُّ الْغَنِيِّ عارفٌ بدواء العلل وله في كلامه صولة ، صولة حق فيها رغبة ورهبة يرغبها أهل الحق ويرهبها غير أهله ، ويا له من صوت روعي يدفع الباطل فإذا هو زاهق .

توكله

كان كثير التوكل على الله فهو لا ييأس ولا يقنط قط وحاشاه من ذلك ، فإذا ما سأله عن شيء .. أي شيء .. ملتمساً منه الدعاء يبادرك قائلاً على الله .. الله كريم ابني ، فتكون عبارته هذه دواءً لكل العلل ، كريم في كل شيء شريطة أن لا يؤثر على سلوك المريد ونهجه ، فكان كثيراً ما يُحذِر من الدنيا ويصفها بأوصاف ذميمة لأنه لا يرغبها لمريديه .

اعتكافه

كان يعتكف في غرفة صغيرة مخصصة له فيها حصير يجلس عليه وأمام الحصير رحلة صغيرة يعلوها المصحف الشريف وخلفه على الجدار سيف معلق ، وكان يقضي أغلب يومه منفرداً يقرأ القرآن ويتلو أوراده الخاصة به ويصلي وكان كثير النوافل حتى انه ليسجد السجدة بعد نافلة المغرب لا يرفع رأسه منها حتى آذان العشاء ، وتسمع له بكاءً وحنيناً ، فهو قليل من الليل ما يهجع وله أدعية خاصة يقرأها ، كثير التوسل إلى الله وَعَلَيْكَ ، كثير البكاء قليل الضحك ، وكان يقضي أغلب أيامه صائماً ويكتفي أحياناً بشربة ماءٍ ولم يسغ إلا النزر اليسير من الطعام البسيط ولم يكثر من تناول شيء سوى الشاي .

زهده

كان زاهداً لا يرغب في الدنيا وله أقوال كثيرة في الزهد دائماً يحذر من الدنيا ويقول إنها ناعمة الملمس حادة الأسنان سامة اللسان وأن رأس مالنا فيها ما خلقنا لأجله في الآية الكريمة : ﴿ وَمَا

خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٢٦٧﴾ .

كما ترى زهده في بساطة ملبسه حيث يرتدي الملابس البسيطة ويرغب الخشنة منها وكانت تمر عليه سنة أو أكثر وتراه في ملبس واحد فهو لا يرغب الجديد ، ويتنعل حذاءً خفيفاً من القطن مما يلبسه مَنْ عُدِمَ من الناس ، ولا يجدد ملابسه حتى ترى عليها أثراً لتهديب خيوطها ، ومن أعظم مآثر زهده انه ما جلس عنده وقام من مجلسه حتى آثر حياة الزهد وفضله على الترف ، فتراه يصبح سخيّاً زاهداً ملتفتاً عن الدنيا متجهاً إلى الآخرة داعياً لها محذراً الناس منها ، وهذه من بركات مجالسة الزاهدين فمن جلس مع أهل الدنيا قام بحبها ومن جلس مع أهل الآخرة قام بحبها وأرفع الهجرة إليها .

هجرته وإرشاده

هاجر السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزان رحمته الله إلى قرية (ميرخاو) في إيران ، فدخل القرية وأقام بها واجتمع حوله آلاف المريدين والمحبين فكرس جهده لإرشاد الخلق ونشر تعاليم الطريقة بين الناس ، وبقي في القرية ما يقارب السنة ثم هاجر بعدها إلى سنندج وأقام فيها فترة من الزمن ولقن الطريقة خلالها لآلاف من الناس وترك لهم خلفاء وتكايا عديدة وترك لهم تعاليمه السديدة التي لا يزال يتناقلها الأبناء عن الآباء والأحفاد عن الأجداد ، ثم انتقل بعدها إلى مدينة مشهد وقابل عدداً من رؤساء العشائر ووعظهم وأرشدهم وأصبحوا من أتباعه ومؤيديه ، واجتمع عنده آلاف من المريدين والمحبين فتزايد عدد أتباعه ومؤيديه حتى صار تنقله صعباً ومكلفاً لأن آلافاً يتبعونه حيثما حل وارتحل .

وهكذا تنقل الشيخ في أنحاء إيران وهو يحمل تعاليمه في الزهد والورع ويرشد المريدين ويُسدي النصح لعوام المسلمين ويبني التكايا والمساجد ويصلح بين الناس ، حتى دخل طهران والتقى بعدد كبير من الناس ثم عاد بعد ذلك إلى ميرخاو ، وثم إلى بنجوين في العراق وأقام في قرية بوبان وبني تكيه وبيتاً يسكن فيه مع عياله قريباً من الحدود بين العراق وإيران داعياً إلى الخلاص من

الدنيا وزخرفتها ناقلاً الناس إلى الصفاء الروحي والنقاء الجسدي ، ولاقت الطريقة إقبالاً واسعاً فاستوعبت ملايين المريدين حتى راح سناها الروحي إلى بلاد كثيرة أخرى من المعمورة مثل أفغانستان وباكستان والهند وسرى شعاعها إلى بعض بلاد أفريقيا مثل زامبيا ففتحت فيها تكايا وقام الخلفاء بالإرشاد .

وأخيراً انتقل السيد الشيخ عبد الكريم إلى قرية كرجنة حيث مقام الآباء والأجداد وأقام فيها فترة من الزمن ثم انتقل بعدها إلى كركوك واستقر فيها بعد جولات عديدة للإرشاد شملت معظم المحافظات العراقية مثل بغداد وبنينوى وبابل والنجف الأشرف والأنبار وتكريت وأربيل والسليمانية وغيرها .

وقد بنى في تلك المحافظات عدداً كبيراً من التكايا وأثناء وجوده في كركوك جهّز حملة للحج انظّم لها عدد كبير من الفقراء والمريدين قاصداً بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج وزيارة المصطفى ﷺ .

وما زال مرشداً حتى اختاره الله إلى جواره عام (١٣٩٩ هـ) فخلف وراءه على سجادة المشيخة ولده السيد الشيخ محمد الكسنزان .

كراماته

إن كرامات السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزان رحمته الله كثيرة جداً لا تعد ولا تحصى لان حياته كانت كلها كرامات لخدمة الإسلام والمسلمين .

ولكن لابد من ذكر بعض منها والتي تحققت على أيدي مُريديه بعد طلب الإجازة من سماحته كالقيام بفعاليات خارقة للعادة مثل مسك الأسلاك الكهربائية وأكل الأفاعي والعقارب والضرب بالطلق الناري والضرب بالخنجر في الرأس .

وضرب السيوف والحارب والدخول وسط النار ، بالإضافة إلى الكرامات الأخرى التي تحققت بدعائه كالشفاء من السرطان والعقم ، والشفاء من الصرع وأمراض القلب والكآبة والجنون وغيرها .

• ومن كراماته رحمته الله : انه حُكِمَ على أحد مُريديه بالسجن لمدة عشرين سنة في سجن الرمادي

ولكثرة التوسل ومن قبل أهله بحضرة الشيخ أرسل الشيخ رسالة إلى أحد الخلفاء في الرمادي طالباً منه مساعدة السجين بالخروج من السجن وكانت المفاجأة عندما علم الخليفة أن السجين قضى من مدته ثلاث سنوات فقط ولكن إيمانه وعقيدته بهمة الشيخ دفعته إلى الذهاب إلى السجن وقدم إلى مدير السجن مستفسراً عن المدة التي قضاها السجين المذكور فجاء الجواب بعد التدقيق في سجلات النزول تبين انه أنهى محكوميته كاملة وسوف يطلق سراحه غداً وفي اليوم الثاني عاد الخليفة واصطحب معه السجين إلى داره .

• بينما كان حضرة الشيخ عبد الكريم الكسنزاني رحمته الله خارجاً من غرفته دخل إلى التكية رجل من الآغوات محمولاً على أيدي ذويه حيث قرر الأطباء انه مريض بالسرطان وقد أعجزهم علاجه وحالما رآه حضرة الشيخ عبد الكريم قال : هذا ليس مريضاً بالسرطان وإنما هو تأثير سم جرى في جسمه قبل أربعين عاماً فأجاب من كان مع المريض بأنه فعلاً قد لسعته حية في ذلك الوقت عندها قال الشيخ رحمته الله أطعموه الحليب وأجلسوه في التكية فإنه مشافى إن شاء الله فما لبث المريض أياماً حتى عاد سليماً يمشي كأن لم يصبه شيء .

• كان أحد مُريديه رحمته الله وهو شريف مُجد خاتون مصاباً بسرطان الأمعاء وقد عجز الأطباء من علاجه وقرروا بأنه ميت لا محالة فأحضره عند حضرة السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزاني رحمته الله واخبروه بكلام الأطباء حول اليأس من علاجه وبينما هو جالس عند حضرة الشيخ ألقى إليه الشيخ بـ (سيجارة) وقال له : تناول هذه يا شريف فعلم شريف إن هذه السيجارة من الشيخ هي علاجه المناسب فتناولها وبدأت صحته تتحسن تدريجياً حتى شفي شفاءً تاماً وعاش بعد ذلك سنين طويلة .

• كان في زمنه رحمته الله مجموعة من المريدين عائدين من زيارته إلى ديارهم فنقد الوقود من السيارة ولم يكن السائق من مُريدي الشيخ فضجر وتَسَخَط فترجل المريدون وأقاموا حلقة ذكر ثم قالوا له حاول عسى أن يكون في الخزان قليلاً من الوقود فَسَخَرَ منهم وقال أنا منذ الطفولة في هذا العمل وأني أقول لكم الوقود قد نفذ والحوّ عليه كثيراً حتى رضخ لهم وما أن أدار المحرك حتى بدأت السيارة تعمل فرفع السائق أصابعه العشرة وقال اشهد أن لا اله إلا الله واشهد إن مُجداً رسول الله هذا عمل لم يحصل في التاريخ كله وتحركت السيارة بهم إلى أن وصلوا .

• حينما كان حضرة الشيخ عبد الكريم الكسنزان ساكناً في قرية (عمروغان) العائدة إلى ناحية قره داغ في محافظة السليمانية وكان لدى حضرته عدد من علماء السليمانية الأفاضل وقد دارت أحاديث حول موضوع الكرامات وذكروا حديث عمر بن الخطاب (يا سارية الجبل) فتبسم الشيخ وقال هذا أسهل ما يكون على الأولياء إذا شئتم أريكم مثل هذا فنأدى (تعال يا حاج عزيز) وكان الحاج عزيز في قرية كيزه في شهرزور والتي تبعد مسيرة يوم واحد وفي اليوم الثاني حضر الحاج عزيز فرحب به الشيخ وسأله كيف جئت فقال سمعتك تناديني فأتيت فتعجب العلماء الحاضرون من كرامة الشيخ .

• كان لحضرة الشيخ عبد الكريم رحمته الله صندوق صغير يودع منه أموال التكية وينفق منها ما تحتاجه التكية من النفقات اليومية ، وذات يوم راجعه رحمته الله محمد مجيد وهو أحد مُريديه المختص بشؤون النفقات طالباً من حضرته نفقة التكية لذلك اليوم كعادته فابتسم الشيخ قليلاً ثم قال : يا رحمته الله إن المال نَفَذَ وأراه الصندوق فارغاً فاصبر قليلاً حتى يجد الله لنا مخرجاً ويرزقنا من حيث لا نحتسب ، قال رحمته الله فأصبحت مطمئن القلب من قول حضرة الشيخ فما لبث قليلاً حتى نادى عليَّ الشيخ وقال يا رحمته الله لقد سمعت حركةً أو رفرةً داخل الصندوق فأسرع إليه لعل الله فتح علينا باب الفرج فأتيت بالصندوق إلى حضرته وفتحه بيده الكريمة فإذا الصندوق مملوء بالمال .

• بعد انتقال حضرته رحمته الله إلى عالم البقاء بفترة عازمت على القيام بالعمرة وزيارة الروضة المحمدية الطاهرة وبيت الله (الكعبة الشريفة) وتوجهت قبل ذلك لزيارة مرقد حضرة الشيخ (والدي) في قرية كرجنة وكان معي أكثر من خمسين رجلاً من المريدين فحال وصولنا إلى مرقد المشايخ الكرام ودخولي إلى مرقد الشيخ عبد الكريم رحمته الله أردت أن المسه تبركاً فاهتز بحركة واضحة ومستمرة شاهدها جميع من كان معي حتى كادت أن تسقط السترة الخضراء المغطية للمرقد ثم عاد يهدأ تدريجياً حتى استقر ثم ودعته وخرجت .

أوراد الطريقة القادرية الكسنزانية

بالإضافة إلى فروض الشريعة المعروفة من صوم وصلاة وغيرها يفرض نَحج الطريقة على المريد فروضاً إضافية وهي عبارة عن أذكار وبأعداد محددة وضعها مشايخ الطريقة بعد أن تَكشَّفت لهم أسرارها الروحية بفضل مكائنتهم عند الله ﷻ وعلمهم الرباني الذي أكرمهم به ، ولهذه الأوراد فوائد عظيمة في تطهير قلب المريد من هوى النفس وكل ما نهى عنه الله ﷻ ومساعدته في السير على درب الترقى الروحي الذي أخذ العهد على سلوكه .

ونتيجة لمجاهدات مشايخ الطريقة الكسنزانية وعبادتهم وخلواتهم فقد انكشفت لهم سلسلة من الأوراد ذات الأسرار الروحية العظيمة القدر وهذه الأوراد هي زاد المريد في رحلته على نَحج الطريقة الكسنزانية قال تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾^(٢٦٨) . وتقسم الأوراد إلى قسمين :

١ - الأوراد اليومية : وعددها ثمانية ، خمسة منها بعد كل صلاة وواحد قبل صلاة المغرب بساعة واحدة ويسمى ورد العصر ، إضافة إلى قراءة سورة الفاتحة مئة مرة والصلاة على الرسول الأعظم ﷺ ألف مرة خلال اليوم الواحد بينما الاستغفار وقراءة الفاتحة هي أوراد فردية أي يقوم بها المريد لوحده وباقي الأوراد جماعية حيث يقوم بها المريدون المتواجدون في التكية بشكل جماعي ، ويجوز أن يؤديها المريد بشكل انفرادي إذا كان بعيداً عن التكية .

٢ - الأوراد الدائمة : وهي عبارة عن تسعة عشر ورداً يقوم بها المريد بشكل فردي ويتم تكرار كل واحد منها مئة ألف مرة وعند الانتهاء من الورد التاسع عشر يعود المريد مرة ثانية من الورد الأول وهكذا يدور حتى نهاية العمر لقوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾^(٢٦٩) . ويمكن للمريد أن يقوم بهذه الأوراد في أي وقت باستثناء ليلة الجمعة ونهارها المخصصين للصلاة على الرسول ﷺ . وفيما يلي جدولاً بهذه الأوراد :

٢٦٨ - البقرة : ١٩٧ .

٢٦٩ - الحجر : ٩٩ .

الأوراد اليومية

بعد أن يأخذ المريد الطريقة على يد الشيخ أو أحد الخلفاء الموكلين بإعطائها يدخل المريد في الطريقة حيث يؤمر بالتوبة أولاً ورد المظالم إلى أهلها ، وبعدها يؤمر بالصلاة . وقد خصص ما يكفي من تعليم الطهارة والوضوء والصلاة في مقدمة رسالتنا هذه ، ثم تلقينه الورد اليومي (سمي يومياً لأنه مطالب به خلال اليوم وفي أوقاته المحددة وإذا فات وقته يجب قضاؤه كما تقضى الصلاة ولا يسمح بإهماله أو تركه) . ويمكن أن يقام قسم من الأوراد اليومية جماعياً كما في ورد الصبح وورد العشاء وورد العصر ، ويمكن أن تقام انفرادياً وحسب ظروف المريدين وأماكن وجودهم التي قد لا تسمح أحياناً باجتماعهم على ورد من الأوراد .

١ - بعد صلاة الفجر :

- لا اله إلا الله (٣٠٠) مرة .

- لا اله إلا الله محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، في كل لحظة ونفس عدد ما وسعه علم الله (١٠٠) مرة .

- الله (٣٠٠) مرة . (٣٠) مرة سورة الفاتحة .

- استغفر الله العظيم (١٠٠) مرة .

٢ - بعد صلاة الظهر :

- لا اله إلا الله (١٦٥) مرة . (٢٥) مرة سورة الفاتحة .

- استغفر الله العظيم (١٠٠) مرة .

٣ - بعد صلاة العصر :

- لا اله إلا الله (١٦٥) مرة . (٢٠) مرة سورة الفاتحة .

- استغفر الله العظيم (١٠٠) مرة .

٤ - ورد العصر :

وقته قبل غروب الشمس بساعة ولا يستحسن قبل وقته ، وفيه سر عظيم لأن شيخنا قدس سره يؤكد عليه مراراً ويأمر المريدين بإتباعه والتركيز عليه في وقته ففيه بركة ورحمة . وقد دخل هذا الورد في

طريقتنا في زمن السلطان حسين الكسنزان قدس سره العزير وبأمر سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره العزير ، وفيه تلتقي أرواح المشايخ المرشدين مع المريدين ويشبه كثيراً بنزهة الأولياء الروحيين بين صفوف أرواح المريدين ، فالغنائم فيه كثيرة والأسرار عجيبة ، فعلى المريدين التمسك به ما استطاعوا إليه سبيلاً ، وهو كما يلي :

- يا الله يا حي يا قيوم (٦٦) مرة .

- يا الله مولاي الله (٦٦) مرة .

- يا هو (٦٦) مرة .

- يا حي (٦٦) مرة .

- يا واحد (٦٦) مرة .

- يا عزيز (٦٦) مرة .

- يا ودود (٦٦) مرة .

- يا رحمن (٦٦) مرة .

- يا رحيم (٦٦) مرة .

ثم تُقرأ سورة الفاتحة ويصلى على الرسول صلوات الله عليه محمد صلوات الله عليه .

٥ - بعد صلاة المغرب :

- لا اله إلا الله (١٦٥) مرة . (١٥) مرة سورة الفاتحة .

- استغفر الله العظيم (١٠٠) مرة .

٦ - بعد صلاة العشاء :

- لا اله إلا الله (٣٠٠) مرة .

- لا اله إلا الله محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، في كل لحظة ونفس عدد ما وسعه علم

الله (١٠٠) مرة .

- الله (٣٠٠) مرة .

(١٠) مرات سورة الفاتحة .

- (٢٠٠) مرة / سورة الإخلاص .
- استغفر الله العظيم (١٠٠) مرة .
- اللهم صل على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً (١٠٠) مرة .
- في كل يوم (١٠٠٠) مرة / اللهم صل على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .
- بعد كل صلاة مفروضة (٣) مرات / الله حاضري الله ناظري الله شاهد عليّ الله معي الله معيني وهو بكل شيء محيط .
- من غروب الاثنين إلى غروب الثلاثاء / اللهم صل على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .
- من غروب الخميس إلى غروب الجمعة / اللهم صل على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

الأوراد الدائمة

- وهي تسعة عشر ورداً يذكر كل واحد منها (١٠٠) ألف مرة وهذه الأوراد هي :
- ١ - لا اله إلا الله (١٠٠) ألف مرة / تطهرك من جميع السيئات ولو كانت كمثل زبد البحر .
 - ٢ - الله (١٠٠) ألف مرة / توصلك إلى رحمة الله .
 - ٣ - يا هو (١٠٠) ألف مرة / تثبت نور الإيمان وترفعك إلى مقام العلماء .
 - ٤ - يا حي (١٠٠) ألف مرة / ترفع جميع الأوردة القادرة من على قلبك .
 - ٥ - يا واحد (١٠٠) ألف مرة / ترفع الحجاب بين العبد وربّه إذا كان مخلصاً .
 - ٦ - يا عزيز (١٠٠) ألف مرة / تنجيك من شر النفس والشيطان .
 - ٧ - يا ودود (١٠٠) ألف مرة / تفتح السمع والبصر إذا كان مخلصاً .
 - ٨ - يا رحمن (١٠٠) ألف مرة / تنجيك من كل هم وغم في الدنيا والآخرة .

٩ - يا رحيم (١٠٠) ألف مرة / تدخل في رحمة الله .
١٠ - سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر (١٠٠) ألف مرة / ثواب ألف حجة مقبولة .

١١ - اللهم صل على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى اله وصحبه وسلم تسليمًا (١٠٠) ألف مرة / تنجيك من جميع المشاكل .

١٢ - بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (١٠٠) ألف مرة / يداويك ربك ٩٩ دواء .

١٣ - سورة الإخلاص (١٠٠) ألف مرة / يغفر الله لك ولوالديك .
١٤ - لا اله إلا الله الملك الحق المبين محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صادق الوعد الأمين (١٠٠) ألف مرة .

١٥ - صلى الله سبحانه وتعالى عليك وسلم يا رسول الله (١٠٠) ألف مرة .

١٦ - لا مقصود إلا الله (١٠٠) ألف مرة .

١٧ - لا موجود إلا الله (١٠٠) ألف مرة .

١٨ - لا مطلوب إلا الله (١٠٠) ألف مرة .

١٩ - لا مراد إلا الله (١٠٠) ألف مرة .

يتعلم المريد من الخلفاء المرشدين كيفية حساب ختمته ، فهذه الأذكار وما تتضمنه من أسرار عجيبة يبدأ بها المريد بعد البيعة مباشرة ، فكما قالوا : (سر كل طريقة في أورادها) .

يسير المريد بختمات الأوراد دون كلل أو ملل حتى نهايتها ثم يعيدها مرة ثانية وثالثة حتى يصفو داخله من الكدر وتُصقل مرآة قلبه وتطرقة الأحوال ويترقى إلى منازل الصادقين .

ويجب التنبيه عند الاشتغال بالختمات إلى عدة أمور منها :

١ . التمعن في معنى الذكر وعدم الإسراع بالشكل الذي لا تفهم معه ما تقول بل يجب أن تدرك ما تقول .

٢ . عدم ترك الأعمال الدنيوية والواجبات المطالب بأدائها وخصوصاً الموظف والعسكري متذرعاً بالأوراد لأن ذلك مما يسيء إلى سمعة الطريقة ويفتح المجال للمنافقين يطلقون ألسنتهم في

وصف الإهمال . لذا يجب أن يجتهد المريد في استغلال الفراغ ، استمع قول سيدنا الشيخ عبد الكريم رحمه الله : عامل ودرويش ، طالب ودرويش ، موظف ودرويش ، فلاح ودرويش (. ومعنى ذلك يجب التقيد بالمهنة الدنيوية والأعمال الأخوية معاً .

٣ . يحذر من حمل السبحة في بعض الدوائر والثكنات العسكرية حيث يمنع حمل السبحة عُرفاً ، لذا يجب التقيد والعمل بها أثناء الفراغ فقط .

٤ . على المريد أن يمتنع عن الضحك والمزاح أثناء أدائه أوراده ويحفظ لسانه عن الكذب والغيبة .

٥ . يمكن للمريد أن يشتغل في واجبات الذكر أثناء السير أو ركوب السيارة بشرط أن يدرك معنى ما يقول .

٦ . يرى المريد بعض الرؤى أثناء مسيرته في طبقات الأوراد هذه ، فعليه أن يكتف ما يراه لحين التقائه بالشيخ أو الخليفة هو تحت تربيته ليحكى له ما رأى وعليه عدم طلب الإجابة عن تفسير رؤياه .

٧ . يتلقى المريد بعض العلوم الروحية حين اجتهاده بالعبادة عليه كتمها لأن طريق القوم مبني على الإخفاء وعدم الإباحة وخصوصاً طريقتنا الكسنزانية العلية فتفريط كلمة واحدة يعني انه حول الباطن إلى ظاهر ويجب أن يعاقب عليه وقد تصل العقوبة إلى حد القتل من قبل مشايخ الطريقة أم يحن ، وعكس ذلك إذا ما ظهرت عليه صفات باطنية دون إرادته وكتمها فإنه يؤجر على ذلك ويثاب لأنه ستر حرمت الطريقة العزيزة عند الله تعالى .

الذكر الرسمي

يطالب مريدو طريقتنا بحضور الذكر مرتين في الأسبوع ليلتي الاثنين / الثلاثاء والخميس / الجمعة . ولا يعد تارك الذكر بل يعتبر عدم حضوره تقصيراً قد يحاسب عليه ، إلا من ارتبط بواجبات أو أشغال ضرورية كالواجبات العسكرية أو الوظيفية أو بعده وعدم استطاعته الحضور ، فهم أدرى بأحواله وأطواره .

لقد اخبرنا مشايخ الطريقة في هاتين الليلتين ترفع أماكن العبادة إلى الحضرة القدسية . فهم

مقربون من الله تعالى في حضرته قريين منه وهو قريب منهم وهذا سر تفضيل هاتين الليلتين المباركتين .

وأما الحكمة لاجتماع المريدين لحلق الذكر ففيها أسرار عجيبة ، ففي الجماعة تلتقي القلوب ويكون التعاون والتجاذب ويستسقي الضعيف من القوي والمظلم من المنور والكثيف من اللطيف والجاهل من العالم . وقد يوجد أحد المريدين من أصحاب الصفاء والنقاء يذكر بصدق وإخلاص ويغاث بأنوار الذكر غيثاً يستفيض منه كل غافل وجاهل فيخرج ببركة الذكر لا يستثنى منهم أحد ، فيحصل الغافل ما لا يحصل عليه إذا جلس للعبادة سبعين سنة . وهذه من بركات الاجتماع للذكر . فكم من غافل ينتبه وكم من قلب نائم يستيقظ وكم من جامد يتحرك .

لهذا أمر شيوخنا بالاجتماع في حلق الذكر لهذه الأسباب ولأمر أخرى كل في أوانه هو اعلم بها ، وأما الذكر الرسمي فكما أذن به شيخ الطريقة والمقام في جميع التكايا الرسمية ، فيكون بالصيغة التالية :

يقوم مسؤول الحلقة بتنظيم حلقة الذكر حسب المكان المتوفر والمعد للذكر والجماعة الذاكرين ، وأحياناً تتداخل حلقات الذكر لكثرة الذاكرين المتواجدين واحدة داخل الأخرى ، ثم يبدأ الخليفة الموكل بافتتاح الذكر حسب الأذكار التالية ويردد الواقفون في الحلقة معه هذه الأذكار :

١ - الله استغفر الله دائم استغفر الله .

٢ - لك الحمد يا قدوس لا اله إلا الله .

٣ - يا الله دائم الله .

٤ - يا دائم الله دائم .

٥ - يا حي أنت الحي ليس الباقي إلا حي .

٦ - يا باقي أنت الباقي ليس الباقي إلا الله .

٧ - يا هادي أنت الهادي ليس الهادي إلا الله .

وتكون تلاوة هذه الأوراد غير محددة بعدد وإنما على مسؤول الحلقة تقدير ذلك .

ثم يدعو مسؤول الحلقة بهذا الدعاء (اللهم يا حي يا قيوم ، يا بديع السموات والأرض يا مالك

الملك ويا ملك الملوك يا ذا الجلال والإكرام نسألك اللهم يا ربنا أن تحيي قلوبنا وسمعنا وأبصارنا وأرواحنا بنور معرفتك أبداً دائماً باقياً هادياً يا الله) .

وما أن ينتهي المسؤول من هذا الدعاء حتى يردد الجميع (يا الله) وهم ينحنون إجلالاً وتعظيماً لله ﷻ ثم يعتدلون وهكذا لعدة مرات حتى يشير مسؤول الحلقة بالانتقال إلى الأذكار الآتية :
يا الله دائم الله .

يا دائم الله دائم .

الله الله الله هو هو ، هو الله هو . وتلفظ كلمة (هو) الأخيرة بصوت مرتفع . الله ، الله ، الله هو هو ، هو الله . ويلفظ لفظ الجلالة (الله) بصوت مرتفع . ثم يردد الجميع ورد (يا كريم) بصوت منخفض وهم ينحنون ذلاً وخشوعاً أمام الله ﷻ .

ثم يقول مسؤول الحلقة (يا الله ، يا دائم ، يا كريم ، يا ستار ، يا رحمن ، يا رحيم ، يا الله) وتردد الجموع ورد (حي الله ، الله) بعد كل اسم من أسماء الله الحسنى ، فإذا وصل المسؤول إلى لفظ الجلالة (يا الله) استمرت الجموع بتريد (حي الله ، الله) إلى أن يشير مسؤول الحلقة بالانتقال إلى ورد آخر وهو قراءة سورة الإخلاص ثلاث مرات قراءة جماعية وبصوت جهوري ، ثم تسكن الجموع ويسود الهدوء فيتقدم مسؤول الحلقة لطلب الإمداد ، فيقول :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، حمداً أزلياً بأبديته ، أبدياً بأزليته ، سرمداً بإطلاقه ، متجلياً في مرايا آفاقه ، حمد الحامدين ودهر الداهرين . يقول (الذاكرون) (مدد) بصوت عالي)

—

* وصلوات الله وملائكته وحمله عرشه وجميع خلقه من أرضه وسمائه على سيدنا ونبينا أصل الوجود وعين الشاهد والمشهود ، وأول الأوائل وأدل الدلائل ، ومبدأ الأنوار الأزلي ومنتها العروج الكمالي ، غاية الغايات بالنشآت ، أب الأكوان بفاعليته ، وأم الامكان بقابليته ، المثل الأعلى الإلهي ، هيولي العوالم الغير متناهي ، روح الأرواح ونور الأشباح ، فالق صباح الغيب ورافع ظلمة الريب محدد التسعة والتسعين ، رحمة للعالمين سيدنا في الوجود صاحب لواء الحمد والمقام المحمود ، المبرقع بالعماء ، حبيب الله مُحَمَّد المصطفى ﷺ . (يقول الذاكرون) (مدد) بصوت عالي) .

وعلى سر الأسرار ومشرق الأنوار ، المهندس في الغيوب اللاهوتية ، أنموذج الواقع ، وشخص الإطلاق ، المنطع في مرايا الأنفس والآفاق ، سر الأنبياء والمرسلين ، وسيد الأوصياء والصديقين ، الصورة الالهية ، مادة العلوم الغير المتناهية ، الظاهر البرهان ، الباطن بالقدر والشأن ، بسملة كتاب الموجود ، حقيقة النقطة البائية ، المتحقق بالمراتب الإنسانية ، حيدر آجام الإبداع الكرار في معارك الاختراع ، السر الجلي والنجم الثاقب ، إمام الأئمة ، علي ابن أبي طالب عليه السلام .
(يقول الذاكرون (مدد) بصوت عالي) .

* مدد يا سيدي وسندي ومرشدي وتاج رأسي ونور عيني القطب الرباني والهيكل الصمدي والقنديل النوراني والسر السبحاني جامع الأسرار والمعاني شيخ الإنس والجان محيي السنة والدين باز الله الأشهب أبا صالح حضرة السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمته الله . (يقول الذاكرون (مدد) بصوت عالي) .

* مدد يا سيدي وسندي ومرشدي وتاج رأسي ونور عيني العارف بالله حق العرفان وخادم القرآن من نسل عدنان صاحب مراتب الكمال حضرة السيد الغوث إسماعيل الولياني قدس الله سره . (يقول الذاكرون (مدد) بصوت عالي) .
* مدد يا سيدي وسندي ومرشدي وتاج رأسي ونور عيني جامع الأسرار والمعاني شيخ الإنس والجان ومرشد الزمان منبع العلم والعرفان حضرة السيد الغوث عبد الكريم الشاه الكسنزان رحمته الله . (يقول الذاكرون (مدد) بصوت عالي) .

* مدد يا سيدي وسندي ومرشدي وتاج رأسي ونور عيني شيخ الكسنزان شيخ الأصاغر والأكابر في دين الله مهاجر حضرة السيد الشيخ الغوث عبد القادر الكسنزان رحمته الله . (يقول الذاكرون (مدد) بصوت عالي) .

* مدد يا سيدي وسندي ومرشدي وتاج رأسي ونور عيني شيخ الكسنزان غوث الثقلين مربي المريدين وقدوة السالكين حضرة السيد الشيخ الغوث حسين الكسنزان رحمته الله . (يقول الذاكرون (مدد) بصوت عالي) .

* مدد يا سيدي وسندي ومرشدي وتاج رأسي ونور عيني العارف بالله حق العرفان صاحب مراتب الكمال حضرة السيد الشيخ الغوث عبد الكريم الكسنزان رحمته الله (يقول الذاكرون (مدد) بصوت عالي) .

* ثم يستمد مسؤول الحلقة من أستاذ الطريقة الحاضر . ثم يقول مسؤول الحلقة ، كلكم عونٌ وغوثٌ ومدد . ويشير إلى ضارب الطبله فتضرب بحركة متوسطة بين السرعة والبطء وتردد الجموع بصوت واحد ذكر (حي الله ... حي الله) الجهري مع تحريك الرأس يميناً وشمالاً ، إلى أن يشير مسؤول الحلقة للانتقال إلى ذكر آخر هو ذكر (حي الله ... حي الله) المخفي وهو ذكر سيدنا الغوث الأعظم السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني (قدس الله سره) ، وحركته تشبه حركة الذكر الأول مع انحناء بسيط إلى الإمام ، ثم ينتقل إلى ذكر آخر هو ذكر (حي ، حي ، حي الله ... حي ، حي ، حي الله) الجهري وتطبيقه كما يأتي :-

(حي) الأولى مصحوبة بحركة الرأس يميناً ، (حي) الثانية مصحوبة بحركة الرأس شمالاً ، (حي الله) الأخيرة مصحوبة بحركة الرأس يميناً مع مد صوت لفظ الجلالة (الله) . وعند تكرار هذا الذكر في المرة الثانية يكون ما يأتي :-

(حي) الأولى مصحوبة بحركة الرأس شمالاً ، (حي) الثانية مصحوبة بحركة الرأس يميناً ، (حي الله) الأخيرة مصحوبة بحركة الرأس شمالاً .

وتستمر الجموع على هذا الذكر إلى أن يتم الانتقال إلى ذكر (دائم ، دائم) الذي يُسمع دويُّه من الذاكرين أشبه بصوت منشار ينشر الخشب ، وفي هذا الذكر تُسرّع ضربات الطبله ، وحركة هذا الذكر يميناً وشمالاً ، ثم يشير مسؤول الحلقة إلى الانتقال إلى آخر هو ذكر (حي ، حي ، حي الله) وتُخفف ضربات الطبله ، ثم يُنتقل إلى ذكر آخر هو ذكر (دائم ، دائم) ، بعدها

يشير مسؤول الحلقة إلى جلوس الذاكرين مع ترديدهم هذا الذكر ، بعدها يُختم هذا الذكر ويُشار إلى إيقاف الطبلية ويردد الجميع ذكر (يا الله يا حي يا قيوم) بعدد خمسين مرة ، ثم تُقرأ الفاتحة .

وبعد انتهاء الذكر يجلس المريدون في التكية بكل أدب واحترام فرحين مستبشرين بما آتاهم الله من فضله والله ذو الفضل العظيم ، وبعدها يشربون الشاي ويتداولون الحديث مستمعين إلى كلام الخليفة المرشد ، يستفسرون عن بعض أحوالهم وأطوارهم بكل حب وأدب ، ثم يتفرق من أرادوا الذهاب إلى بيوتهم .. جماعات .. جماعات .. دون ضجيج مستغفرين تائبين يملأ قلوبهم الفرح والسرور الذي ادخله ذكر الله .
هناك جملة فوائد :

الفائدة الأولى : يجب موافقة حركة الذكر وعدم الاختلاف عنها ، إلا لمن صحبه حال وحال دون سكونه هو معذور ، كما يجب مراعاة صوت الطبلية في الحركة .

الفائدة الثانية : موافقة صوته صوت الحلقة من حيث الجهر والإخفاء وحسب النظام المتداول بطريقتنا لا يجهر في الإخفاء في الجهر .

الفائدة الثالثة : لا يخترق الصفوف أثناء الحركة لينفذ إلى داخل الحلقة ، بل يرى المكان الفارغ ويقف فيه إن جاء متأخراً .

الفائدة الرابعة : عدم مسك صاحب الحال أو الضرب على كتفه ظناً بالتخفيف ، بل يمسك صاحب الشوق ، والفرق بينهما : إن صاحب الحال بطيء الحركة لا يؤثر على الحلقة وصاحب الشوق سريع الحركة يقفز قفزات غير مرتبة وسريعة ، ضروري كي لا يؤثر على سير الذكر .

الفائدة الخامسة : عدم ترك حلقة الذكر أثناء سير الذكر لشرب الماء أو الكلام مع شخص آخر فإن فيها ضرراً كبيراً وحكم ذلك من ترك ساحة الجهاد لترويح نفسه فإن فيها وبالاً كبيراً .

الفائدة السادسة : لا يسمح للمرضى بالوقوف متفرجين محتجين بأمراضهم بل عليهم أن يدخلوا إلى داخل الحلقة ويجلسوا في وسطها .

الخلوة عند المشايخ الكسنزانية

الخلوة عند مشايخنا الكرام تكون لسلامة الدين وتفقد أحوال النفس وإخلاص العمل لله تعالى ... لا لأجل ما يظهر فيها من وقائع أو مكاشفات كما يدخلها بعض من أراد من ذلك نصيب ، جلسوا لوحدهم مع ربهم خالين من جميع الأفكار إلا ذكر الله ومجالسته حيث قال ﷺ في الحديث القدسي : ﴿ أنا جليس من ذكرني ﴾ وتأدبوا في مجالسة الحق وذكره لذاته لا لعلّة حتى صفت سرّائهم ولمعت بها أنوار التوحيد حيث لا موجود سواه .

ومما يذكر انه دخل عدد من الدراويش بإشارة الشيخ في عام (١٩٧٨ م) وفي (١٩٧٩ م) قبل شهر رمضان عشرة أيام ، دخل كل منهم إلى خلوته في نية خالصة لوجه الله تعالى لا لغيره . فمنهم من دخل في كهف ومنهم في جراديق بين الصخور وقد طبق عليهم النظام التالي :

طعام الدراويش في الخلوة

قُسِمَ طعام الخلوة إلى أربعة أقسام حسب عدة الخلوة :

- أ . في العشرة الأولى يكتفي الدراويش برغيف خبز يابس يزن أقل من (٢٠٠ غم) يُقسمه قسمين قسم للإفطار وقسم للسحور مع قليل من الفاكهة والشاي .
- ب . في الأيام العشرة الثانية يُعطى إليه نصف رغيف من الخبز يومياً يُقسمه إلى قسمين قسم للإفطار وقسم للسحور وقليل من الفاكهة والشاي .
- ج . وفي العشرة الثالثة يعطى إليه ربع رغيف من الخبز يقسمه إلى قسمين ، قسم للإفطار وآخر للسحور وقليل من الفاكهة بما يساوي مثلاً أربع حبات من العنب .
- د . وفي الأيام العشرة الرابعة والأخيرة يكون الترتيب كالآتي :

- في الأيام الستة الأولى منها يخير بين ربع رغيف من الخبز لوجبتي السحور والفطور يأكل كل مرة نصف الربع ، أو قليلاً من الفاكهة أما في الأربعة الأيام الأخيرة من هذه العشرة فيكتفي

بشربة ماء فقط في كل وجبة حتى ختام الخلوة يوم العيد أي عيد الفطر المبارك .

النوم

يمنع نوم الدراويش في الخلوة ليلاً مهما مرّ بظروف . فبعد الشروق بقليل يُسمح له بالنوم لفترة لا تتجاوز الساعة ، ثم يبدأ بعد ذلك بالاشتغال بورده ويمنع حينئذٍ من النوم حتى الشروق الثاني من اليوم التالي .

الجلوس داخل الخلوة

يجلس الدراويش داخل الخلوة كالجلوس للصلاة في وضع البروك ، وإذا تعب يسمح له بالتربع لأجل الاستراحة ، متجهاً نحو القبلة مغمضاً عينيه ، ويعمل بورده ولا يحق له الإتكاء فإذا أخذ منه الورد جذبه أو فقدته فعليه العودة بعد انتباهه وذهاب الوارد عنه .

الكلام داخل الخلوة

خصصت تسعة أوراد يستمر الدراويش في العمل بها ابتداءً من بداية الخلوة حتى انتهاء الأربعين يوماً . هناك دقة من حيث العدد ونورها كما يلي :

١ . لا اله إلا الله ١٠٠ ألف مرة .

٢ . يا الله ٧٨٨٤ مرة .

٣ . يا هو ٤٤٦٠٠ مرة .

٤ . يا حي ٢٠٥٩٢ مرة .

٥ . يا واحد ٩٣٤٢٠ مرة .

٦ . يا عزيز ٧٤٦٤٠ مرة .

٧ . يا ودود ١٠١٠٠ مرة .

٨ . يا رحمن ١٠٠ ألف مرة .

٩ . يا رحيم ١٠٠ ألف مرة .

- ١٠ . صلى الله سبحانه وتعالى عليك وسلم يا رسول الله (١٠٠) ، ويمشي الدرويش (١٠٠) خطوة يومياً .
- ١١ . يا خبير (١٠٠) مرة يومياً بعد صلاة المغرب والإفطار وهو واقف ثم يجلس ويأشرب بورداً الخلوة .

الخروج للوضوء

يخرج الدرويش للوضوء بعد أن يغطي جسمه ورأسه ويلف نفسه بقطعة قماش حذراً من الشمس والتيارات الهوائية ، ثم يقضي حاجته في مكان محدود ليس بعيداً عن خلوته ثم يعود إليها .

وهناك خليفة لمراجعة الدراويش عند الحاجة ويقوم بتوزيع الطعام لهم وإيصال بعض ما يطرق الدرويش إلى الشيخ للاستفسار عن ذلك أو يصحب الدرويش إلى الشيخ في وقت محدد وعندما يسمح بذلك إذا كان الأمر لا يتطلب الإباحة به .

الرياضات في الطريقة الكسنزانية

الرياضات من باب المجاهدة لقد أمر شيوخنا المريدون بممارسة الرياضات لكبح الشهوات ، فمن لم يتوفر له وقت لدخول الخلوة وتعلم الأمور الروحية وتذوق العبادات ليحصل على طهارة القلب وصفائه عليه بممارسة الرياضات وهي جزء من المجاهدة ولها مذاقات خاصة يتنور بها قلب المريد وتصفو سرائره ، وقد وضعوا مناهج مصينة لها في طريقتنا ، إذ أمروا خلفاء الطريقة بممارسة هذه الرياضات الروحية والمجاهدات النفسية أربع مرات في السنة ، كل واحدة منها أربعون يوماً ، أما المريدون فرياضاتهم ثلاث مرات في السنة مدة كل واحدة منها أربعون يوماً أيضاً .

وينص منهج الرياضة على ما يلي :

- ١ . يمتنع عن أكل المنتوجات الحيوانية ومشتقاتها خلال مدة الرياضة .
- ٢ . يقلل من أكل الخبز تدريجياً لأن له صفة اللحوم ومشتقاتها من حيث تأثيره واستثارتة للشهوات .
- ٣ . يقلل من كلام الدنيا ويجد في الذكر ما يعوضه في ذلك .
- ٤ . أن لا يشبع وجبات طعامه ولا يكثر من شرب الماء لأن ذلك يحثه على النوم والغفلة .
- ٥ . أن يأكل طعاماً حلالاً ليس فيه شبهة من حيث مصدره فأن ذلك أقرب إلى يقظة القلب .

وتُقسم كل مدة من الرياضة إلى أربع مراحل ، كل مرحلة عشرة أيام وكما يلي :

العشرة الأولى :

أ . الطعام :

الفطور : يكون وقت تناوله بعد صلاة الفجر حتى طلوع الشمس وارتفاعها عن الأفق ، ونوع طعام الفطور : قليل من الخبز ويستحسن اليابس والشاي ، وإذا وجد الشعير فهو أفضل ، وكلمة قليل تعني بقدر كف اليد وهي مبسطة مرتين .

الغذاء : نفس قياس خبز الفطور ويُضاف له الفاكهة والخضر .

ب . الأوراد :

إذا كان المريد في التسعة الأوراد الأولى (أي من لا اله إلا الله إلى يا رحيم) (١٠ آلاف) في النهار و (٣ آلاف) في الليل بالإضافة إلى الأوراد اليومية .
أما إذا كان المريد في العشرة أوراد الأخيرة أي من (سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله ..
الله اكبر .. إلى .. لا مراد إلا الله) (٤ آلاف) في النهار و (ألف واحد) في الليل بالإضافة
إلى الأوراد اليومية .

ج . الصلاة :

يحافظ على سنة الضحى (٤ ركعات) سنة الأوابين (٦ ركعات) سنة التساييح (٤ ركعات) سنة التهجد (١٠ ركعات) ويحافظ على سنة الوضوء .

د . السهر : ينام الساعة الحادية عشرة ويستيقظ قبل الفجر بساعة واحدة .

هـ . الصيام : يصوم يوم الاثنين والخميس والأيام البيض وهي أيام (١٣ ، ١٤ ، ١٥) في

كل شهر قمري .

٢ . العشرة الثانية :

أ . الطعام :

الإفطار : بقدر كف اليد مبسوطة مرة ومقبوضة أخرى من خبز الشعير أو الخبز اليابس

والشاي .

الغداء : نفس قياس خبز الفطور مع الفاكهة والخضر .

العشاء : يُقاس الخبز بقدر كف اليد مقبوضة مرة واحدة مع الفواكه والخضر .

ب . الأوراد :

إذا كان المريد في التسعة أوراد الأولى (١٠ آلاف) في النهار ، و (٤ آلاف) في الليل

بالإضافة إلى الأوراد اليومية .

ج . السهر : ينام الساعة الحادية عشرة والنصف ويستيقظ قبل الفجر بساعة وربع .

د . الصلاة : يحافظ على الصلاة المذكورة في العشرة الأولى .

هـ : يستمر في صيام الاثنين والخميس والأيام البيض .

٣ . العشرة الثالثة :

أ . الطعام :

الإفطار : بقدر كف اليد وهي مبسوبة مرة واحدة من خبز الشعير أو الخبز اليابس والشاي .

الغداء : نفس قياس خبز الإفطار مع الفاكهة والخضر .

العشاء : بقدر كف اليد مقبوضة من الخبز اليابس أو خبز الشعير والفواكه والخضر .

ب . الأوراد :

إذا كان في التسعة أوراد الأولى (١٢٠) ألفاً في النهار ، و (٥) آلاف في الليل بالإضافة إلى الأوراد اليومية .

وإذا كان في العشرة الأخيرة (٥) آلاف في النهار ، و (٣) آلاف في الليل .

ج . الصلاة : يحافظ على منهج الصلاة في العشرة الثانية .

د . السهر : ينام الساعة الثانية عشرة ويستيقظ قبل الفجر بساعة ونصف الساعة .

هـ . الصيام : يستمر في صيام الاثنين والخميس والأيام البيض .

٤ . العشرة الأخيرة :

أ . الطعام : يصوم العشرة الأيام الأخيرة كلها .

السحور : قليل من الخبز اليابس أو خبز الشعير والشاي .

الفتور : قليل من الخبز اليابس والفاكهة والخضر وبعض السوائل الساخنة .

ب . الأوراد :

إذا كان في التسعة الأولى (١٥) ألفاً في النهار ، و (١٠) آلاف في الليل ، ويحافظ على الأوراد اليومية .

ج . السهر :

إذا كان موظفاً حكومياً أو عاملاً فليقطع لنفسه ثلاث ساعات ونصف الساعة ليلاً ينام فيها ويسهر الساعات الباقية من الليل وإن لم يكن له عمل فيجب أن يسهر الليل كله وينام بعد صلاة الصبح .

هناك بعض الملاحظات يجب مراعاتها :

- ١ . أن لا يرى نفسه أفضل من غيره كي لا يؤدي ذلك إلى فساد مجاهدته .
- ٢ . أن يكون قليل الكلام قليل الضحك قليل الاختلاط .
- ٣ . له أن ينام بعد صلاة الظهر ولو ساعة واحدة ويحافظ على أداء الصلاة في أوقاتها .
- ٤ . عليه أن يخفي سلوكه جهد الامكان ولا يجعل أحداً يعرف بوضعه .
- ٥ . أن لا يتجاوز أوقات الطعام ويأكل بينها عدى السوائل ويمتنع عن شرب الماء البارد قدر الامكان .
- ٦ . يكون طوال وقته على وضوء تام .
- ٧ . يشد حزاماً على بطنه ليساعده على ترويض نفسه ففيه قوة وعزم .
- ٨ . عدم النوم على الوسائد المرتفعة والأسرة والاكتفاء بالنوم على الأرض ليكون قريباً من صلابتها والامتناع عن استعمال الأغذية الثقيلة كي ينهض لتكملة عباداته بدون تسويف وبكل نشاط .

الرد على المعترضين

هناك بعض المعترضين على سلوك مريدي طريقتنا فنجيب وباختصار عن ثلاثة من أسئلتهم :

- ١ . يقولون إن الله قد حلل عليكم فلم تحرمونه على أنفسكم ؟
- نقول : نحن لا نحرم الطعام إذا كانت نفوسنا مطمئنة أو راضية أو مرضية ، بل نحرمه على نفوسنا الأمانة بالسوء كي نرد إلى حالة الطمأنينة والرضا . لماذا لم تعترضوا على الأطباء عندما يمنعون المرضى من تناول بعض الأطعمة ؟ ألا ترون أن في ذلك شفاء للجسم وقضاء على الأسقام والمرضى ؟.

إن أمراض القلوب أقسى من أمراض الأبدان ، فإذا ما عاجلونا منها لم نرتجى الشفاء من الأدران والوساوس والتي هي من أمراض القلوب ، ولكي لا نفقد الاتصال المراد في الصلاة

بإتباعنا الشهوات ، حيث قال تعالى : ﴿ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ﴾ (٢٧٠).

٢ . وقالوا : لم تحرمون اللحم في رياضاتكم فهذا صيام النصارى ؟

نقول : ميّزنا شهوات النفس الى أيها أكثر ميلاً فوجدناها ميالة للحوم الضان والطيور المشوية والمطهية على اختلاف أنواعها . أكثر من ميلها إلى الخبز والفاكهة . اسأل نفسك أيها السائل ...! واسمع منها الجواب ، فحرمناها معناه ترويضاً لها وأن لم تؤمن أخي السائل بقولنا فجاهدناها عشرة أيام فقط ولا تأكل اللحوم ومشتقاتها لترى حالك وتجيّب نفسك عنا . لترى شدة تعلقها بذلك كي تعذرنا وتقول : ما شدة تعلقها باللحوم وكما يقول المثل السائد (المجرب خير من الحكيم) .

٣ . وقالوا : ماذا تبغون من رياضاتكم ؟

نقول : هو تهذيب النفس وكبح جماحها وإبعادها عن ملذات الدنيا وشهواتها ونسيان الآخرة حسابها وعقابها . ألا ترى أهل الدنيا مشغولين بالأكل والشرب والنوم في الليل والنهار وهم ملء البطون وجمع الأموال والحفاظ على زخارف الدنيا .
فيا أخي السائل راجع نفسك واسهر وأكثر من ذكر الله ﷻ ترى قلبك يبتعد عن الدنيا ، أترك الترف والبطر لترى الفارق بأم عينيك ولا تعود نفسك على الجدل الفارغ فيما ليس لك به علم ، فتنكر على أولياء الله تعالى نهجهم ، تصفح مسيرتهم لترى جوعهم وسهرهم وصمتهم وشدة حرصهم على عباداتهم وصقل قلوبهم وتنويرها بنور الحقيقة والحق .

فضائح المنتفعين باسم التصوف

إن الذي يعيش حالة التصوف بين الناس سيطلع على انحرافات لا تمت إلى الطرق الصوفية بصلة ، وهذه الانحرافات نتجت من بعض المتصوفة المنحرفين الجهلة المنسوبين إلى التصوف زوراً ، الذين هم مستبدون بآرائهم لا يقبلون نصيحة ولا يعترفون أنهم يقتربون جرماً في حق هذا النهج الصافي مستغلين عوام الناس والجاهلين منهم منتفعين باعتقادات الخلق بهم .

إن من يزور بعض التكايا هذه الأيام سيرى بأمر عينيه العجب العجيب عند بعض المتمشيخين المستغلين لعوام الخلق ، نورد في أدناه حكايات مختصرة عن شهود عيان أَمْلاً في إزالة الإشكال وإيضاح الصواب وتقديم النصح في الابتعاد عن مثل هؤلاء المشعوذين المنتفعين باسم التصوف وتحت رايته وإنقاذاً للتصوف من الشبهات والضلالات والادعاءات الباطلة التي يراها الناس ويحتج بها أعداء التصوف ليزرعوا الشك في قلوب الناس ويحطموا عقائدهم على صخرة عبودية الشيطان وينحرفوا بهم عن الصراط المستقيم الذي سلكه الأولياء إلى الله تعالى . آمين الانتفاع والله المستعان إنه نعم المولى ونعم النصير .

الحكاية الأولى .. المناديل الورقية :

قال : قمت بزيارة إحدى الزوايا فوجدت مسؤول الزاوية يجلس على تخت فسلمت عليه فرد السلام عليّ بصوت لا أكاد اسمعه . فطلبت أن يأذن لي بالجلوس فأذن ، فجلست وبادرني بالسؤال ما حاجتك ؟ فقلت له : أتقضي الحوائج في هذا المكان ؟ قال : نعم [وأتشفو اشلون شغلك يمشي] ، فما دخل في خاطري صدق هذا الدجال ولكن أردت الكيفية ، فانتبهت على يساره ، وقريب من وسادته سلة كبيرة مليئة بالمناديل تعدّ بالمئات ورأيت أطراف هذه المناديل معقودة وليس لها شكل واحد بل مختلفة ، فما بادرت بالسؤال بل انتظرت حتى تنجلي لي الحقائق ، فأمرني أن اجلب له منديلاً فأطعت أمره وخرجت وبالقرب من بابه كان يجلس شخص يبيع المناديل وكأتهما قد اتفقا على ذلك فدفعت المبلغ واشتريت المنديل ثم دخلت إليه واخذ المنديل وطلب مني ربع دينار قائلاً بلهجته العامية : [جيب الشوف واعرف منديلك حتى تأتي باجر وانشوف شغلك أيصير لو ما يصير] . وقلت له باللهجة وكلي هدوء [ليش مو اليوم] ، فقال لي [اوليدي أنت ما تعرف سر الأولياء يطلع بالليل من أنام ويعلموني على

شغلك وإن شاء الله باجر أعطيك الجواب ليش عجولين] . فنازعني نفسي على مناقشته وأردت أن أقول له : إن كنت صادقاً لم لم يعلموك وأنت مستيقظ وبكافة قواك العقلية أم في هذه النومة يكشف لك الأولياء عن مئات بل آلاف المشكلات المعقودة في المناديل لتصبح وتجيّب الناس وتقضي مشكلاتهم - تنزه أولياء الله فُدست أسرارهم عن مثل هذه الافتراءات والضلالات وأن تسأل الناس خير لك من أن تنسب ذلك إلى أولياء الله الصالحين المنزهين .

وما أن هممت بمناقشته حتى دخل شخص وقال له : [عمي حاجتي] ، وجرى حديث وشم لا يليق ذكره في مثل هذا الكتاب ، فالداخل يتمزق غيظاً لأن صاحب هذه الزاوية سرق أمواله بجيلة واخاديعه (وكفى الله المؤمنين القتال) ، وما حلّ له مشكلته ويواعده كل يوم ويؤجله إلى شهور ، ثم التفت بكلامه وشم زوجته التي كانت تصرخ وتصيح قائلة : [دخليكم يا جدودي هذا مخبل] فما كان مني إلا أن أخذت بيد الرجل لأخرجه من الزاوية ، فهدأته ثم حكى لي قصته لا يسعني التحدث عنها لما فيها من تضليل وضلال . فقلت له لا تسيء الظن بأولياء الله فهؤلاء الناس منتفعون باسم الصوفية وباسم الأولياء قدس الله أسرارهم ، فإنهم لا يقبلون مثل هذه الأكاذيب والتصرفات .

وما أن عاد إليه روعه وهدأت أنفاسه عدت به إلى الزاوية ليصحب زوجته ويحسن ظنه بأولياء الله وعباده الصالحين بعد أن علمته كيف يقنع زوجته ويردها عن جهلها ، وما ان دخلنا حتى وجدنا صاحب الزاوية يقهقه ضاحكاً وزوجة الرجل إلى جنبه تقهقه ضاحكة أيضاً فصمتوا فجأة عند دخولنا وسحب الرجل زوجته من يدها وخرج .

أما أنا فخرجت فاراً لا أقوى على المسير لأقف هنيهة في باب الزاوية يعلوني الحزن ويمزق أحشائي لما فعل هؤلاء بأسماء أولياء الله وغرسوا الشكوك في قلوب الخلق ، فمسكت باب الزاوية لأسيطر على وقوفي ثم خرجت مفوضاً أمري إلى الله تعالى وفي لساني وجوارحي تطرق : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الحكاية الثانية : سعر الزعفران .

قال : دخلتُ إحدى الزوايا التي يتردد عليها الناس بكثرة معتقدين بشيخها فقلت في

نفسي : أريد أن ادعي بأن لي مشكلة لأرى ما يدور وراء جدرانها .

فما أن دخلت الزاوية حتى فوجئت بجمع غفير من النساء والعجائز يحطن برجل وسطهن ، فسلمت عليه فأشار لي بإصبعه أن أجلس على طرف مع الرجال الجالسين كي يقضي حوائج النساء . رأيته متربعا وأمامه صندوق فيه جرارات وفيه كتاب وعنده محابر كثيرة بألوان مختلفة يتخذة كالرحلة يكتب عليها ورأيت عن بُعد شرائط من الورق مصفوفة على رحلته وقربها صحن فيه قبضات من الشعر مشدودة وقطع قماش صغيرة من ثياب نساء ورجال أظن إنها بالية ليست جديدة كلها ، فأفرعني المنظر عندما سمعته يتكلم من النساء ويضحك بصوت مرتفع ويتفحص بعينه بعض وجوه النساء الجميلات ويدقق النظر في أطرافهن فاستغفرت الله تعالى في داخلي وهممت بالخروج لولا أن حيي للإطلاع منعي .

فأردت أن أتقرب ولو قليلاً لأسمع ما يدور من الحديث بينه وبينهن ، فلفظ بي المولى وجاء رجل ودخل الزاوية ، عندها قمت فأخليت له مكاني احتراماً لسنه ومقرباً من هذا علي استرق السمع . وعندما جاء دور أحدهن قالت : شيخ أي متزوجة من جديد وزوجي يكرهني وتحرضه علي أمه ، فأريد محبة بيني وبينه . فأجابها قائلاً : أول الأمر أتجيبين من شعر أمه ومن ثوبه قطعة صغيرة ...! . فانكشف لي سر وجود الشعر وقصاصات القماش . وثانياً تقدمين عربوناً مقداره مائة وخمسون ديناراً أو خروفاً . الكلام ما زال لذلك الرجل . ومن أتصير المحبة تدفعين مائتي دينار أو خروفاً وإذا ما تدفعين اكلب الطابك طُبك ... مفهوم ؟ . على حد تعبيره هو . فأجابت المسكينة وهي مرتعشة : صار شيخ . فسمعت إحدى قريباتها تهمس بها وكأنها دلالة في مثل هذه الأمور ، ادفعي بابة لا تفقدين زوجك وبيتك . فأجابتها : ما عندي بس مائة دينار ... يقبل ؟ . فالتفت عليها مغتاظاً وقال لها : هذا ما يكفي سعر الزعفران ... وعلفهم ... وحقي آني ... غير راح أتوسل بيهم . فأصبحت أسأل نفسي عندها ماذا يعني علفهم ؟ ... وحقي ؟ ... هل عنده حيوانات ؟ . فرجعت إلى جليسي الذي يجلس بجني وهو أيضاً يصغي معي كي احصل على إيضاح قبل أن أنسى العبارة لأسأله : ما المقصود بحقي ؟ وما المقصود بelfهم ؟ فأجابني بكل طمأنينة تدل على انه جرت عليه الأمور كالعادة قائلاً : أخي علف عفاريت الجن وحق توسله بيهم . فقلت له متعجباً : هذه الزاوية مال عفاريت ليش كاتب

عليها أسماء الأولياء ؟

ولكن لا أحد من الموجودين يرد عليّ الجواب ...! فغضبت غضباً لا أطيعه وأردت أن اهجم على هذا الضال المضلل حتى صرخت في وجهه قائلاً : بعد أن ملأ صوتي أرجاء زاويته .. أين أنت من قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾^(٢٧١) . فمسكوا بي جنود الشيطان ليخرجوني من الزاوية إلى الشارع .

فشكوت أمري إلى الله تعالى وتساءلت في نفسي .. كيف أن نرشد إلى الطريق الحق ونكلمهم بالتصوف إذا كان يعيش بيننا مثل هؤلاء الضالين والمضللين ؟ كيف نوجه الناس إلى سبيل الرشاد ؟

فبينما أنا أعيش في جو هذه الأسئلة حتى أمطرتني خاطر مدو يذكرني بقول شيخ طريقتنا الكسنزانية الغوث عبد القادر الكسنزاني رحمته الله : إن الذي يأخذ من الناس فلساً لا يساوي هو وشيخه فلساً . ثم رجعت إلى داري والحزن يدب في خاطري متأماً على هذا المشهد القاسي .
مثل هذه الزوايا تستتر أبوابها بأسماء الأولياء أهل الصفاء والنقاء ، كيف يسعى مثل هؤلاء الضالين لاستغلال هذه الأسماء والرايات الخضر ليضلوا الناس عن الطريق ، ويشوهوا سمعة التصوف ومسيرة الأولياء الخاصة .

الحكاية الثالثة : التعزيم والخلوة بالنساء .

قال : دخلت يوماً زاوية أحد هؤلاء الضالين فقرأت فوق بابها اسماً خضعت له الرقاب بأحكام الشريعة والطريقة ، فيا أسفاً ... وجلست في زاويته وإذا ببضع نساء يجلسن بداخلها مع رجلين أحدهما شاب ، والآخر مسن أمامه محفظة نقوده يخرج منها مالاً ويناوله لذلك الضال ويقول له : بموسم الزرع القادم أعطيك الباقي .

ماذا أقول وقد اعتدت على مشاهدة مثل هذه الحالات ؟

فما بوسعي أن أسأل هؤلاء المفاليس ... الفقراء ... وهم يتعاملون مع هؤلاء الضالين

الذين يشتركون بآيات الله ثمناً قليلاً ؟ . فرد عليه الضال قائلاً : ماكو مانع . عندها نهض وأمسك بيد بنت وخرج بها ... وما عرفت أين خرج ، فمرت ساعة أو ساعتين والنقاش يدور بين باقي النساء والرجل الذي راحت نبرات صوته تفضحه معلنة أنه واقع تحت أمر تلك النسوة ، اللواتي صنع منهن الشيطان خيالاً له ، وكل ما فهمته من المناقشة بينهم أن البنت التي قادها هذا الضال تعاني من أمراض عقلية ، فترددت كثيراً أن أسألهم أين ذهبوا ، ولما بعد أن مسني طول الانتظار بادرتهم بسؤالي وباللهجة العامية قائلاً : [خالي هذا وين راح صاحبكم ؟] فردت عليّ امرأة عجوز من بينهن [اوليدي راح يعزم عليها] فسارعت بالسؤال وقلت : وين خالة ؟ قالت : بخلوة خاصة . فعجبت من أمرهم وسألت متحفزاً : [يجلس معها بمكان خاص ولوحدهما] ؟ فالتفت الرجل المسن وكأني ارتكبت جرماً ليقول لي : [نعم أكو شك] ؟

فتأوهت والتزمت الصمت وحسن الظن ، وبينما نحن كذلك سمعت خطوات أقدام نحو الباب وإذا بهذا الضال يدخل لوحده ويأخذ مكانه من دون الفتاة ، فدخلت في نفسي خواطر كثيرة وأنا انظر إليه . إذ كان يختلف عن جماعته في نقطة واحدة .. أراه أحياناً يرتعش بجسمه ويحمل في يده سبحة طويلة ، وما هذه الرعشات الكاذبة إلا شبكة يصطاد بها الناس المغفلين الذين يظنون به الظنون . فبادرهم قائلاً : [هذه يجب أن تبقى عندي أسبوعاً كاملاً بالخلوة لأن العفاريات هواهم داخل بمخها] .

فاشعر جسدي وفقدت وعيي حتى صرخت قائلاً : [والله ما أرى هذه العفاريات إلا أن دخل هواها بمخك يا محتال يا قدر] وخرجت من زاويته بعد أن هجمت النساء عليّ وكأنهن شياطين والعياذ بالله .

فما قصة هذه العفاريات التي يخوفون بها الناس البسطاء ؟ إنهم كالجراد يقتاتون على أموال الفقراء ، لم لم يوجهوا عقائد هؤلاء إلى الصراط السوي ويرشدوهم إلى عقائد الإيمان ؟ أسئلة كثيرة تجول بخاطري تنادي قائلة : [لم لم يتحدث العلماء في خطبهم ويردوا الناس عن مثل هذه الضلالات وهذه الأعمال الموبقات ؟] .

لا يسعني أن اذكر كل ما سمعت ورأيت لأن ذلك وحده يحتاج إلى أعداد كتاب للرد على هذه الأفكار الضالة الساعية لتشويه التصوف والتي يتخذها أعداء التصوف خنجراً ساماً يطعنون

به التصوف . فأحببت أن اخلص إشارات تكفي لمن اعتبر كي لا يطول علينا الموضوع ونخرج عن صلبه .

الإشارة الأولى :

بعض المتجولين بين الناس يسألون الناس إلخافاً وينسبون أنفسهم إلى الشيوخ والتكايا يمدون أيديهم إلى جيوب الناس بحجة قضاء حوائجهم وفوائدهم ويقولون لهم : اعطني خمسين ديناراً وشغلك يصير ، ويستغلون هذه الأموال لمنافعهم الشخصية فيشترون بها فخار الثياب ويبينون بها البيوت وينمون بها دنياهم ، فالحذر كل الحذر من هؤلاء البغاة .

الإشارة الثانية :

وبعض جهال التصوف إذا شكي أحد أمراً صعباً له أو حالة مرضية حلت به أمره أن يذبح الذبائح ويدعوهم ليأكلوا ويشربوا ويجلسوا للقصائد ويجمعون الصبيان والنساء حولهم يتراءون في مقولاتهم ويتنافسون بجمال أصواتهم ليطربوا الأنفس ويقولون لهذا البائس دعونا لك بالشفاء ، فالحذر من هؤلاء القوالين .

الإشارة الثالثة :

ومنهم من يضع في إحدى الغرف شجرة النسب الشريف أو سلسلة الطريقة الشريفة ويأمر الناس لزيارتها ، فلا بأس في ذلك ولكن يأمر الناس بتقديم الأموال عوض الزيارة فالبأس كل البأس ، فالمؤلم في ذلك هو جباية الأموال وكنزها أو بناء البيوت وشراء السيارات ، فالحذر من هؤلاء الضالين والرد عليهم هو الرد عن كرامة المتصوفين ونقاء طريقهم من مثل هذا .

الإشارة الرابعة :

بعضهم يوعد الناس بالشر وهلاك الزرع والنسل إن لم يقدم الناس له الهدايا والهبات فأين هذا من هذا . فإذا كان ما وعدوا به قضاء الله وقدره استبشروا بضرر الناس وهلاكهم ، فأين هؤلاء من أصول التصوف وعفته وأفكاره السامية .

الإشارة الخامسة :

وهناك من يكشف الكتاب في زاويته ويجيب الناس من الكتاب . فهذه بعض كتب السحرة المشعوذين . ويأخذون من الناس ما يسمونه بحق كشف الكتاب ويخبرونهم أن هذا الكتاب فيه غيبات الخلق وقد سطرت فيه إرادتهم وكأنها وسيلة من وسائل الإيحاءات لهم ، يوحى لهم قرينهم الشيطان عن مستقبل الناس وخفاياهم ويذكر أسماء الضارين منهم والنافعين . فالعلمون حقاً لا ينطقون وإذا ما نطقوا لا يعوضون نطقهم بمالٍ يقترفونه من بين الناس .

الإشارة السادسة :

وهناك بعض الكهنة والمنجمين وأهل الترقيم وقراء الكف والفنجان يحملون خرزهم ، رؤوسهم كثة وملابسهم قذرة يتشبهون بالمتصوفة أهل المجاهدات والخلوات ، أهل العفة والورع . يفتون الناس ويقرؤون رموزهم ، كما رأيت عدداً من الناس يعتقدون بهم ويسيروا خلفهم ، يستعملون أساليب شتى ييغون بها حطام الدنيا وخزي الآخرة ، فأنتى لهؤلاء الضالين من سير المتصوفة الصادقين وسلوكهم فالحذر ... الحذر منهم .

الإشارة السابعة :

وأعجب ما رأيت في هذه القصة ؟

جاءني شخص يوماً يسأل عن صاحب زاوية أعرفه من الضالين ، فأردت أن استفسر عن حاجته كي أردّه عن هذا الضال ، فذكر لي قائلاً : يقولون عنده مرآة يشوف بيها . قلت له : ماذا ؟ قال : أيشوف بيها ...!

قلت له : صارحني بقصتك وستجدني إن شاء الله أخاً لك يساعدك ويدلك على الطريق الصحيح . فقال راوياً قصته :

كنت أنا وزوجتي في بيت أحد أقربائي ، وسرق من زوجتي باوند ذهب كلفته سبعمائة دينار وجرت اتهامات بيني وبين زوجتي وبيت أقربائي ، هذه قصتي وذكر لي إن لهذا الشخص مرآة يرى فيها اللص الذي سرق .

وما كان بوسعي غير أن أنهيه عن ذلك بأسلوب جميل موضحاً بأنه صاحب العقل الراجح
كيف يؤمن بهذه الخرافات والأضاليل . فإذا كان صاحب هذه المرأة صادقاً في دعواه لم لم يجلس
في مراكز الشرطة وليرشدهم ويدلهم على أهل الجرائم والسرقات وفي ذلك منفعة عامة للخلق ،
أليس كذلك ؟

أخي أرجع إلى رشدك وابتعد كل بُعدك عن هذه الأضاليل والأكاذيب وحاربها ومروجها
بين الخلق .

الطهارة

قال الله تعالى في وصف أصحاب الصفة : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ (٢٧٢).

* قضاء الحاجة : شروط قضاء الحاجة في الأرض العارية كالصحراء أو في أراضي المزارع .

- ١ . لا يستقبل الشمس والقمر ولا يستدبرهما .
- ٢ . لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها .
- ٣ . يتجنب مهاب الريح وذلك احترازاً من الرشاش .
- ٤ . لا يقضي حاجته تحت شجرة أو في ظلها ولا في الطرقات ولا في أماكن اجتماع الناس .
- ٥ . ولا يبول في المياه الراكدة أو المياه الجارية .
- ٦ . ولا في حجر حيوان ولا فوق النباتات الخضراء مما يستفيد منه الناس .
- ٧ . أن يستتر بعيداً عن العيون وراء حائط أو نشز من الأرض أو كوم من الحجارة ويجوز أن يستتر الرجل بثوبه إذا حفظ الثوب من الرشاش ويستحب البول على أرض دمثة أو تراب مهيلة .
- ٨ . لا يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض .

* دخول بيت الماء وكيفية قضاء الحاجة :

- ١ . تقديم القدم اليسرى عند الدخول وتقديم القدم اليمنى عند الخروج ويقول قبل الدخول : بسم الله أعوذ بالله من الخبث والخبائث .
- ٢ . لا يتكلم أثناء قضاء الحاجة ولا يرد السلام على أحد .
- ٣ . لا يحمل شيئاً فيه اسم الله أو غير ذلك من خاتم أو شيء آخر .
- ٤ . يغطي رأسه إن أمكن .
- ٥ . أن يرفع حجره عن الأرض ويتكئ على قدمه اليسرى إذا أحس بضيق الخروج .

- ٦ . لا يُكثر النظر إلى عورته إلا بقدر الحاجة .
٧ . أن يتنحى ثلاث مرات بعد الفراغ من قضاء الحاجة .
٨ . يمسح الذكر ثلاث مرات بسبابة اليد اليسرى ومن أسفله ابتداء من الخلف إلى المقدمة كي يستبرئ من بقية البول .

* الوضوء :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ (٢٧٣).

* كيفية الوضوء :

- ١ . عند الوضوء يتدبى الشخص بنية الوضوء ثم يقول : رب أعوذ بك من هزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون .
٢ . اغسل يديك إلى الرسغين واخلل أصابعك ثم قل : (اللهم إني أسألك الثمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة . وأتم غسل اليدين ثلاث مرات .
٣ . خذ بيدك لبناء وضعه في فمك وتمضمض وتغرغر حتى يرد الماء إلى الغلصمة ثلاثاً وتقول : اللهم صل على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى اله وصحبه وسلم تسليماً أعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ... ويرفق الصائم بالغرغرة خوفاً من وصول الماء إلى المعدة .
٤ . استنشق ثلاثاً حتى يصل الماء إلى الخياشم ويرفق الصائم من هذا أيضاً ثم تقول : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد أوهني راحة الجنة وأنت عني راضٍ .
٥ . اغسل الوجه ثلاثاً وتشهد في كل مرة : وحد الوجه من مبتدأ تسطيح الوجه إلى منتهى الذقن وما ظهر من اللحية وموضع الصلع وما انحسر من الشعر وهم النزعتان من الرأس وفي حالة أن تكون اللحية خفيفة يجب إيصال الماء إلى البشرة وحد الخفيف أن ترى البشرة من تحته وإن

كانت كثيفة فلا يجب .

٦ . اغسل اليد اليمنى إلى المرفق ويجب إدخال المرفق في الغسل ويستحب غسلها إلى نصف العضد ، وتقول : اللهم ثبت كتابي في يميني .. ثلاث مرات .

٧ . اغسل اليد اليسرى بنفس الكيفية عند اليمنى وتقول : رب يسر ولا تعسر .

٨ . امسح الرأس ويكفي ما يطلق عليه اسم المسح . واستيعاب الرأس بالمسح سنة وهو أن يُلصق رأس أصابع اليمنى باليسرى ويضعها على مقدم الرأس ويمدها إلى القفى ثم يردها إلى الموضع الذي بدأ منه ويقول : اللهم توجني بتاج من الجنة ولا من النار .

٩ . أمسح أذنك ظاهرهما وباطنهما بإبهامك وسبابتك ثم تقول : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد واسمعي منادي الجنة مع الأبرار .

١٠ . اغسل القدم اليمنى ثلاثاً ويجب إدخال الكعبين في الغسل ويستحب غسلها إلى أنصاف الساقين ويجب تخليل الأصابع الملتفة وإن كان في الرجل شقوق يجب إيصال الماء إلى باطنها وإن كان فيها عجيناً أو شحماً يجب تنظيفه ثم تقول : رب ثبت قدمي وقدم والدي على الصراط مع أقدام المؤمنين .

١١ . اغسل القدم اليسرى ثلاثاً بنفس الطريقة وتقول فيه : رب يسر ولا تعسر .

١٢ . عند الانتهاء تقول : اشهد أن لا إله إلا الله واشهد إن محمداً عبده ورسوله .

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد واجعلني من التوابين والمتطهرين .

* فرائض الوضوء :

١ . النية عند غسل الوجه .

٢ . غسل الوجه .

٣ . غسل اليدين إلى المرفقين .

٤ . مسح الرأس .

٥ . غسل الكعبين مع القدمين .

٦ . الترتيب على النسق المذكور في كلام الله تعالى .

٧ . إتباع الطهارة في الدرس الماضي .

* سُنَنُ الوُضوء :

- | | |
|----------------------------|----------------------------|
| ١ . التسمية في أول الطهارة | ٢ . غسل اليدين إلى الكعبين |
| ٣ . المضمضة والمبالغة فيها | ٤ . تخليل اللحية الكثة |
| ٥ . تخليل الأصابع المتفرجة | ٦ . البداءة بالميا من |
| ٧ . الاستنشاق والمبالغة | ٨ . إطالة الغرة |
| ٩ . استيعاب الرأس | ١٠ . مسح الأذنين |
| ١١ . التثليث | ١٢ . التتابع |

* نواقض الوُضوء :

يُفسد الوُضوء ويبطله أحد الأمور التالية :

- ١ . خروج شيء من أحد السبيلين من بول أو غائط أو ريح .
 - ٢ . النوم العميق .
 - ٣ . الإغماء وزوال الإدراك بأي سبب .
 - ٤ . لمس الميت .
 - ٥ . لمس المرأة الأجنبية .
 - ٦ . لمس منطقة العانة بباطن اليد أو ذكر الطفل .
- فائدة (١) : يجتنب أن يزيد على ثلاث وأن لا ينفذ اليد ولا يتكلم أثناء الوُضوء ولا يرد السلام لأحد ، ولا يلطم وجهه بالماء لطمًا ، ولا يُسرف في الماء ، ويتوجب حضور القلب عند الوُضوء .
- فائدة (٢) : يُستحب تحديد الوُضوء بشرط أن يصلي سنة الوُضوء وإلا فمكروه .

التيمم

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ (٢٧٤).

من تعذر عليه استعمال الماء لفقده من بعد الطلب أو لمانع له عن الوصول إليه من سبع أو حابس أو كان الماء الحاضر يحتاج إليه لعطشه أو لعطش رفيقه أو كان مملوفاً لغيره ولم يبعه إلا بأكثر من ثمن المثل أو كان به جراحة أو مرض وخاف من استعماله ، ينبغي أن يصير حتى يدخل عليه وقت الصلاة الفريضة ، ثم يقصد صعيداً طيباً عليه تراب طاهر ، بحيث يثور من غبار ويضرب كفيه ضاماً بين أصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة ولا يكلف إيصال الغبار إلى ما تحت الشعر خف أو كثف . ثم ينزع خاتمه ويضرب عليه ثانية ويفرج فيها بين أصابعه ويمسح بكفه اليسرى يده اليمنى وبكفه اليمنى يده اليسرى ، وإذا صلى به الفرض فله أن ينتقل كيف يشاء ويعيد التيمم بفرض ثانٍ .

* الاغتسال :

يغسل يديه ثلاث مرات ثم يستنجي ويزيل ما على بدنه من نجاسة إن كانت ، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة كما وصفنا إلا غسل القدمين فإنه يؤخرهما . ثم يصب الماء على رأسه ، ثم شقه الأيمن ثم الأيسر ، ثم يذلل ما قبل من بدنه وما أدبر ويخلل شعر الرأس واللحية ويوصل الماء إلى منابت ما كثف منه وما خف وليس على المرأة نقض الضفائر إلا إذا علمت أن الماء لم يصل خلال الشعر ويتعهد معاطف البدن والغسل الواجب بأربعة - بخروج المني والتقاء الختانين والحيض والنفاس ، وما عداه سنة كغسل العيدين والجمعة والإحرام والوقوف بعرفة والدخول بمكة ولمن غسل ميتاً .

* آداب الحمام :

على داخل الحمام وظائف تعد من السنن والواجبات ، فعليه واجبان في عورته وواجبان في عورة غيره ، أما الواجبان في عورته فهو أن يصبونها عن نظر الغير ويصبونها من مس الغير فلا يتعاطى أمرها وإزالة وسخها إلا بيده ، ويمنع الدلاك مس الفخذ وما بين السرة إلى العانة والواجبان في عورة الغير أن يغض نظر نفسه عنها وان ينهى عن كشفها .

وأما السنن فمنها :

النية : وهو أن لا يدخل لعاجل دنيا ولا عبثاً لأجل هوى بل يقصد به التنظيف المحبوب تزيئاً للصلاة ويقدم رجله اليسرى عند الدخول ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق في الأول ولا يبذر في الماء وان يتذكر حر الحمام وقيسه بجهنم ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله وَعَلَّكَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ ، وَيَكْرَهُ طَبِيباً صَبَ الْمَاءَ الْبَارِدَ عَلَى الرَّأْسِ عِنْدَ الْخُرُوجِ أَوْ شَرِبَهُ .

وإذا خرج من الحمام عليه لبس الملابس النظيفة وتطيب جسمه بالرائحة العطرة وشرب قليل من المواد الساخنة كالشاي والحامض إن وجد وعدم تعريض جسمه للهواء القوي وينتظر حتى تنشف أجزاء جسمه من بلل الماء ويستحب النوم بعد الحمام ولو قليلاً إلا إذا كان الوقت لا يسمح .

الصلاة

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ (٢٧٥).

أوقات الصلاة :

- أ . الصبح : يبدأ الوقت من طلوع الفجر وينتهي عند طلوع الشمس كاملة .
- ب . الظهر : يبدأ وقته من زوال الشمس عن وسط السماء وينتهي قبل العصر .
- ج . العصر : يبدأ حين يصبح ظل الشمس للشخص مرة ونصف وينتهي عندما تغرب الشمس .

د . يبدأ من غروب الشمس وينتهي عندما يغيب الشفق الأحمر أي بعد المغرب بساعة
وثلث الساعة تماماً .

هـ . العشاء : يبدأ من بعد غياب الشفق الأحمر ويمتد وقته إلى طلوع الفجر .

* أعمال الصلاة الظاهرة :

إذا فرغ المصلي من الوضوء والطهارة من الخبث في البدن والمكان والثياب وستر العورة من
السرة إلى الركبة بالنسبة للرجل وكافة الجسم يعتبر عورة ما عدا الوجه والكفين بالنسبة للمرأة ،
فعلى المصلي أن ينتصب قائماً متوجهاً إلى القبلة وليقترب من جدار الحائط ، فإن ذلك يقصر
مسافة البصر ويمنع تفرق الفكر وليحجر على بصره أن يجاوز موضع سجوده وليدم هذا القيام
كذلك إلى الركوع من غير التفات ثم ينوي أداء الصلاة بقلبه ويرفع يديه إلى حدو منكبيه مقبلاً
بكفيه إلى القبلة ويسط الأصابع ولا يقبضها ولا يتكلف فيها تفريجاً ولا ضمّاً بل يتركها على
مقتضى طبعها ويكبر ثم يضع اليدين بحيث يكون الرسغ على الرسغ على الحزام ويضع اليمنى
على اليسرى ، ولا ينفض يديه إذا فرغ من التكبير بل يرسلها إرسالاً خفيفاً رقيقاً .

* القراءة :

ثم يتندى بدعاء الاستفتاح عقب التكبير قائلاً : وجهت وجهي للذي فطر السموات
والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين
وحده لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين .

ثم يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم يقرأ سورة الفاتحة ويقول بعدها آمين ، ولا
يصلها بقوله : (ولا الضالين) ، ويجهر بالقراءة في الصباح والمغرب والعشاء إلا أن يكون مأموماً
ويجهر بالتأمين ثم يقرأ آيات من القرآن فما فوقها ولا يصل آخر السورة بتكبيرة الركوع بل يفصل
بينهما بقدر قوله : سبحان الله .

* الركوع ولواحقه :

ثم يركع ويراعي فيه أموراً وهو أن يُكبر للركوع وأن يرفع يديه مع تكبيرة الركوع وأن يمتد

التكبير إلى تمام الركوع وأن يضع راحتيه على ركبتيه في الركوع وأصابعه منشورة مُوجهة نحو القبلة على طول الساق وان ينصب ركبتيه في الركوع وان يمد ظهره مستوياً لا يكون رأسه اخفض ولا ارفع وان يجافي مرفقيه عن جنبه وتضم المرأة مرفقيها إلى جنبها وان يقول : (سبحان ربي العظيم) ، ثلاثاً والزيادة إلى السبع ، وإلى إحدى عشرة حسن إن لم يكن إماماً ، ثم يرتفع من الركوع إلى القيام ويرفع يديه ويقول : (سمع الله لمن حمده) .

ويطمئن في الاعتدال ويقول : (ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد) . ويقنت في الصبح في الركع الثانية .

* السجود :

ثم يهوي إلى السجود مكبراً فيضع ركبتيه على الأرض ويضع جبهته وكفيه مكشوفة ويكبر عندما يهوي ولا يرفع يديه مع غير الركوع ويجافي مرفقيه عن جنبه ولا تفعل المرأة ذلك ، ويضع يديه على الأرض حذاء منكبيه ولا يفرج بين أصابعهما بل يضمهما ولا يفترش ذراعيه على الأرض ويفرج بين رجليه ولا تفعل المرأة ذلك ، ويرفع بطنه عن فخذه ولا تفعل المرأة ذلك ويقول : (سبحان ربي الأعلى) . ثلاثاً فأن زاد فحسن إلا أن يكون إماماً ثم يرفع من السجود فيطمئن جالساً معتدلاً فيرفع رأسه مكبراً ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذه والأصابع منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفرجها ويقول : (رب اغفر لي وارحمني وارزقني واهدني واجبرني وعافني وأعف عني) ، ويأتي بالسجدة الثانية كذلك ويصلي كذلك ويصلي الركعة الثانية كالأولى .

* التشهد :

ثم يتشهد في الركعة الثانية التشهد الأول ثم يصلي على رسول الله ﷺ وعلى آله وأصحابه ويضع يديه على فخذه ويشير باليد اليمنى بواسطة سبابته عند قوله : (إلا الله) ويجلس في هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدين وفي التشهد الأخير يستكمل الدعاء المأثور بالصلوات الإبراهيمية ويجلس على وركه الأيسر لأنه ليس متحفظاً للقيام بل هو مستقر ويضع

رجله اليسرى خارجه من تحته وينصب اليمنى ثم يقول : (السلام عليكم ورحمة الله) ويلتفت
يميناً بحيث يرى كتفه الأيمن وشمالاً كذلك وينوي بالسلام من على يمينه من الملائكة والمسلمين في
الأولى وينوي مثل ذلك في الثانية ولا يرفع صوته إلا بقدر ما يسمع ذاته .

* المنهيات :

نهى رسول الله ﷺ عن الحاقن والحاقب والحازق وعن صلاة الجائع والمتلثم ، فأما الحاقن
فمن البول ، والحاقب من الغائط والحازق صاحب الخف الضيق فأن ذلك يمنع الخشوع وفي
معناه الجائع والمتلثم وفهم نهى الجائع من قوله ﷺ : ﴿ إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة
فابدأوا بالعشاء ﴾ . والنهي عن التلثم من حديثه ﷺ : ﴿ أن يغطي الرجل فاه في الصلاة ﴾ .
وقال الشيخ الحسن البصري رحمه الله : كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة
أسرع . ويكره أيضاً أن ينفخ في الأرض عند السجود وان يسوي الحصى بيده وان يستند في قيامه
إلى حائط وقال بعض السلف : أربعة في الصلاة من الجفاء ، الالتفات ومسح الوجه وتسوية
الحصى وان تصلي بطريق من يمر بين يديك ، قال حضرة شيخنا رحمه الله :
هناك نوعان من الصلاة : الصلاة البيضاء وهي الصلاة التي يقف بها المصلي قلباً وقالباً
خاشعاً وفي صلاته متصلاً متذوقاً بمناجاته . والصلاة السوداء هي الصلاة التي يقف بها المرء
جسداً على سجادته وقلبه فاراً إلى الدنيا لا يتذوق من صلاته شيئاً وليس له سوى الحركات .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾

* تمييز الفرائض والسنن :

ما تقدم يشتمل على فرائض وسنن وهيئات ، فالسنن من الأفعال : رفع اليدين في تكبيرة الإحرام وعند الهوي إلى الركوع وعند الرفع منه ، والجلسة للتشهد الأول والتورك والافتراش هيئات تابعة للجلسة ، وترك الالتفات هيئة للقيام وتحسين لصورته . والسنن من الأذكار : دعاء الاستفتاح والتعوذ وقول آمين وقراءة السورة وتكبيرات الانتقالات والذكر في الركوع والسجود والاعتدال والتشهد الأول والصلاة فيه على النبي ﷺ والدعاء في التشهد الأخير والتسليمة الثانية .

أما أركان الصلاة فهي :

- ١ . النية ٢ . تكبيرة الإحرام ٣ . القيام ٤ . القراءة ٥ . الركوع ٦ . الرفع من الركوع مع الاعتدال ٧ . السجود بين السجدين مع الطمأنينة ٩ . القعود الأخير مع ذكر التشهد فيه ١٠ . السلام عند انتهاء الصلاة : التسليمة الأولى فرض .

* صلاة المريض :

إذا كان المريض لا يقدر أن يصلي قائماً صلى قاعداً ، وإذا عجز عن القعود صلى على جنبه ، وإذا عجز صلى مستلقياً على ظهره ماداً رجله إلى القبلة ويجعل سجوده أخفض من ركوعه ، وإن عجز عن الركوع والسجود أوماً إيماءً ولا يترك الصلاة بأي حال .
لقوله ﷺ : ﴿ صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فصل على جنبك ، فإن لم تستطع فمستلقياً ﴾ البخاري .

* سجود السهو :

من ترك سنة من السنن لا تبطل صلاته لكنه يسجد للسهو جبراً للخلل .

كيفية سجود السهو :

سجدتان يسجدهما المصلي في نهاية صلاته قبل السلام .

فائدة : إذا سها الإمام يلزم سجود المقتدين لأنهم تابعون له .

* مكروهات الصلاة :

المكروه : هو الذي يثاب على تركه ولا يعاقب على فعله .

١ . العمل القليل : وهو ما دون الحركات الثلاث . فإذا كانت ثلاث حركات لا داعي لها

فالصلاة باطلة .

٢ . تغميض العينين من دون سبب .

٣ . الصلاة في المزبلة والمجزرة وقارعة الطريق والحمام والمحل الذي تبرك فيه الإبل .

٤ . الشاؤب في الصلاة . ويستحب له أن يضع يده على فمه إذا تشاءب .

٥ . رفع البصر إلى السماء . عن انس بن مالك قال : قال ﷺ : ﴿ ما بال أقوام يرفعون

أبصارهم إلى السماء في صلاتهم ﴾ فاشتد قوله في ذلك حتى قال : ﴿ لينتهين عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم ﴾ .

٦ . فرقة الأصابع وتشبيكها .

٧ . وضع اليد على الخاصرة أو تحرك الرجلين باستمرار بأن يرفع رجلاً على أخرى .

٨ . تشمير كميته عن ذراعيه أو نسف العباءة أو الجاكيت أو الجبة على ظهره بدون لبسها

المعتاد وهو إخراج يديه من كميته .

٩ . الإشارة بالعين أو الحاجب أو اليدين بدون ضرورة .

١٠ . وضع ذراعيه على الأرض حالة السجود .

١١ . قراءة القرآن على غير الترتيب وكذلك تكرار السورة في ركعة واحدة أو ركعتين

١٢ . الصلاة كاشف الرأس ، ويزال هذا المكروه بوضع شيء (جفينة أو عرقجين أو

غيره) على رأسه وقت الصلاة .

فائدة : إن التبسم في الصلاة يبطلها أما القهقهة فيها فتبطل الوضوء والصلاة معاً .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾

* صلاة الجماعة :

تصح صلاة الجماعة باثنين : (الإمام والمقتدي) فأكثر . إذا كانا اثنين فالمقتدي يقف على يمين الإمام ويكون الإمام مقتدياً بقدر عقب رجله ، ويجب على المقتدي أن يتابع الإمام وتحرم مسابقته في كل أعمال الصلاة . قال ﷺ : ﴿ أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار أو يحول الله صورته صورة حمار ﴾ .

وعلى المصلي أن لا يصلي وحده خلف الصف مقتدياً بالإمام بل عليه إكمال الصف الذي أمامه وإن كان الصف كاملاً يؤشر إلى أحد المصلين يرجع معه بخطوات هادئة وبحركات غير سريعة ، كما يصح إقتداء متوضئ بمتميم وغاسل بماسح وقائم بقاعد ومتنقل بمفترض ومفترض بمتنفل . وعلى الإمام أن لا يتقدم للإمامة على قوم يكرهونه وأن لا يتقدم ووراءه من هو أفقه منه إلا إذا امتنع من هو أولى منه فله التقدم ويكره عند ذلك المدافعة ، ويجب عليه أن يؤم مخلصاً لله ﷻ ومؤدياً أمانة الله تعالى في طهارته وجميع شروط صلاته ، وكما عليه تسوية صفوف المصلين : قيل كانوا يتحاذون بالمناكب ويتضامون بالكتاب ويجب على الإمام التخفيف في الصلاة ، فإن تذكر الإمام في أثناء صلاته حدثاً أو خرج منه ريح فلا ينبغي أن يستحي بل يأخذ بيد من يقرب منه ويستخلفه ، وعلى المأموم أن لا يسبق الإمام في الركوع حتى يستوي الإمام راکعاً وكذلك في السجود إلا إذا وصلت جبهة الإمام إلى الأرض .

تنبيه :

إذا أقيمت الصلاة لصلاة الفرض فلا تدخل ناوياً في صلاة السنة ، وإن كنت في صلاة السنة ثم أقيمت الصلاة ولم تلبس بالركعة الأولى فأبطل سنتك . وإن كنت قد تلبست في الركعة

الأولى من السنة بأن رفعت من الركوع فأكمل السنة بسرعة ثم التحق بصلاة الفرض .
المسبوق إن أدرك الركوع تحسب له تلك الركعة وإن لم يدرك الركوع لم تحسب له تلك
الركعة ، وإذا سلم الإمام قام المسبوق ليكمل ما فاتته من الركعات .
- إقامة الصلاة سنة مؤكدة لكل صلاة فرض من الصلوات الخمس سواء كانت صلاة
حاضرة أم قضاء ، وهي نصف ألفاظ الأذان إلا أنه يزداد بعد (حي على الفلاح) (قد قامت
الصلاة) مرتين .

* نوافل الصلاة :

راتبة الصبح : ركعتان قبل الفرض .
راتبة الظهر : أربع ركعات سنة قبلية بتسليمتين وأربع ركعات سنة بعدية بتسليمتين أيضاً .
راتبة العصر : أربع ركعات قبل الفرض بتسليمتين .
راتبة المغرب : ركعتان بعد الفرض .
راتبة العشاء : ركعتان سنة قبلية وركعتان سنة بعدية .
سنة الوتر : خمس ركعات تصلي منها أربعاً بتسليمتين وتختتم الخامسة قبل النوم أو بعد
صلاة التهجد .

سنة الضحى : أربع ركعات بتسليمتين أو ثمان بتسليمتين أيضاً ويجوز قضاؤها .
سنة الوضوء : ركعتان بعد الوضوء أو الاغتسال قبل جفاف الأعضاء .
سنة الأوابين : وقتها بين المغرب والعشاء من ست ركعات إلى عشرين ركعة .
سنة التسابيح : أربع ركعات بتسليمة واحدة أثناء النهار وبتسليمتين أثناء الليل .
سنة التطوع : أي قبل النوم من ركعتين إلى عشر ركعات فما فوق .
سنة التهجد : أي بعد القيام من النوم من عشر ركعات فما فوق .

* السواك :

قال رسول الله ﷺ : ﴿ لولا أن اشق على أمتي لأخرت العشاء إلى ثلث الليل وأمرتهم
بالسواك عند كل مكتوبة ﴾ . وعنه ﷺ : ﴿ السواك مطهرة للفم مرضاة للرب ﴾ . ويستحب

السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وكلما تغير الفم من أزم وغيره ، وأصل الأزم إمساك الأسنان بعضها على بعض ويكره للصائم بعد الزوال ، ويستحب له قبل الزوال ، وأكثر استحبابه مع غسل الجمعة ، وعند القيام من الليل ، ويندى السواك اليابس بالماء ، ويستاك عرضاً وطولاً فإن اقتصر فعرضاً .

* حكم تارك الصلاة :

تارك الصلاة لا يخلو من أحد أمرين : إما انه تارك لها جحوداً أو كسلاً . أما تارك الصلاة جحوداً أي إنكاراً لها فهو كافر خارج عن ملة الإسلام ، فقد كان أصحاب سيدنا مُحَمَّد ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة وعليه فأن عقوبة هذا الصنف (القتل) كُفراً لأنه أنكر شيئاً من الدين ، فالمنكر لحكم واحد كالمنكر لكل الأحكام والكافر بآية كالكافر بكل القرآن وأنه لا يُغسل ولا يُكفن ولا يصلي عليه أحد ولا يُدفن في مقابر المسلمين . وإن كان تركه للصلاة كسلاً ولكنه يعتقد وجوبها فهو مسلم عاصٍ وحكمه أن يُستتاب ثلاثة أيام فإن تاب وصلى فيها خيراً والا قُتل (حدّاً) أي جزاء لا كُفراً ثم أنه يُغسل ويكفن ويُصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين . وقال أبو حنيفة رحمه الله : يجبس ويضرب إلى أن يتوب إلى الله تعالى ويؤدي الصلاة) .

فوائد عامة

- ١ . إذا قال شارب الماء بعد شربة الماء : (الحمد لله) فقل له : (هنيئاً) ، وليرد الشارب للماء ويقول : (هنانا وهناكم الله بالإيمان) .
- ٢ . إذا أكل الطعام بعد البسملة يقول : اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار .
- ٣ . فإن أكل الطعام عند أخيه فليدع له وليقل : اللهم أكثر خيره وبارك له فيما رزقته واجعلنا وإياه من الشاكرين .
- ٤ . وإن أفطر عند قوم فليقل : افطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت

عليكم الملائكة .

فيما يلي بعض الظواهر السلبية عند بعض المريدين الجديد تلاحظ معالجتها كي تكون بداية البناء سليمة وقائمة على أسس قوية تتفق والمنهج الصوفي ووصايا مشايخنا سميتها فوائد عامة .

* قال شيخنا رحمته الله : يحمل بعض المريدين بعض المصاحف في جيوبهم ويجلسون بين الناس أو يدخلون بها في أماكن الوضوء والطهارة أو ينامون أحياناً وتسقط منهم على الفراش وترى ملقاة على الأرض . لذا نحذر من حملها والابتعاد عن هذا التصرف الذي لا يليق مع مكانة وقدسية القرآن الكريم ، فإن في التكية أو في المسجد مصاحف يمكن القراءة فيها إذا احتاج المريد لذلك ، فتعظيماً لكلام الله المبين إذا ما حمل يجب أن يغلف بغلاف النايلون المشمع أو النايلون العادي النظيف تعظيماً وإجلالاً لكتاب الله العزيز وكذلك تغلف سلسلة النسب الشريف والأوراد تقديراً لمكانتها لأن ورقة الأوراد تحتوي على بعض الآيات القرآنية الكريمة .

ونضيف فيما قاله شيخنا في وصاياه : في بيوت المريدين وفي غرف نومهم يوضع القرآن في مكان طاهر ومرتفع وإذا ما وجد في غرفة العائلة يجب تغطيته عند ممارسة المريد أعماله المشروعة مع زوجته تعظيماً لكتاب الله تعالى واحتراماً له كما قال تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (٢٧٦) .

* رأيت بعض المريدين يكتبون على الدف البسملة أو اسماً من أسماء الله الحسنى أو اسم الرسول الكريم صلوات الله عليه أو أسماء بعض الشيوخ الكرام ويلقونه كيفما اتفق وحين يضربون الدفوف أثناء الذكر يضربون بقوة على هذه الأسماء وهذا مخالف لآداب الذكر ومجالسه ، وإن كان لا بد من ذلك فيجب تعليق هذه الدفوف التي كتبت عليها تلك الأسماء الشريفة في التكية تبركاً ولا يجوز استعمالها .

* يتفضل شيخ الطريقة بإعطاء بعض الهدايا للمريدين ، فيجب على المريد أن يحتفظ

بهدية شيخه له تبركاً وأثراً من المؤثر . فهذا الأثر يجب أن يقابله المريد بقدسية واحترام ويحفظه
بمكان لائق في بيته .

ولقد أثر شيخي بمنديل كبير فاحتفظت به في البيت وبمكان يليق به ، فتنعمت بوجوده
نعماً كثيرة منها إذا وقعت عيني على ذلك المنديل تذكرت شيخي واشعر بأن هنالك شيئاً يدخل
في قلبي يزيل عني هموماً كثيرة وهذه حالة مجربة لا ينكرها إلا جاحد .

فهناك اثر قدم الرسول ﷺ على طين في متحف اسطنبول بتركيا ، وشعر من رأسه المبارك
عند مرقد الإمام أبي حنيفة في بغداد وبردته في متحف القاهرة بمصر ، فعلينا إحياء سنته والسير
على هداه في الطريقة الكسنزانية .

* أثناء القصائد وفي مجلس الشيخ أو داخل التكية يؤلف المداحون قصائد يدرجون فيها
أسماء مشايخ وأولياء أو أئمة خارج سلسلة طريقتنا فيذهب ذلك بركة سماع القصائد بانقطاع
مدد السلسلة الواصل من هذا الباب عند ذكر غيرهم فيه ، فيجب التحوط وعلى القوالين إن
ينظموا قصائدهم وفيها أسماء سلسلة الطريقة لا غير ، ولا يسمح أبداً بذكر أسماء من غير
سلسلة الطريقة في القصائد فذلك مما يجلب الوحشة في قلوب المريدين ويذهب البركة .

* هناك بعض المريدين يتركون أوراد الطريقة المجازة من قبل شيوخ طريقتنا ويبحثون عن
أوراد أخرى ، أما أن يأخذونها من كتاب أو يسمعونها من أحد (كما يفعل متمشيخة العصر)
. ويبدأ العمل بها ظناً منهم أن فيها زيادة قوة وبركة كما يدعي . فلينتبه المريد أولاً وليعلم بأن
أوراد الطريقة لم يأت بها شيوخ الطريقة من كتاب قرأوه أو كلام سمعوه من أحد بل هو ما نتج
عن مجاهداتهم وجلوسهم في الخلوات وتجردهم لله تعالى ونبذهم أمور الدنيا كلية . فخلت قلوبهم
بربهم وذهبت عما سواه حتى فنوا فيها فصار سمعهم وبصرهم ويدهم . نطقوا به وانمحت إرادتهم
بإرادته وماتوا ثم أحيوا فما نسوا عباده الجادين في طلبه فمنحهم الله وأجازهم الرسول ﷺ ،
منحهم الله ذكره تلقيناً (يقولون الشيخ يلقي الذكر) ، وهذا التلقين هو سر إجازة المريد
في ورده ، فإذا لم يلقي لن يلقي ، فعند تلقين الرسول الأعظم ﷺ الإمام علي كرم الله وجهه (لا اله إلا
الله) كان كل المسلمين يقولون (لا اله إلا الله) وكل كلمة لقنه إياها أعطاه إجازة الاستثمار
فيها . كما يقال : (وأخذت لا اله إلا الله تمد بقوتها وعلومها وأسرارها) . وبدون هذه التلقين

وهذه الإجازة فإنه يذكرها بجهل ولا تمنحه قوتها ولا تورث في قلبه شيئاً إلا أنه يثاب على فعلها والله اعلم ، فملخص الأمر أن كل ورد أو ذكر أو دعاء بدون إجازة الشيخ العارف بالله الكامل لا نفع فيها للمريد وتؤدي بصاحبه إلى مضار يخشى عواقبها ، ويجب الالتزام بالأوراد الواردة لنا بإجازة مشايخنا لا غير . ففيها ما يكفي وما يفي لحاجة المريد القاصد سواء السبيل وأما الخروج عن الحدود فيوجب الطرد والطاعة خير من المعصية .

* يقوم بعض الخلفاء بتجديد بيعة المريد الذي سلك العهد على يد خليفة آخر موكل من قبل الشيخ بإعطاء البيعة ظناً منه أن هذا التجديد يربط المريد به ويكون خليفة له ، وهذه إساءة على آداب العهد والبيعة فالخليفة في الطريقة يشبه عامل الكهرباء ، بعد التأسيسات يربط خط كهرباء البيت بالخط الأصلي وهو غير مسؤول عن زيادة القوة أو نقصانها . بل يسمح بإرشاده وتوجيهه التوجه السليم الذي لا يتعارض مع أفكار الطريقة ونهجها . وهذا وارد ويجب على المريد سماع الخليفة الثاني إذا كان متفقاً ونهج الطريقة ولا يتعارض مع أصولها وخصوصاً إذا حصل له زيادة أدب أو علم أو زيادة حث على تطبيق أوامر الطريقة يجب مطاوعته والاستفادة منه وليس لخليفته الأول حق الاعتراض عليه أو منعه إلا إذا خشي عليه من فتور في همته أو شعر بأن هنالك نقصاً في سيرته . أما إذا خرج عن تربية الخليفة وذهب مع خليفة ثانٍ فعليه أن لا يغتاب خليفته الأول ويبين نقصه أو يشتمه ويسبه ، فهذا لا يجوز بل عليه أن يحبه ويحترمه ويأخذ بيده عند لقاءه فأن فضل إرشاده له وتوجيهه لا ينساه ويجب على الخليفة أن لا يسمع كلام المريد على خليفته الأول بل ينهيه ويزجره فالمريد محسوب لشيخ الطريقة وليس ملك الخليفة فليحذر بعض الخلفاء من هذه الحالات احتراماً للعهد وأدباً معه ، أما إذا حصل فتور عند المريد وجاء لسماع كلامه فيأمره أولاً بتجديد الأوراد والالتزام بنهج الطريقة ويحثه على مواصلة سيره ويحذره من الانقطاع .

حكم تقبيل اليد

كثرت تساؤل الناس عن حكم تقبيل اليد وخصوصاً في هذه الأيام التي كثر فيها أتباع الهوى والرأي ، وضعف التحقيق العلمي السليم ، لكن الذي يمحص الحقائق ، ويرجع إلى الأحاديث الصحيحة ، وآثار الصحابة الكرام ، وأقوال الأئمة المحققين ، يجد أن تقبيل يد العلماء والصالحين والأبوين جائز شرعاً ، بل هو مظهر من مظاهر الآداب الإسلامية في احترام أهل الفضل والتقى ، واليك بعض النصوص الصحيحة في ذلك :

١ . أما ما ورد من الأحاديث الشريفة :

* فعن صفوان بن غسان قال : قال يهودي لصاحبه : قم بنا إلى هذا النبي فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن تسع آيات ، فذكر الحديث ... إلى قوله : فقبلا يده ورجله ، وقالوا : نشهد أنك نبي الله .. رواه أحمد والترمذي وصححه والنسائي وغيرهم .

* روى أبو داود عن أم أبان بنت الوازع بن زارع ، عن جدتها زارع وكان في وفد عبد القيس ، قال : فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد رسول الله ﷺ ورجله . وكذلك رواه البيهقي كما في السيرة الشامية . وفيها : ثم جاء منذر الأشح حتى اخذ بيد رسول الله ﷺ فقبلها وهو سيد الوفد .

* وفي شرح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني : إن أبا لبابة وكعب ابن مالك وصاحبيه ، قبلوا يد النبي ﷺ حتى تاب الله عليهم .

٢ . وأما ما ورد في الآثار :

* فقد اخرج الطبراني والبيهقي والحاكم عن الشعبي : أن زيد ابن ثابت صلى على جنازة ففُتبت إليه بغلته ليركبها فجاء عبد الله بن عباس ؓ ، فأخذ بركابه فقال زيد بن ثابت : خل عنها يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال ابن عباس هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء ، فقبل زيد بن ثابت يد عبد الله وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت رسول الله ﷺ .

* وأخرج البخاري في الأدب المفرد من رواية عبد الرحمن بن رزين قال : أخرج لنا سلمة بن الأكوع كفاً له ضخمة كأنها كف بعير فقمنا إليه فقبلناها . كذا في شرح البخاري لابن حجر العسقلاني .

* وعن ثابت أنه قبّل يد أنس . وأخرج أيضاً : إن علياً قبّل يد العباس ورجله . وأخرج من طريق أبي مالك الاشجعي قلت لابن أبي أوفى : ناولني يدك التي بايعت بها رسول الله ﷺ ، فناولنيها فقبّلتها . كذا في ابن حجر المذكور .

* قال ابن كثير في تاريخه - البداية والنهاية فتح بيت المقدس على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد كلام ... فلما وصل عمر بن الخطاب إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورؤوس الأمراء ، كخالد بن الوليد ويزيد ابن أبي سفيان فترجل أبو عبيدة وترجل عمر ، فأشار أبو عبيدة ليقبل يد عمر فهم عمر بتقبيل رجل أبي عبيدة فكف أبي عبيدة وكف عمر .

* وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب للعلامة محمد السفاريني الحنبلي قال : وفي الآداب الكبرى وتباح المعانقة وتقبيل اليد والرأس تديناً وتكرماً واحتراماً من أمن الشهوة .

* وقال الحافظ ابن الجوزي في مناقب أصحاب الحديث : ينبغي أن يبالغ في التواضع للعالم ويذل له ، قال : ومن التواضع تقبيل يده وقبّل ابن عينية والفضل بن عياض أحدهما يد الحسين بن علي عليهما السلام ، والآخر رجله . كذا في شرح منظومة الآداب للسفاريني .

* وقال أبو المعالي في شرح الهداية : أما تقبيل يد العالم والكريم لرفده فجائز . وأما من تقبّل يده لغناه ، فقد روى : من تواضع لغني فقد ذهب ثلثا دينه . وقد علمت أن الصحابة قبلوا يد المصطفى ﷺ كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند قدومهم من غزوة مؤتة ، كذا في المصدر السابق .

أقوال الأئمة الأربعة :

الحنفية : قال العلامة ابن عابدين في حاشيته : عند كلام صاحب الدر المختار : ولا بأس بتقبيل يد الرجل العالم والمتورع على سبيل التبرك ، وقيل سُنّة ، قال الشرنبلاني : علمت أن مفاد الأحاديث سنيتها أو ندبه كلما أشار إليه العيني . وفي حاشية الطحاوي على مراقي الفلاح ، قال : وفي غاية البيان عن الوقعات ، تقبيل يد العالم أو السلطان العادل جائز .

وورد في أحاديث ذكرها البدر العيني ... ثم قال : فعلم من مجموع ما ذكرناه إباحة تقبيل

اليد ...

المالكية : قال الإمام مالك : إن كانت قبلة يد الرجل على وجه التكبر والتعظم فمكروهة ، وإن كانت على وجه القربة إلى الله لدينه أو لعلمه أو لشرفه فأن ذلك جائز . شرح البخاري لابن حجر العسقلاني .

الشافعية : قال الإمام النووي : تقبيل يد الرجل لزهده ، وصلاحه وعلمه ، أو شرفه ، أو نحو ذلك من الأمور الدينية ، لا يُكره بل يستحب ، فأن كان لغناه أو شوكته أو جاهه عند أهل الدنيا فمكروه شديد الكراهة .

الحنبلية : وفي غذاء الألباب شرح منظومة الآداب للعلامة السفاريني الحنبلي قال : قال المروزي : سألت أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى عن قبلة اليد ، فقال : إن كان على طريق التدين فلا بأس ، قبل أبو عبيدة يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وإن كان على طريق الدنيا فلا .

وأحسن ما قيل في تقبيل اليد قول ابن شرف الحكيم :

كأني إذ أولي لثم راحته
عجزت عن شكره حتى سددت فمي
وقال آخر في ذلك :

قبل يد الخيرة أهل التقى
ريحانة الرحمن عباده
ولا تخف طعن أعاديهم
وشمها لثم أياديهم

حكم القيام للعلماء والصالحين والوالدين

أما حكم القيام لذوي الفضل فجائز وهو من الآداب الإسلامية المطلوبة وقد نصت كتب الفقه في مختلف المذاهب على جوازه :
أ . نصوص السادة الشافعية :

نقل العلامة الفقيه محمد الشريفي في كتابه (المغني المحتاج) : ويسن القيام لأهل الفضل من علم وصلاح أو شرف أو نحو ذلك لا رياءً وتفخيماً ، قال في الروضة : وقد ثبت فيه أحاديث صحيحة .

وللإمام النووي رسالة خاصة سماها (رسالة الترخيص بالقيام لذوي الفضل) في جواز

القيام للقادم واستدل على ذلك بأحاديث كثيرة منها :

* أخرج أبو داود في سنته : أن النبي ﷺ كان جالساً يوماً فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فجلس عليه ، ثم أقبلت أمه من الرضاعة فوضع لها شق ثوبه من الجانب الآخر ، ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام فأجلسه بين يديه .

* وأخرج الإمام مالك في قصة عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه ، لما قر إلى اليمن يوم الفتح ورحلت امرأته إليه حتى أعادته إلى مكة مسلماً : فلما رآه النبي ﷺ وثب إليه فرحاً ورمى عليه رداءه .

* لما قدم جعفر من الحبشة قال النبي ﷺ : ﴿ ما أدري بأيهما أسر بقدم جعفر أو بفتح خيبر ﴾ .

* وجاء بحديث عائشة رضي الله عنها : قدم زيد بن حارثة المدينة والنبي ﷺ في بيتي ، فقرع الباب إليه فاعتنقه وقبله .

* وأخرج أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ يحدثنا فإذا قام فُمنّا إليه حتى نراه قد دخل .

ب . نصوص السادة الحنفية :

نقل العلامة الفقيه المحقق ابن عابدين عند قول صاحب الدر : وفي الوهبانية يجوز ، بل يندب القيام تعظيماً للقادم ، كما يجوز القيام ولو للقارئ بين يدي العالم : قال في القنية : قيام الجالس في المسجد لمن دخل عليه تعظيماً وقيام قارئ القرآن لمن يجيء تعظيماً لا يكره إذا كان ممن يستحق التعظيم . وفي مشكل الآثار : القيام لغيره ليس بمكروه لعينه ، إنما المكروه محبة القيام لمن تقام له . فإن قام لمن لا يقام له يكره . قال ابن وهبان : أقول وفي عصرنا ينبغي أن يستحي ذلك - أي القيام - لما يورث تركه من الحقد والبغضاء والعداوة ، ولا سيما إذا كان في مكان أعتيد فيه القيام . وما ورد من التواعد عليه في حق من يحب القيام بين يديه كما يفعله الترك والأعاجم .

ج . نصوص شرح الحديث الشريف :

قال أبو سليمان الخطابي الشافعي شارحاً الحديث الذي رواه أبو داود عن أبي سعيد

الخدي رضي الله عنه : أن أهل قريضة لما نزلوا على حكم سعد أرسل إليه النبي ﷺ ، فجاء على حمار أقمر ، فقال النبي ﷺ : ﴿ قوموا إلى سيدكم أو إلى خيركم ﴾ . فجاء حتى قعد إلى رسول الله ﷺ .

قال الخطابي : فيه من العلم أن قول الرجل لصاحبه : يا سيدي ، غير محذور ، إذا كان صاحبه خيراً فاضلاً ، وإنما جاءت الكراهة في تسويد الرجل الفاجر ، وفيه أن قيام الرؤوس للرئيس الفاضل وللولي العادل ، وقيام المتعلم للعالم مستحب غير مكروه ، وإنما جاءت الكراهة فيمن كان بخلاف أهل هذه الصفات .

* وقال الخطابي أيضاً في شرح لحديث أبي داود رواه معاوية قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿ من أحب أن يمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار ﴾ . قوله ﷺ : (يمثل) معناه : يقوم ويتصب بين يديه ووجهه هو أن يأمرهم بذلك ويلزمه إياهم على مذهب الكبر والنخوة .

* وقال العلامة السفاريني : وفي مسند الإمام أحمد رضي الله عنه : قوموا إلى سيدكم فانزلوه ، لكن يُنصَرُ كون الأمر بالقيام له آخر الخبر : وكان رجال من بني الاشهل يقولون : قمنا له على أرجلنا صفين يحيه كل رجل منا حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ . ما في السيرة الشامية وقد أورد هذا الخبر العلامة علي بن برهان الدين الحلبي في كتابه (السيرة الحلبية) ، كما ذكره أيضاً مفتي السادة الشافعية بمكة المكرمة العلامة أحمد زيني دحلان في كتابه (السيرة النبوية والآثار المحمدية) .

أقوال الأئمة الأعلام في التصوف

١ . الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى :

روي في حاشية ابن عابدين ج ١ ص ٤٣ إن داود الطائفي رحمته الله اخذ العلم من أبي حنيفة رحمته الله ، وكل منهم أثنى عليه وأقر بفضله وقد قال صاحب الدر معلقاً : فيا عجب لك يا أخي ألم يكن لك أسوة حسنة في هؤلاء السادة الكبار ؟

أكانوا متهمين في هذا الإقرار والافتخار وهم من أئمة هذه الطريقة وأرباب الشريعة والحقيقة ؟

ومن بعدهم في هذا الأمر فلهم تبع وكل من خالف من اعتمدوه مردود مبتدع .
ولعلك تستغرب عندما تسمع أن الإمام الأكبر أبا حنيفة النعمان رحمه الله تعالى يعطي الطريقة لأمثال هؤلاء الأكابر من الأولياء والصالحين من الصوفية .

قال الدكتور عبد القادر عيسى في كتابه (حقائق عن التصوف) بعد كلام :
فهلا تتأسى الفقهاء بهذا الإمام فساروا على فهمه وجمعوا بين الشريعة والحقيقة لينفع الله بعلمهم كما نفع بإمامهم الأعظم الإمام الكبير معدن التقوى والورع أبي حنيفة رحمه الله تعالى ! .
٢ . الإمام مالك رحمه الله تعالى :

يقول الإمام رحمه الله تعالى : من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقق .

٣ . الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :

قال الإمام رحمه الله تعالى : صحبت الصوفية فاستفدت منهم ثلاث كلمات :
قولهم : الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك .

وقولهم : نفسك إن لم تشغلها بالخير شغلتك بالشر .

وقولهم : العدم عصمة (تأييد الحقيقة العليا للإمام جلال الدين السيوطي ص ١٥) .

٤ . الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى :

كان الإمام أحمد رحمه الله تعالى قبل مصاحبته للصوفية يقول لولده عبد الله رحمه الله تعالى : يا ولدي عليك بالحديث ، وإياك ومجالسة هؤلاء الذين سمو أنفسهم صوفية ، فإنهم ربما

كان أحدهم جاهلاً بأحكام دينه ، فلما صحب أبا حمزة البغدادي الصوفي ، وعرف أحوال القوم أصبح يقول لولده : يا ولدي عليك بمجالسة هؤلاء القوم ، فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد وعلو الهمة .

ونقل العلامة محمد السفاريني الحنبلي رحمه الله عن إبراهيم بن عبد الله القلايي رحمه الله تعالى أن الإمام محمد رحمه الله تعالى قال عن الصوفية : لا اعلم أقواماً أفضل منهم . قيل إنهم يستمعون ويتواجدون ، قال : دعوهم يفرحون مع الله ساعة .

٥ . الإمام المحاسبي رحمه الله تعالى :

قال في الصوفية : فتبين لي فضلهم وأتضح لي نصحتهم ، وأيقنت أنهم العاملون بطريق الآخرة والمتأسون بالمرسلين ، والمصاييح لمن استضاء بهم والهادون لمن استرشد فأصبحت راغباً في مذهبهم ، ومقتبساً من فوائدهم قابلاً لآدابهم محباً لطاعتهم لا اعدل بهم شيئاً ، ولا أؤثر عليهم أحداً ففتح الله لي علماً أتضح لي برهانه ، وأنار لي فضله ، ورجوت النجاة لمن أقربه وفعله ، وأيقنت بالغوث لمن عمل به ورأيت الاعوجاج فيمن خالفه ورأيت الرين متراكماً على قلب من جهله وجحدته ، ورأيت الحجة العظمى لمن فهمه وجعلته أساس ديني وبنيت عليه أعمالي ، وتغلبت فيه بأحوالي ، وسألت الله ﷻ أن يوزعني شكر ما انعم به عليّ وان يقويني على القيام بحدود ما عرفني به مع معرفتي بتقصيري في ذلك وأني لا أدرك شكره أبداً .

٦ . الإمام الغزالي رحمه الله تعالى :

يتحدث الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في كتابه (المنقذ من الضلال) عن الصوفية وعن سلوكهم وطريقتهم الحقّة الموصلة إلى الله تعالى فيقول :

ولقد علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وأن سيرتهم أحسن السير وطريقتهم أصوب الطرق ، وأخلاقهم أزكى الأخلاق ... ثم يقول رداً على من أنكر على الصوفية وتهجم عليهم وبالجملّة فماذا يقول القائلون في طريقة طهارتها وهي أول شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ومفتاحها الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة استغراق القلب بالكلية بذكر الله أو آخرها الفناء بالكلية في الله .

٧ . الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى :

قال العلامة الكبير والمفسر الشهير الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في كتابه (اعتقادات المسلمين والمشركين) الباب الثامن في أحوال الصوفية :

اعلم إن أكثر من حصر فرق الأمة لم يذكر الصوفية وذلك خطأ ، لأن حاصل قول الصوفية أن الطريق إلى معرفة الله تعالى هو التصفية والتجرد من العلائق البدنية وهذا طريق حسن ... وقال أيضاً : والمتصوفة قوم يشتغلون بالفكر وتجرد النفس عن العلائق الجسمية ويجتهدون ألا يخلو سرهم وبالمهم عن ذكر الله تعالى في سائر تصرفاتهم وأعمالهم ، منطبعون على كمال الأدب مع الله ﷻ ، وهؤلاء هم خير فرق الآدميين .

٨ . العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى :

قال سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى :

٩ . الإمام النووي رحمه الله تعالى :

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في رسالته المقاصد ، أصول طريق التصوف خمسة :

١ . تقوى الله في السر والعلانية .

٢ . إتباع السنة في الأقوال والأفعال .

٣ . الإعراض عن الخلق في الإقبال والادبار .

٤ . الرضا عن الله في القليل والكثير .

٥ . الرجوع إلى الله في السراء والضراء .

١٠ . تاج الدين الشبلي رحمه الله تعالى :

قال : والحاصل إنهم أهل الله وخاصة الذين تربحي الرحمة بذكرهم ويستنزل الغيث بدعائهم

فرضي الله عنهم وعنا بهم .

١١ . ابن عابدين رحمه الله تعالى في حاشيته :

قال : ولا كلام لنا مع الصُّدِّق من سادتنا الصوفية المبرئين من كل خصلةٍ رديّة .

١٢ . الشيخ مُحَمَّد عبده رحمه الله تعالى :

قال : ظهر التصوف في القرون الأولى للإسلام ، فكان له شأن عظيم وكان المقصود منه في

أول الأمر تقويم الأخلاق ، وتهذيب النفوس وترويضها بأعمال الدين وجذبها إليه ، وجعله وجداناً لها وتعريفه بحكمه وأسراره بالتدرج ، وكان الفقهاء الذين وقفوا على ظواهر الأحكام المتعلقة بإعمال الجوارح والمعاملات ينكرون عليهم معرفة أسرار الدين ويرمونهم بالزيغ والإلحاد ، وكانت السلطة للفقهاء لحاجة الأمراء والسلاطين إليهم ، فاضطر الصوفية إلى إخفاء أمرهم ووضع الرموز والاصطلاحات الخاصة بهم وعدم قبول أحد معهم إلا بشروط واختبار طويل ، فقالوا : لابد فيمن يجب أن يكون معنا أن يكون طالباً فمريداً فسالكاً . وبعد السلوك فيما أن يصل وإما أن ينقطع ، فكانوا يختبرون أخلاق الطالب وأطواره زمناً طويلاً ليعلموا انه صحيح الإرادة صادق العزيمة لا يقصد مجرد الوقوف على أسرارهم وبعد الثقة يأخذونه بالتدرج شيئاً فشيئاً .

١٣ . الشيخ رشيد رضا رحمه الله تعالى :

قال : لقد انفرد الصوفية بركن عظيم من أركان الدين لا يطاولهم فيه مطاول وهو التهذيب علماً وتخلقاً وتحقيقاً ، ثم لما دونت العلوم في الملة كتب شيوخ هذه الطائفة في الأخلاق ومحاسبة النفس .

١٤ . الشيخ محمد راجب الطباخ رحمه الله تعالى :

قال : فإذا كان التصوف عبارة عن تركية النفوس وتصفية الأخلاق فنعم المذهب ونعم المقصد وذلك هو الغاية من بعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

١٥ . الدكتور عبد القادر عيسى :

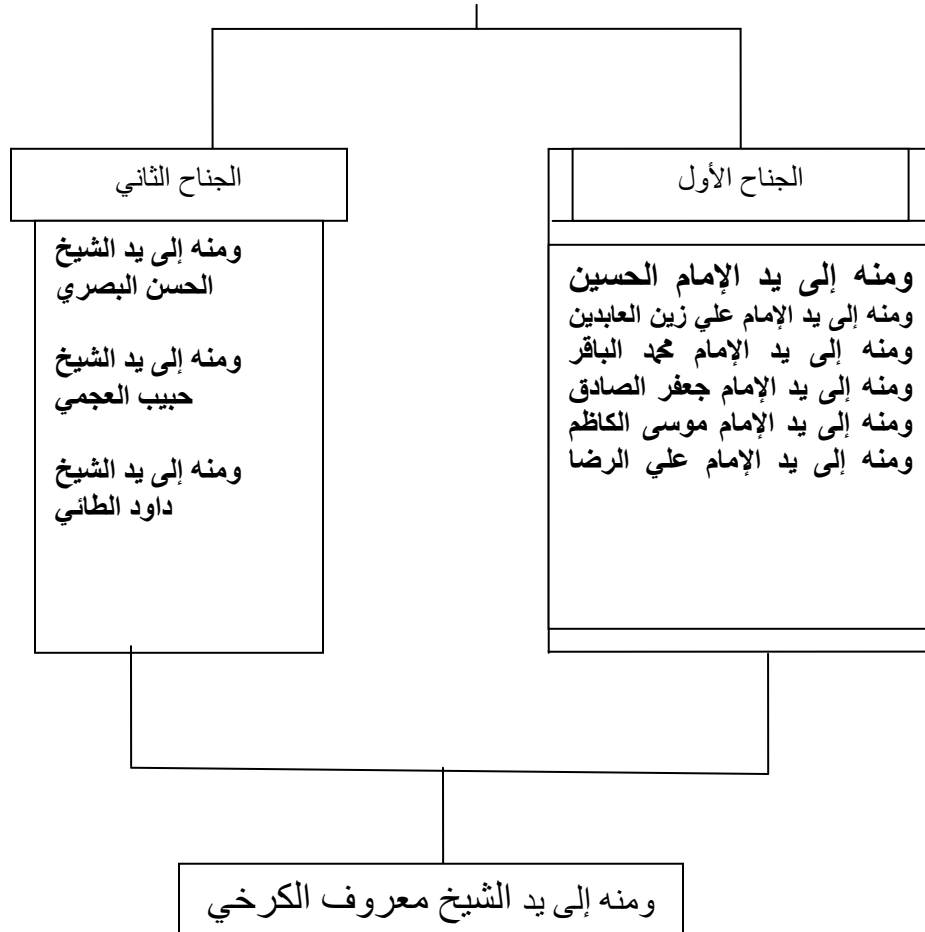
قال : ومن جليل أعمال الصوفية وآثارهم الحسنة في الأمة الإسلامية إن الملوك والأمراء متى قصدوا الجهاد ، كان الكثير من هؤلاء بإيعاز وبغير إيعاز يحرضون أتباعهم على الخروج إلى الجهاد ، ولعظيم اعتقادهم فيهم وانقيادهم لهم كانوا يتبادرون إلى الانتظام في سلك المجاهدين فيجتمع بذلك عدد عظيم في أطراف ممالكهم ، وكثير ما كان أولئك يرافقون الجيوش بأنفسهم ويدافعون ويحرضون ، فيكون ذلك سبباً للظفر والنصر .

سلسلة مشايخ الطريقة العلية القادرية الكسنزانية

أنزلت هذه الطريقة المباركة من الله تعالى إلى سيدنا ونبينا مُحَمَّد ﷺ ثم انتقلت منه إلى يد الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومنه تفرعت بجناحين ثم التقى الجناحان عند الشيخ معروف الكرخي كما هو واضح في أدناه :

النبي الأعظم سيدنا مُحَمَّد صلى الله تعالى عليه وسلم

ومنه إلى يد الإمام علي كرم الله وجهه



ومنه إلى يد الشيخ السري السقطي * ومنه إلى يد الشيخ الجنيد البغدادي * ومنه إلى يد الشيخ أبي بكر الشبلي * ومنه إلى يد الشيخ عبد الواحد اليماني * ومنه إلى يد الشيخ أبي فرج الطرسوسي * ومنه إلى الشيخ علي الهكاري * ومنه إلى يد الشيخ أبي سعيد المخزومي * ومنه إلى يد الشيخ الغوث الأعظم عبد القادر الكيلاني * ومنه إلى يد الشيخ عبد الرزاق * ومنه إلى

يد الشيخ داود الثاني * ومنه إلى يد الشيخ مُحَمَّد غريب الله * ومنه إلى يد الشيخ عبد الفتاح
السياح * ومنه إلى يد الشيخ مُحَمَّد قاسم * ومنه إلى يد الشيخ مُحَمَّد صادق * ومنه إلى يد الشيخ
حسين البصري * ومنه إلى يد الشيخ أحمد الاحسائي * ومنه إلى يد الشيخ إسماعيل الولياني
* ومنه إلى يد الشيخ محيي الدين كركوك * ومنه إلى يد الشيخ عبد الصمد كله زرده * ومنه إلى
يد الشيخ حسين قازان قايه * ومنه إلى يد الشيخ عبد القادر قازان قايه * ومنه إلى يد الشيخ
الغوث عبد الكريم شاه الكسنزان * ومنه إلى يد الشيخ الغوث عبد القادر الكسنزان * ومنه إلى
يد الشيخ الغوث حسين الكسنزان * ومنه إلى يد الشيخ الغوث عبد الكريم الكسنزان * ومنه
إلى رئيس الطريقة الشيخ الحاضر مُحَمَّد الكسنزان (قدس الله أسرارهم أجمعين) .

سلسلة النسب الشريف

يرتفع نسب والدنا وشيخنا السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزاني الحسيني إلى الدوحة النبوية الشريفة فهو : السيد عبد الكريم بن السيد عبد القادر بن السيد عبد الكريم الشاه الكسنزان بن السيد حسين بن السيد حسن بن السيد عبد الكريم بن السيد إسماعيل الولياني بن السيد مُحَمَّد النودهي بن السيد بابا علي الوندريه بن السيد بابا رسول الكبير بن السيد عبد السيد الثاني بن السيد عبد الرسول بن السيد قلندر بن السيد عبد السيد بن السيد عيسى الأحدب بن السيد حسين بن السيد بايزيد بن السيد عبد الكريم الأول بن السيد عيسى البرزنجي بن السيد بابا علي الهمداني بن السيد يوسف الهمداني بن السيد مُحَمَّد المنصور بن السيد عبد العزيز بن السيد عبد الله بن السيد إسماعيل المحدث بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام مُحَمَّد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والسيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله وخاتم الأنبياء والمرسلين مُحَمَّد المصطفى ﷺ .

المصادر

ت	اسم المصدر	اسم المؤلف
١.	المنقذ من الضلال	الإمام الغزالي
٢.	أبحاث في التصوف ودراسات عن الإمام الغزالي	الدكتور عبد الحليم محمود
٣.	الفتاوى الحديثة	الشيخ ابن حجر الهيتمي
٤.	فوائد اللآلئ من رسائل الغزالي	الإمام الغزالي
٥.	الغنية لطالبي طريق الحق ﷺ	الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمته الله العزير
٦.	إحياء علوم الدين	الإمام الغزالي
٧.	منهاج العابدين	الإمام الغزالي
٨.	تنبيه الغافلين	الشيخ نصر بن محمد السمرقندي
٩.	قوت القلوب	لأبي طالب المكي
١٠.	الحجج البينات في إثبات الكرامات	عبد الله خادم الحديث
١١.	المقدمة في التصوف وحقائقه	أبي عبد الرحمن السلمي
١٢.	الشكر والتوحيد	سعيد النورسي
١٣.	الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية	الإمام الشعراني
١٤.	رجال حول الرسول	خالد محمد خالد
١٥.	التصوف الثورة الروحية في الإسلام	الدكتور أبو العلا عفيفي
١٦.	طهارة القلوب والخضوع لعلام	الشيخ عبد العزيز الديريني

	الغيوب	
١٧	التصوف بين الحق والخلق	مُحمَّد فهد شقفة
١٨	حقائق عن التصوف	عبد القادر عيسى
١٩	إيقاظ الهمم في سراج الحكم	الشيخ ابن عجيبة
٢٠	الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية	الشيخ ابن عجيبة
٢١	الأصول والضوابط	الشيخ النووي
٢٢	السير والسلوك إلى ملك الملوك	الشيخ قاسم الخاني الحلبي
٢٣	المسائل في أعمال القلوب والجوارح والمكاسب والعقل	الحارث بن أسد المحاسبي
٢٤	القرب والاتصال بإثبات التصرف لأولياء الله والكرامة بعد الانتقال	الشيخ أحمد بن مُحمَّد الحموي
٢٥	أعلام التصوف في الإسلام	الدكتور مُحمَّد جلال شرف
٢٦	رسائل التصوف	الشيخ عبد الكريم الجيلي
٢٧	الرعاية لحقوق الله	الحارث بن أسد المحاسبي
٢٨	الرسالة القشيرية في علم التصوف	الإمام القشيري
٢٩	اليواقيت والجواهر في شرح عقائد الأكابر	الإمام الشعراي
٣٠	نزهة المجالس ومنتخب النفائس	عبد الرحمن الصفوري
٣١	نور الأبصار في مناقب بيت النبي المختار ﷺ	الشيخ مؤمن بن حسن مؤمن
٣٢	التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ﷺ	الشيخ منصور علي ناصف

الشيخ محمد أمين آل ملا يوسف	الدلالات القاطعات وشرح المختار في كرامات الأولياء وآداب الأخيار	٣٣
عثمان بن حسين	درة الناصحين في الوعظ والإرشاد	٣٤
الشيخ النووي	الأذكار المنتخب من كلام سيد الأبرار صلوات الله عليه	٣٥
الشيخ بن عربي	رسائل بن عربي	٣٦
الإمام الشعراني	العهود الحمديّة	٣٧
أي محمد عبد الله بن اسعد اليافعي	نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية	٣٨
الشيخ النووي	بستان العارفين	٣٩
أحمد بن أبي المبارك	الإبريز	٤٠
الإمام الشعراني	تنبيه المغترين	٤١

الفهرست

نبذة عن حياة السيد الشيخ محمد الكسنزان	1
المقدمة	6
التصوف	8
التوبة	18
الصحبة	28
كيفية إعطاء البيعة وتلقين المريد	38
المحبة	45
الرابطة	55
السماع	61
الذكر	72
كرامات الأولياء	85
المجاهدة	112
الصمت	125
السهر	128
العزلة	131
الخواطر	140
الخوف	148
الرجاء	152
الصدق	155
الإخلاص	159
الصبر	166
الرضا	172
الشكر	178
الزهد	182
الورع	189
التوكل	193
حكم السفر والقدوم على المشايخ	198
التكية بيت الذكر	201
نوم المريد	208
آداب المجلس والجلوس وآداب الطريق	209
آداب المريد في اللباس	211
أعلام التصوف في القرن الحالي أو المعاصرون	212

أوراد الطريقة القادرية الكسنزانية	237
الخلوة عند المشايخ الكسنزانية	248
الرياضات في الطريقة الكسنزانية	251
فضائح المنتفعين باسم التصوف	256
الطهارة	264
التيمم	268
الصلاة	269
فوائد عامة	277
حكم تقبيل اليد	281
حكم القيام للعلماء والصالحين والوالدين	283
أقوال الأئمة الأعلام في التصوف	286
سلسلة مشايخ الطريقة العلية القادرية الكسنزانية	290
سلسلة النسب الشريف	292
المصادر	293
الفهرست	296